



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه و آله

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

أساليب التبليغ عند الأنبياء

(دراسة قرآنية)

السيد منظر الموسوي (الجابري)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
فَضَّلَنَا عَلَى مَا نَحْنُ
وَأَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اساليب التبليغ عند الانبياء عليهم السلام دراسة قرآنية

كاتب:

السيد منتظر الموسوي (الجابري)

نشرت في الطباعة:

جامعة المصطفى (صلى الله عليه وآله) العالمية

رقم الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٢	اساليب التبليغ عند الانبياء عليهم السلام دراسه قرآنيه
١٢	اشاره
١٢	اشاره
١٦	كلمه الناشر
١٨	الفهرس
٢٧	المقدمه
٣٣	مدخل البحث
٣٣	اشاره
٣٥	المبحث الأول: تعريف الأسلوب وفرقه عن الوسيله
٣٥	١. الأسلوب لغةً
٣٥	٢. الأسلوب اصطلاحاً
٣٦	٣. الفرق بين الوسيله و الأسلوب فى التبليغ
٣٩	المبحث الثانى: تعريف التبليغ
٣٩	١. التبليغ لغةً
٤٠	٢. التبليغ اصطلاحاً
٤٢	٣. النتيجة
٤٥	المبحث الثالث: مفردات ذات صلة
٤٥	اشاره
٤٥	١. الدعوه
٤٥	أ) الدعوه لغه
٤٦	ب) الدعوه اصطلاحاً
٤٧	ج) موضوع الدعوه
٤٩	د) الفرق بين الدعوه و التبليغ

٥٢ه)الفرق بين الدعوه و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر
٥٢اشاره
٥٣أولاً:اختلافهما فى المعنى
٥٣ثانياً:الاختلاف فى الترتيب الطبيعى
٥٤ثالثاً:اختلافهما فى ميدان التطبيق
٥٤رابعاً:الاختلاف فى كيفية الأداء
٥٤٢.الإنذار
٥٧٣.التبشير
٥٨٤.التزكيه
٥٩٥.الجدل
٦٢٦.النصح
٦٢اشاره
٦٣الفرق بين تبليغ الرساله وبين النصيحه
٦٤٧.التذكير
٦٥٨.الهدايه
٦٦٩.التبيين
٦٧١٠.الإرشاد
٦٩المبحث الرابع:معنى النبى وفرقه عن الرسول
٦٩١.النبى لغه
٧٢٢.النبى اصطلاحاً
٧٣٣.الفرق بين النبى و الرسول
٨٠الفصل الأول: شروط التبليغ و المبلِّغ وفيه محثان
٨٠اشاره
٨٢المبحث الأول:شروط المبلِّغ
٨٢اشاره
٨٢١.الوعى

٨٧	٢. الشجاعة
٩٠	٣. الإخلاص
٩٣	٤. الصبر
١٠١	٥. عزّه النفس
١٠٧	٦. القول و العمل
١١٢	المبحث الثاني: شروط التبليغ
١١٢	اشاره
١١٢	١. مراعاة الزمان و المكان فى التبليغ
١٣٣	٢. معرفه فن التبليغ
١٣٦	٣. عدم التكلّف
١٣٨	٤. مطابقه الحق
١٣٩	٥. عدم المنّ
١٤٢	الفصلُ الثاني: بيان لأهمّ أساليب التبليغ
١٤٢	اشاره
١٤٤	المبحث الأول: أهميه الأساليب فى التبليغ
١٤٤	اشاره
١٤٧	١. وعى المرحله وتنوع الأساليب
١٥٠	٢. القرآن الكريم يهذب الأساليب
١٥٤	المبحث الثاني: أهمّ أساليب التبليغ
١٥٤	١. أسلوب الحكمه
١٥٤	اشاره
١٥٤	كلمه الحكمه ودلالاتها
١٦٠	٢. أسلوب الموعظه الحسنه
١٦٠	اشاره
١٦١	أ) فرق الموعظه عن غيرها
١٦١	ب) الحُسن شرط فى الموعظه

- ج) شروط أخرى لتأثير الموعظه ١٦٣
٣. أسلوب الجدل ١٦٥
- اشاره ١٦٥
- أ) فرق الجدل عن غيره ١٦٦
- ب) فرق وتقسيم ١٦٩
- ج) الجدل ممدوح ومذموم ١٧١
- د) شروط الجدل الأحسن ١٧٢
- هـ) أمثله من الجدل الأحسن ١٧٤
- و) الأحسن شعار المبلّغ ١٧٧
٤. أسلوب اللين و اللطف ١٨١
٥. أسلوب التذكير ١٨٩
- اشاره ١٨٩
- أ) الفرق بين التذكير و التنبيه ١٩١
- ب) الذكرى تنفع المؤمنين ١٩٢
- ج) نماذج من التذكير بالنعيم ١٩٣
- أولاً: النعمه السياسيه والاجتماعيه ١٩٣
- ثانياً: نعمه الإمداد الغيبى ١٩٤
- ثالثاً: نعمه الرزق ١٩٤
- رابعاً: نعمه التفضيل على الآخرين ١٩٤
- خامساً: نعمه الوحده ١٩٥
- سادساً: نعمه القيادة ١٩٥
- د) الهدف من ذكر النعم ١٩٨
٦. أسلوب القصص و التاريخ ٢٠٠
- اشاره ٢٠٠
- أ) القصة ٢٠٠
- أولاً: مفهوم القصة ٢٠٠

- ٢٠٤ ثانياً: أهداف القصص القرآني
- ٢٠٧ ثالثاً: قصصه القرآنيّه ومناهج الدّعوة
- ٢٠٩ رابعاً: نموذج من القصص القرآني
- ٢١١ خامساً: الاستهزاء بالقصص القرآني
- ٢١٢ (ب) التاريخ
- ٢١٢ اشاره
- ٢١٣ النظر في تاريخ الماضيّن وآثارهم
- ٢١٤ ٧. أسلوب التمثيل و التشبيه
- ٢١٤ اشاره
- ٢١٤ (أ) الهدف من ضرب الأمثال و التشبيهات
- ٢١٧ (ب) أهميه المثل في التبليغ و بيان الحقائق
- ٢١٩ (ج) من أمثال القرآن
- ٢٢١ ٨. أسلوب المقارنه و المقايسه
- ٢٢١ اشاره
- ٢٢٣ المقارنه الواعيه بين الماضي و الحاضر
- ٢٢٧ ٩. أسلوب التركيز على المسلّمات و المشتركات
- ٢٢٧ اشاره
- ٢٢٩ رسائل النبي إلى رؤساء العالم
- ٢٢٩ اشاره
- ٢٣٠ أولاً: رساله إلى المقوقس
- ٢٣٠ ثانياً: رساله إلى قيصر الروم
- ٢٣٠ ١٠. أسلوب التدرج
- ٢٣٠ اشاره
- ٢٣١ أمثله التدرج
- ٢٣١ اشاره
- ٢٣١ أولاً: مراحل بيان تحريم الخمر

٢٣٥	ثانياً:تحريم الرِّبا
٢٣٦	ثالثاً:التدرج في نزول القرآن
٢٤٠	١١.أسلوب الاستفهام
٢٤٠	اشاره
٢٤٣	أ)الاستفهام وإثارة العواطف
٢٤٣	ب)الاستفهام وإيقاظ الضمير
٢٤٤	ج)الاستفهام وإيقاظ العقول و الفطره
٢٤٤	١٢.أسلوب الحسم
٢٥٠	١٣.أسلوب الحوار
٢٥٠	اشاره
٢٥١	شروط الحوار الناجح
٢٥٤	١٤.أسلوب الترغيب و الترهيب
٢٥٤	اشاره
٢٥٤	أصلان تربويان
٢٦٠	١٥.أسلوب التلقين و التكرار
٢٦٠	اشاره
٢٦١	أنواع التلقين
٢٦٤	الفصلُ الثالث: يفيه الاستفادة من أساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام في إعلاننا المعاصر وفيه مباحث
٢٦٤	اشاره
٢٦٤	توطئه وتمهيد
٢٧٠	المبحث الأول:مفهوم الإعلام
٢٧٢	المبحث الثاني:إحياء الإعلام
٢٧٦	المبحث الثالث:قواعد الاستفادة من أساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام
٢٨٤	المبحث الرابع:إصلاح المؤسسات الإعلاميه
٢٩٠	الخاتمه
٢٩٠	اشاره

٢٩٠ نتائج البحث

٢٩٤ فهرس المصادر

٣٢٠ تعريف مركز

سرشناسه: موسوی، سید منتظر، ۱۳۵۸ -

عنوان و نام پدید آور: اسالیب التبلیغ عند الانبیاء علیهم السلام در اسه قرآنیه / السید منتظر الموسوی (الجابری).

مشخصات نشر: قم: مرکز المصطفی (ص) العالمی للترجمه والنشر، ۱۴۳۳ ق. = ۱۳۹۰.

مشخصات ظاهری: ۲۸۸ ص.

فروست: معاونیه التحقیق؛ ۳۲۹.

شابک: ۴۶۰۰۰ ریال: ۹۷۸-۹۶۴-۱۹۵-۵۶۳-۴

وضعیت فهرست نویسی: فایا

یادداشت: عربی.

یادداشت: کتابنامه: ص. [۲۷۹] - ۲۸۸؛ همچنین به صورت زیر نویس.

موضوع: قرآن -- تبلیغات

موضوع: پیامبران -- دعوت

موضوع: اسلام -- تبلیغات

شناسه افزوده: جامعه المصطفی (ص) العالمیه. مرکز بین المللی ترجمه و نشر المصطفی (ص)

رده بندی کنگره: ۲/۲۲۰/۸م الف ۵ ۱۳۹۰

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۳

شماره کتابشناسی ملی: ۲۵۸۱۰۶۹

ص: ۱

إن كان هذا الجهد مؤهلاً للإهداء، فأنى أهديه إلى الذين أوحى الله تعالى إليهم: (أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)، إلى الذين يبلغون رسالات الله ويرشدون عباده، وإلى كلِّ السائرين و الصابرين على هذا الخط و المقتدين بهداهم.

أهدى هذا الجهد المتواضع الذى هو من فيض هديهم المبارك، داعياً الله عز وجلّ الرضا لى ولوالدى، وأن يمنحنى القبول ويحشرنى فى زمرةهم بحق كلِّ نبي ورسول.

أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام دراسه قرآنيه السيد منتظر الموسوي (الجابري)

ص: ٣

أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام دراسه قرآنيه

المؤلف: السيد منتظر الموسوي (الجابري)

الطبعة الأولى: ١٤٣٣ق/ ١٣٩٠ش

الناشر: مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي لترجمه و النشر

المطبعة: زلال كوثر السعري: ٤٦٠٠٠ ريال عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

حقوق الطبع محفوظة للناشر

التوزيع:

قم، استداره الشهداء، شارع الحجتيه، معرض مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي لترجمه و النشر. هاتف -
الفكس: ٠٢٥٣٧٧٣٠٥١٧

قم، شارع محمد الأمين، تقاطع سالارويه، معرض مركز المصطفى صلى الله عليه وآله العالمي لترجمه و
النشر. هاتف: ٠٢٥٣٢١٣٣١٠٦ فكس: ٠٢٥٣٢١٣٣١٤٦

www.pub.miu.ac.ir

ص: ٤

(الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عِبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا) والصلوه و السلام على النبي الأمين محمّد صلى الله عليه و آله و آله الهداه المهديين و عترته المنتجبين و اللعن الدائم على أعدائهم أعداء الدين.

لقد شهدت علوم الدين مدى أربعة عشر قرناً على طيله تاريخها العلمى المشرف مستوى من التغير المستمرّ فى الحركة إلى الأمام على صعيد الثقافه و الحضاره الإسلاميه فأوجد تطوّراً منهجياً فى العلوم الرئيسه المختصّه بالشريعه ك:-الفقه الاسلامى و علم الكلام و الفلسفه و الأخلاق...و تبعاً لهذا الجانب ترك التطوّر انطبعا موازياً بينا فى العلوم الأدواتيه ك:-المنطق و علم الرجال و الحقوق....

وفى ضوء انتصار الثورة الإسلاميه الإيرانيه المعظمه و حدثها الداعى إلى رؤيه دينيه حديثه فى نطاق الحكم بغضون القرن الداعى إلى الانفلات من ظلّ الدين و الأيديولوجيه الدينيه و ما يعرض فى مسرح أحداثه من تطوّر فى مسار نظريات العلاقات الدوليه أو تصاعد الأسئلة المعرفيه المتعلقه بمفهوم الوجود و مستلزماته الشاغله لذهن الإنسان الحاضر و كذلك ما حصل من توسّع لدى علم الوجود الإنسانى فى ظلّ الأحداث و المتغيرات المعنيه بهذا الجانب؛ جعلت المفكر الإسلامى فى أعلى مستوى من المسؤوليه أكثر ممّا سلف خاصّه فى الدول الإسلاميه التى باتت فى محاوله ضروريه لمواجهة الشعارات الخوّاء فى عصر العولمه فى ضوء التدقيق و الملاحظه و النقد البّنّاء

لاجتياح أى فقره يخشى أن تسبب مشكلات فى مقتبل الأيام.

ومن هذا المنطلق يتطلب الصعيد الحوزوى النير لضروره الوقوف على آخر المستجدات الفكرية فى حقولها المتعدده والاستعانه بضروب من التحقيق العلمى الرصين بمعايير عالميه حيه لتوظف فى نطاق الدين و الشريعة للإجابة على المتطلبات العصريه و المنطلق الداعى إلى التكامل و التعالى فى ظلّ الدين و التزام نظامه فى العلم و الحياه من جهه أخرى حيث يتطلب الأمر من الحوزه العلميه مسؤوليه وضع حدّ لردع الجانب العولمى و تبعاته المنحطه على الإنسان بلحاظه العام.

و قد كانت رؤيه التصدى لهذا الأمر فى عنايه من مؤسسى الحوزه العلميه هذه الشجره الطيبه الذى (أضيلها ثابتٌ و فرعها فى السّماءِ)، سيما الإمام الخمينى رحمه الله الراحل وقائده المبجل الإمام السيد على الخامنئى دام ظلّه الوارف فى الوقت الراهن.

و قد سعت جامعه المصطفى صلّى الله عليه و آله العالميه فى ضوء ما تقدم لنيل النجاح فقامت بإرساء مركز المصطفى صلّى الله عليه و آله العالمى للترجمه و النشر حيث تكفل بنشر نتاج هذا الجانب العلمى الهامّ.

و إنّ هذا الدرّاسه أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام دراسه قرآنيه جاءت بجهود فضيله الأستاذ السيد منتظر الموسوى (الجابرى) متوافقه مع نسق الرؤيه السائده المتّبعه و هذه الأهداف الساميه.

كما ندعو أصحاب الفضيله والاختصاص بما لديهم من آراء بناءه وخبرات علميه ومنهجيه عصريه بالمساهمه معنا و المشاركه فى نشر علوم أهل البيت عليهم السلام.

وختاماً ليس لنا إلّا تقديم الشكر الجزيل لكافّه المساهمين الكرام بجهودهم الخاصّه بإعداد الكتاب للطباعه و النشر.

مركز المصطفى صلّى الله عليه و آله العالمى للترجمه و النشر

المقدمه ١٣

مدخل البحث

المبحث الأول: تعريف الأسلوب وفرقه عن الوسيله ٢١

١. الأسلوب لغه ٢١

٢. الأسلوب اصطلاحاً ٢١

٣. الفرق بين الوسيله و الأسلوب فى التبليغ ٢٢

المبحث الثانى: تعريف التبليغ ٢٥

١. التبليغ لغه ٢٥

٢. التبليغ اصطلاحاً ٢٦

٣. التتيجه ٢٨

المبحث الثالث: مفردات ذات صله ٣١

١. الدعوه ٣١

أ) الدعوه لغه ٣١

ب) الدعوه اصطلاحاً ٣٢

ج) موضوع الدعوه ٣٣

د) الفرق بين الدعوه و التبليغ ٣٥

ه) الفرق بين الدعوه و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ٣٨

أولاً: اختلافهما فى المعنى ٣٩

ثانياً:الاختلاف فى الترتيب الطبيعى ٣٩

ثالثاً:اختلافهما فى ميدان التطبيق ٤٠

رابعاً:الاختلاف فى كيفية الأداء ٤٠

٢.الإنذار ٤٠

٣.التبشير ٤٣

٤.التركيه ٤٤

٥.الجدل ٤٥

٦.النصح ٤٨

الفرق بين تبليغ الرساله وبين النصيحه ٤٩

٧.التذكير ٥٠

٨.الهدايه ٥١

٩.التبيين ٥٢

١٠.الإرشاد ٥٣

المبحث الرابع:معنى النبى وفرقه عن الرسول ٥٥

١.النبى لغه ٥٥

٢.النبى اصطلاحا ٥٧

٣.الفرق بين النبى و الرسول ٥٨

الفصلُ الأول:شروط التبليغ و المبلغ وفيه مبحثان

المبحث الأول:شروط المبلِّغ ٦٧

١.الوعى ٦٧

٢. الشجاعه ٧٢

٣. الإخلاص ٧٥

٤. الصبر ٧٨

٥. عزّه النفس ٨٦

٦. القول و العمل ٩٢

المبحث الثانى: شروط التبليغ ٩٧

١. مراعاة الزمان و المكان فى التبليغ ٩٧

ص: ٨

٢. معرفه فن التبليغ ١١٨

٣. عدم التكلّف ١٢١

٤. مطابقه الحق ١٢٣

٥. عدم المنّ ١٢٤

الفصلُ الثاني: بيان لأهمّ أساليب التبليغ

المبحث الأول: أهميه الأساليب في التبليغ ١٢٩

١. وعى المرحله وتنوع الأساليب ١٣٢

٢. القرآن الكريم يهذب الأساليب ١٣٥

المبحث الثاني: أهمّ أساليب التبليغ ١٣٩

١. أسلوب الحكمه ١٣٩

كلمه الحكمه ودلالاتها ١٣٩

٢. أسلوب الموعظه الحسنه ١٤٥

أ) فرق الموعظه عن غيرها ١٤٦

ب) الحُسن شرط في الموعظه ١٤٦

ج) شروط أخرى لتأثير الموعظه ١٤٨

٣. أسلوب الجدل ١٥٠

أ) فرق الجدل عن غيره ١٥١

ب) فرق وتقسيم ١٥٤

ج) الجدل ممدوح ومذموم ١٥٦

د) شروط الجدل الأحسن ١٥٧

ه) أمثله من الجدل الأحسن ١٥٩

و) الأحسن شعار المبلّغ ١٦٢

٤. أسلوب اللين و اللطف ١٦٦

٥. أسلوب التذكير ١٧٤

أ) الفرق بين التذكير و التنبيه ١٧٦

ب) الذكرى تنفع المؤمنين ١٧٧

ج) نماذج من التذكير بالنعم ١٧٨

أولاً: النعمه السياسيه والاجتماعيه ١٧٨

ثانياً: نعمه الإمداد الغيبى ١٧٩

ثالثاً: نعمه الرزق ١٧٩

ص: ٩

رابعاً: نعمه التفضيل على الآخرين ١٧٩

خامساً: نعمه الوحده ١٨٠

سادساً: نعمه القياده ١٨٠

د)الهدف من ذكر النعم ١٨٣

٦.أسلوب القصص و التاريخ ١٨٥

أ)القصه ١٨٥

أولاً: مفهوم القصه ١٨٥

ثانياً: أهداف القصص القرآنى ١٨٩

ثالثاً:القصه القرآنيه ومناهج الدّعه ١٩٢

رابعاً:نموذج من القصص القرآنى ١٩٤

خامساً:الاستهزاء بالقصص القرآنى ١٩٦

ب)التاريخ ١٩٧

النظر فى تاريخ الماضين وآثارهم ١٩٨

٧.أسلوب التمثيل و التشبيه ٢٠١

أ)الهدف من ضرب الأمثال و التشبيهات ٢٠١

ب)أهميه المثل فى التبليغ وبيان الحقائق ٢٠٢

ج)من أمثال القرآن ٢٠٤

٨.أسلوب المقارنه و المقايسه ٢٠٦

المقارنه الواعيه بين الماضى و الحاضر ٢٠٨

٩.أسلوب التركيز على المسلّمات و المشتركات ٢١٢

رسائل النبي إلى رؤساء العالم ٢١٤

أولاً: رساله إلى المقوقس ٢١٥

ثانياً: رساله إلى قيصر الروم ٢١٥

١٠. أسلوب التدرج ٢١٥

أمثله التدرج ٢١٦

أولاً: مراحل بيان تحريم الخمر ٢١٦

ثانياً: تحريم الزبا ٢٢٠

ثالثاً: التدرج في نزول القرآن ٢٢١

١١. أسلوب الاستفهام ٢٢٥

أ) الاستفهام وإثاره العواطف ٢٢٨

ب) الاستفهام وإيقاظ الضمير ٢٢٨

ص: ١٠

ج) الاستفهام وإيقاظ العقول و الفطره ٢٢٩

١٢. أسلوب الحسم ٢٣١

١٣. أسلوب الحوار ٢٣٥

شروط الحوار الناجح ٢٣٦

١٤. أسلوب الترغيب و الترهيب ٢٣٩

أصلا ن تربويان ٢٤١

١٥. أسلوب التلقين و التكرار ٢٤٥

انواع التلقين ٢٤٦

الفصل الثالث: كيفية الاستفاده من أساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام في إعلامنا المعاصر، وفيه مباحث

توطئه وتمهيد ٢٥١

المبحث الأول: مفهوم الإعلام ٢٥٥

المبحث الثاني: إحياء الإعلام ٢٥٧

المبحث الثالث: قواعد الاستفاده من أساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام ٢٦١

المبحث الرابع: إصلاح المؤسسات الإعلاميه ٢٧١

الخاتمه ٢٧٥

نتائج البحث ٢٧٥

فهرس المصادر ٢٧٩

ص: ١١

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاه وأتم التسليم على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا وحبيب قلوبنا أبى القاسم محمد صلى الله عليه وآله وآله الهداه المهديين الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

عُرِفَ التبليغ منذ العصور الأولى للتاريخ، وقد تعددت وتنوعت أساليبه وطرقه، وأخذت بالتطوّر والتجدد تبعاً لاختلاف الزمان والمكان، ونظم الحكم وظروف كلّ مجتمع؛ فلم يخل أى عصر من العصور أو أى مجتمع إنسانى من اعتماد أساليب خاصّه. فى التبليغ، حتّى وصلت إلى ما هى عليه الآن، حيث أصبحت اليوم عصب الحياه ووجه من وجوه الحضاره، ووجهً معبراً عن كلّ الأفكار والاتجاهات والظروف والنظم، فالتبليغ؛ وتنوّع أساليبه ظاهره اجتماعيه شقت طريقها إلى كلّ البيئات والعصور منذ كان الإنسان يحيا حياه بدائيه إلى الآن، حيث أصبح للتبليغ والإعلام فى عصر الثوره المعلوماتيه، والسبق التكنولوجى، وسهوله الاتصالات والارتباطات-شأناً عظيماً، ووصل إلى درجه كبيره من التأثير، بحيث أصبح قادراً على أن يزيّف الباطل فيجعله حقاً، والحق يجعله باطلاً، فهو اليوم يعد أكبر وأخطر سلاح بيد أعداء الدّين، يستخدمونه لهدم الإسلام، ومن هنا تبرز المشكله الكبيره التى تقع مسؤوليه معالجتها على أولى العلم، وبالذات المبلّغين والدعاة، إذ عليهم أن يدركوا أهميه التبليغ

والجانب الإعلامي؛ خصوصاً الأساليب الصحيحة و المؤثرة، إذ أن الأساليب المتبعة حالياً ليست بمستوى مواجهه ولا بمستوى الدّعوة، وقد أدت إلى تشويه وتغيير صوره الدّين و الرساله فى كثير من المواقع، مما يحتم علينا إعادة النظر فيها على وجه يعيد للفكر الإسلامى حيويته وقوته دون أى تنازل عن أسسه ودعائمه ومبادئه.

إذاً:فأساليب التبليغ تعالج مشكله التعامل مع الإنسان التى تختلف عن التعامل مع الفكره المجرّده، لأن الإنسان كائن متغير متنوّع فى عواطفه وتأثيراته، مما يقتضى منا التحرك معه بأساليب متنوّعه وفى كلّ الاتجاهات التى يمكن أن تأتى منها الرياح أو تتأثر بها الأجواء.

فأساليب التبليغ-باعتبارها فناً من فنون الخطاب القولى وأداه من أدوات التوصيل التى لا- يستغنى عنها؛ وطريقاً من طرق التأثير وإعادته صياغه الواقع بما يتلاءم مع الحاجات المتعدده و التطلعات المشروعه-أضحى من أشرف الوظائف و المهام فى حياه الإنسان، فهى الوظيفه و المهمه الأولى التى كُلف بها الأنبياء عليهم السلام، وما عداها يأتى بعدها، قال تعالى: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) ، (١) وقال أيضاً: (وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) . (٢)

من هنا صار التبليغ-فى حدّ ذاته-والأساليب التى اعتمدها الأنبياء عليهم السلام من أهم وظائف العلماء و المبلغين و المرشدين و الخطباء و المحاورين؛ لأنها الأداه و الطريقه التى بها يمارسون أعمالهم التبليغيه و الثقيفيه و التربويه، و واجباتهم الدينيه التى فُرضت عليهم بحكم وظيفتهم فى مجال بث الوعى، و تصحيح المفاهيم، و تثقيف الناس و تبصيرهم بأمر دينهم و دنياهم.

وعليه فإذا استطاع الإنسان أن يكون مبلغاً لدين الله تعالى فهذا يعنى أنه وضع أقدامه فى

ص: ١٤

١- (١). الأحزاب: ٣٩.

٢- (٢). العنكبوت: ١٨.

موضع سبقه فيه كل الأنبياء عليهم السلام، ولذا فمن الضروري أن نستكشف ونبين أساليبهم التبليغيه ونقتدى بها، باعتبارهم معصومين عن الخطأ، وقد اعتمدوا في تبليغهم الأساليب التي أمرهم الله بها، وبينها لنا القرآن الكريم، فيجب علينا الاستفادة منها واتباعهم في ذلك، قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّهُ هُوَ الْوَالِي لِلْعَالَمِينَ)، (١) وقال أيضاً: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي). (٢)

من هنا تتجلى أهميه الدراسه القرآنيه لأساليب الأنبياء عليهم السلام في التبليغ وأهميه وأثر الأسلوب الإلهي في نجاح التبليغ، مع ضروره القيام بهذا الدور و المهمه المتمثله بتثقيف المجتمع وتزويد المؤمنين و الرأي العام بالوعى لإدراك حقائق الدّين الإسلامي وأحكامه، ورد الشبهات وإظهار صورته الجميله التي كدرتها غيوم الكفر و الضلال.

ولهذا أصبح المبلّغ الإسلامي يشعر بالحاجه الماسه و الملحه إلى اتضاح الخط الأصيل الذي يجب أن يسير عليه في حياته العمليه؛ مما يدعوه إلى استنفار كل طاقاته الفكرية و العلميه و العمليه من أجل أن يعرف كيف يتعامل مع الواقع بأساليب مناسبه تنسجم مع المستوى الثقافى و الفكرى فيه، فيوفق لنشر رساله السماء بعد الوقوف على التجارب الحيه التي عاشها الأنبياء عليهم السلام؛ من خلال استحضار ملامح شخصياتهم الرساليه التي تمثل النموذج الأكمل لحركه الإنسان الرسالى في التبليغ، ودراسه أساليبهم واستلهام روحياتهم، والانتفاع بتجاربهم، ومن ثم ربطها بأساليبنا المتبعه اليوم كما تترابط في فكره العمل نفسه؛ مستمدين ذلك من الكتاب التبليغى الأول؛ والمصدر التشريعى الأصفى الذي لم يعلق به التغيير و التحريف و هو القرآن الكريم.

ورغم أن بعض العلماء قد تطرق بشكل ضمنى إلى مسأله أساليب التبليغ، إلا انه تبقى الحاجه الملحه لدراسه واكتشاف ذخائر التراث الدينى عبر العصور من شروط

ص: ١٥

١- (١). الأنعام: ٩٠.

٢- (٢). يوسف: ١٠٨.

وأساليب التبليغ والإعلام الناجح، ومن هنا جاءت هذه المحاولة المتواضعة لاستنباط واستكشاف الأسس والقواعد والأساليب والشروط والصفات التي تنظم العملية التبليغية والإعلامية؛ وتأثر تأثيراً كبيراً في نجاحها انطلاقاً من دراسته طبيعته تأثير الأسلوب في النتيجة، بعيداً عن الجانب الذاتى الخاص في المخاطب، فإن أساليب الأنبياء عليهم السلام التي ينبغي اعتمادها للوصول إلى فكر الإنسان ووجدانه تتعامل مع الأشخاص من موقع الدراسة الواعية لكل العوامل المؤثرة في أفكارهم ومشاعرهم، فلا بد أن تؤدي إلى النتائج المرجوة من تغيير شخصياتهم وحياتهم على أساس الدين والإسلام.

إنَّ للتبليغ الإسلامى الحقيقى حُسنَ مداخله إلى النفوس البشرية بأساليبه المتعدده والمتنوعه والمشوقه والجذابه والمقنعه والمؤثره، والمتصفه بصيغه المعاصره والصلاحيه لكل زمان ومكان، بل هى أحد خصائصه التى لم ولن يرق إليها أى تبليغ وإعلام آخر، ولهذا فيماكاننا بعد دراستنا لأساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام أن نستفيد منها فى توعيه المبلّغين وتعريفهم بالصفات والخصائص الضرورية التى ينبغى أن تتوفر فيهم كى تضمن تأثيرهم ونجاحهم فى أداء مهمتهم، بالإضافة إلى ذلك تحديد خطواتنا العلميه والعملية من خلال دراستنا للنتائج المصيريه لخطوات الأنبياء عليهم السلام، فنأخذ منها العبره فى طبيعتها ونتائجها، ونقوى دوافع التبليغ والدعوه إلى الله فى جميع تفاصيلها، بكل جهد، وبالأساليب الحيه التى يريد الله تعالى للإنسان- المبلّغ- من خلالها أن يعيش تاريخ وحياء الأنبياء عليهم السلام فيدرك الصوره الصحيحه للسلوك؛ ويتعرف على أبعاده بطريقه موضوعيه؛ وينوع أساليبه من أجل أن يلائم كلّ الأفكار؛ ويلتقى بالحقيقه من أكثر من طريق كى يحرز النفوذ إلى عقول الناس لتكوين قناعاتهم، فإذا لم يقتنع البعض بالفكره من خلال أسلوبٍ ما أمكنه أن يقتنع بأسلوب آخر، وإذا لم ينسجم مع بعض المواضيع أو الأمثله، أمكنه أن يجد الانسجام فى مفهوم أو مثل آخر ليعيش الناس الوعى القرآنى فى كلّ آيه من آياته، وفى كلّ فكره من أفكاره؛ فتحدث عندهم

بصيره تعيد لهم صوابهم إن كانوا ضالين واطرانهم إن كانوا مضطربين، وتهديهم في حيرتهم إن كانوا حائرين. وتزيل عنهم الغشاوه إن كانوا لا يروا ما يجب أن يروه.

وقد نحتاج في سبيل الوصول إلى هذا الهدف إلى إفساح المجال لجميع أساليب الأنبياء عليهم السلام التي تريد صنع الشخصية الدينيه الإسلاميه لدى كافة طبقات المجتمع من خلال الكلمه في إطار الوعي لمعانيها وأساليبها، ومن خلال إزاله الفجوه بين الناس وبين ما يحمله القرآن الكريم؛ وذلك من خلال ربط الناس بالدين الإسلامى الحنيف.

ومن هنا يبدأ تطور مؤسساتنا الإعلاميه باعتماد أساليب الأنبياء عليهم السلام في التبليغ باعتبارها اساليباً رائده في هذا المجال، وباعتبار الطبيعه المتشابهه للظروف الموضوعيه هنا وهناك، فبالمقارنه مع الظروف المختلفه في كلتا الحالتين نستطيع ترقية مؤسساتنا الإعلاميه وإيصالها إلى المستوى المطلوب وإظهارها بأفضل مظهر وأكمل مستوى في جميع المجالات، وخصوصاً تقويتها في مجال طرح الأفكار و المعلومات لتواجه حالات التشكيك و التضليل و الإثارة بعد تسليحها بأساليب الأداء و الإيصال الناجح و المؤثر و المثمر.

منتظر الموسوى (الجابرى)

٣/ رجب المرجب / ١٤٢٧هـ

ص: ١٧

مدخل البحث

اشاره

ص: ١٩

١. الأسلوب لغة

هو الطريق، والوجه، والمذهب، يقال: أنتم فى أسلوب سوء، ويجمع أساليب. (١)

والأسلوب: بالضم، الفن، يقال: أخذ فلان فى أساليب من القول، أى: أفانين منه.

وقد سلك أسلوبه: طريقته، وكلامه على أساليب حسنه. (٢)

فتحصّل لدينا أن الأسلوب فى اللغة يطلق على جملة من المعانى هى: الطريق، والوجه، والمذهب، والفن.

٢. الأسلوب اصطلاحاً

الأسلوب اصطلاحاً له عدة تعريفات:

١. الطريقه الكلاميه التى يسلكها المتكلم فى تأليف كلامه واختيار مفرداته. (٣)

ص: ٢١

١- (١). لسان العرب: ١/٤٧٣؛ تهذيب اللغة: ١٢/٤٣٥؛ تاج العروس: ٣/٧١.

٢- (٢). لسان العرب: ١/٤٧٣؛ تاج العروس: ٣/٧١.

٣- (٣). خصائص القرآن: ١٨.

٢. طريقه الإنشاء، أو طريقه اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعانى بقصد الإيضاح و التأثير. (١)

إذاً فالأسلوب هو العنصر الحيوى فى تحريك الفكر و الشعور نحو الارتباط بالقناعات؛ لأنه هو الذى يهيئ الجو النفسى للانسجام مع الفكره فى خطواتها العمليه.

٣. الفرق بين الوسيله و الأسلوب فى التبليغ

قال الراغب:

وسل: الوسيله التوصل إلى الشئ برغبه، وهى أخص من الوصيله لتضمنها لمعنى الرغبه، قال تعالى: (وَ ابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) (٢). (٣)

وقال الطريحي: أى: القربه إليه تعالى، (٤) ابن منظور يقول:

فالوسيله ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوُسل و الوسائل، وتوسل إليه بوسيله إذا تقرب إليه بعمل. (٥)

يقول الشيخ الطوسى قدس سره:

إن الوسيله هى القربه... وهى على وزن فعيله من قولهم توسلت إليه، أى: تقربت إليه، قال عنتره بن شداد:

إن الرجال لهم إليك وسيله أن يأخذوك فلجلجى وتخضبى

وقوله تعالى: (جاهدوا فى سبيله...) أمر منه بالجهاد فى دين الله؛ لأنه وصله وطريق إلى ثوابه.

ويقال لكل شئ وسيله إلى غيره هو طريق إليه، فمن ذلك طاعه الله، فهى طريق إلى ثوابه.

ص: ٢٢

١- (١). «الأسلوب»، دراسه بلاغيه تحليليه لأصول الأساليب الأدبيه: ٤٤.

٢- (٢). المائده: ٣٥.

٣- (٣). مفردات غريب القرآن: ٥٢٣.

٤- (٤). مجمع البحرين: ٤٩١/٥.

٥- (٥). لسان العرب: ٧٢٤/١١.

والدليل على الشىء طريق إلى العلم به، والتعرض إلى الشىء طريق إلى الوقوع فيه، واللفظ طريق إلى طاعه الله، والجهاد فى سبيل الله قد يكون باللسان و اليد و القلب، والسيف و القول، والكتاب. (١)

فالوسيله التبليغيه: هى الأداة الموصله إلى غايه؛ كاللغه مثلاً حيث إنها تُستخدَم لنقل الأفكار من المبلِّغ إلى المبلِّغ إليه، فكلما كانت اللغه واضحه و العبارات و الألفاظ دقيقه، والنبه الصوتيه ملائمه للمعنى و مؤديه للغرض المراد، أدى التبليغ وظيفته وأحدث التغيير المطلوب، و إن انتقاء العبارات واختيار الألفاظ من أساسيات التبليغ، و قد تصبح الألفاظ و العبارات اللغويه عائقاً من العوائق إذا لم يراع فى صياغتها ما يجعلها سلسه واضحه بعيده عن التحذلق و الغرابه.

أما أسلوب التبليغ، فهو الطريقه المقنعه و المؤثره فى الآخرين بما يتناسب مع الحال و المقام، وعليه فالوسيله هى الأداة التى يظهر من خلالها الأسلوب فالأسلوب هو هيئه و صورته و مظهر الوسيله التى تظهر و تُطرح به.

ومما تقدم يظهر لنا ما قاله بعض الكتاب فى الفرق بينهما، حيث قال:

تنحصر الوسائل -عموماً- فى الأدوات المستخدمه لتوصيل الدعوه إلى الناس، كالوسائل المقروءه و المسموعه و المرئيه؛ أما الأساليب، فتقتصر على أفانين الكلام و ضروب البيان، كأسلوب الترغيب، والترهيب. (٢)

ص: ٢٣

١- (١). التبيان: ٥٠٩/٣، حينما يمر بقوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) المائدة: ٣٥.

٢- (٢). الدعوه إلى الله تعالى: ١٢٩.

١. التبليغ لغةً

يقول ابن فارس:

الباء و اللام و الغين: أصل واحد و هو: الوصول إلى الشيء، تقول بلغت المكان إذا وصلت إليه. (١)

ويقول الفراهيدي:

بلغ الشيء يبلغ بلوغاً، وأبلغت إبلاغاً، وبلغت تبليغاً في الرسالة ونحوها. (٢)

ويقول الراغب الأصفهاني:

بلغ، البلوغ و البلاغ؛ الانتهاء إلى أقصى المقصد و المنتهى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدره، وربما يعبر به عن المشاركة عليه و إن لم ينته إليه. (٣)

وجاء في حديث الاستسقاء:

واجعل ما أنزلت لنا قوةً وبلاغاً إلى حين، البلاغ ما يتبَّع به ويتوصل إلى الشيء المطلوب. (٤)

ص: ٢٥

١- (١). معجم مقاييس اللغة: ٣٠١/١.

٢- (٢). كتاب العين: ٤٢٢/٤.

٣- (٣). مفردات غريب القرآن: ٦٠.

٤- (٤). لسان العرب: ٤١٩/٨.

وأضاف الزمخشري:

إن البلاغ بمعنى التبليغ كالسلام بمعنى التسليم، قال تعالى: (... وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)، (١) والمعنى من أهل البلاغ؛ أى: من المبلغين. (٢)

وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)، (٣) أى أوصل إليهم ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته.

إذن؛ تبين أن كلمه << تبليغ >> تدل، بمادتها الأصلية، أو قل: بجذرها اللغوى على معنى واحد، هو: الوصول إلى الشىء. وجميع المعانى الأخرى التى تدل عليها متصرفات هذا الجذر بشىء من التغيير عن طريق الزيادة أو التضعيف، لا يخرج هذه المتصرفات عن هذا المعنى الحقيقى لها، هو: الوصول، أو الإيصال، أو التوصيل إلى غايه مقصوده، أو حدّ مراد.

٢. التبليغ اصطلاحاً

وما قد ورد فى القرآن الكريم من لفظ: بلغ ومشتقاته يعود فى أصله إلى معنى الوصول إلى الشىء. ولذلك قال الشيخ الطوسى:

الإبلاغ: إيصال ما فيه بيان أمراً من أجل إفهامه إلى الآخرين، ومنه البلاغه التى هى إيصال المعنى إلى النفس بأحسن صورته من اللفظ. (٤)

وكذلك جاء فى تفسير نفس الآيه الشريفه أن التبليغ معناه:

التعريف بأنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه. (٥)

ص: ٢٤

١- (١). النور: ٥٤.

٢- (٢). الفايق فى غريب الحديث: ٤٩/٢.

٣- (٣). المائده: ٦٧.

٤- (٤). التبيان فى تفسير القرآن: ٤/٤٣٨، فى تفسير قوله تعالى: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي) الأعراف: ٦٢. محمد، السبزواري، الجديد فى تفسير القرآن: ٣/١٥٧؛ الطبرسى، مجمع البيان: ٤/٦٦٨.

٥- (٥). التفسير الكبير: ٥/٢٩٧؛ تفسير المنير: ٨/٢٥٧.

أى: أنزل لتبليغهم، وهو كفايه فى العظه و التذكير، وليعلموا بما فيه من الحجج. (١)

وفى قوله تعالى: (وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) ، (٢) قال الطبرسى:

أى: ليس عليه إلّا أداء الرساله، وبيان الشريعه، وليس عليه الاهتداء. (٣)

وكذلك: (إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) ، (٤) أى: ليس عليك إلّا إيصال المعنى. (٥)

وقال أبو حيان:

لما تقدم الترغيب و الترهيب، أخبر تعالى أنه كلف رسوله بالتبليغ، وهو توصيل الأحكام إلى أمته و هذا فيه تشديد على إيجاب القيام بما أمر به تعالى. (٦)

و قد جاءت هذه ماده (بَلَّغَ) فى [ثمان وستون] آيه من القرآن الكريم، و قد اختصت [خمس وعشرون] آيه منها بتبليغ الرساله، و باقى الآيات الشريفة تشمل بلوغ شىء أو إبلاغه إلى مكان أو زمان أو غيرهما. (٧)

إذاً: فما ورد فى القرآن الكريم من لفظ (بلغ) ومشتقاته يعود فى أصله إلى معنى الانتهاء و الوصول إلى غايه مقصوده، أو حدٍ مراد، سواء كان هذا الحد أو تلك الغايه مكاناً، أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدره معنوياً.

نحو قوله تعالى: (وَ لَا تَخْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ) ، (٨) أى: حتى يصل الهدى المكان المخصص له، والغايه أو الهدف هنا مكاني.

ص: ٢٧

١- (١). التفسير الكبير: ١١٥/٧، فى قوله: (هذا بلاغ للناس)؛ تفسير المنير: ٢٧٣/١٣.

٢- (٢). العنكبوت: ١٨.

٣- (٣). مجمع البيان: ٢٣٩/٧.

٤- (٤). الشورى: ٤٨.

٥- (٥). مجمع البيان: ٥٥/٩.

٦- (٦). البحر المحيط: ٣٠/٤، فى قوله تعالى: (وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ) .

٧- (٧). المعجم فى فقه لغه القرآن: ٦٠٩/٦.

٨- (٨). البقره: ١٦٩.

ونحو قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ) ، (١)بمعنى:حتى إذا وصل إلى الزمن الذى يكون فيه متكاملًا عقلاً وجسداً و هو الزمن الذى يكون قد مضى من عمره أربعون سنة،والغايه كما هو واضح زمانيه.

ونحو قوله تعالى: (قَالَ إِنَّ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعِيدٍ فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا) . (٢)أى:أننى قد وصلت إلى الحد الذى لا يقبل عنده عذرى.هو أمر معنوى.

وغالباً ما يستعمل معنى التبليغ فى الأمور المعنويه،ويقل فى الأمور المحسوسه نحو قولنا:أبلغت أو بُلِّغت زيدا رساله،أو فلاناً إنذاراً.

قال تبارك وتعالى: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصِّحُ لَكُمْ) ، (٣)بمعنى:أُننى مكلف بأن أوصل لكم رسالات الله،وهى تعاليمه وإرشاداته.

٣.النتيجه

والنتيجه التى نخلص إليها ممّا ذكره هى:أن لفظ التبليغ يدل فى الاستعمال اللغوى العام،وفى الاستعمال القرآنى،على الوصول،أو الإيصال أو توصيل شىء إلى آخر،أو إلى غايه مقصوده أو حدّ معين.

و أما تبليغ الأنبياء عليهم السلام:

فيعنى بيانهم الرساله الإلهيه للناس وإيصال المعارف الدينيه (٤)السماويه إليهم.و هذا من الوظائف الأساسيه لحركه الأنبياء و الرسل عليهم السلام وأوصيائهم فى المجتمع البشرى عبر التاريخ.

و أما أسلوب التبليغ:

فهو الأداه المعبّره التى ننفذ من خلالها إلى نفسه السامع لتغير ما يجب تغييره،أو

ص:٢٨

١- (١). الأحقاف:١٥.

٢- (٢). الكهف:٧٦.

٣- (٣). الأعراف:٦٢.

٤- (٤). إيصال التعاليم و الإرشادات الإسلاميه إلى الناس.

نمى ما يجب تنميته، ونحدث تغييراً إيجابياً فى شخصيه السامع بتحويله من حاله الغفله إلى اليقظه، ومن حاله اللاوعى إلى الوعى. وليبان ذلك نقول: إنَّ الأسلوب هو الأداء التى لها وقع على نفسيه السامع، وهو اصطناع واتخاذ طريقه للتبليغ متعدده المداخل، بحيث تلاءم الجمهور من جهه و البيئه التى يعيش فيها من جهه أخرى، والموضوع المعالج من جهه ثالته. وبعباره أخرى:

فإنَّ أسلوب التبليغ هو إحتواء الأصول و الأسس المنطقيه و العاطفيه و النفسيه و التكتيكيه، وكل ما يؤدى للنفوذ إلى أعماق نفوس الآخرين للتأثير الإيجابى فيها. (١)

إذاً: فأسلوب التبليغ هو الأداء اليقظ الحذر الذى يملك دقه الملاحظه، وعمق النظره، وصحه التشخيص، فيعالج المشاكل برفق ولين وحكمه، ولذلك حينما يتعرض أحد الكتاب لتعريف أسلوب الدعوه يقول:

إنَّ أسلوب الدعوه هو فنّ الدعوه، وأساليب الدعوه فنونها، وهى: الحكمه و الموعظه، والقوّه. (٢)

ويجب علينا باعتبارنا مسلمين أن نستلهم ونأخذ أساليبنا فى التبليغ و الدعوه إلى الله من القرآن الكريم، حيث إنه تعالى بينها فى كتابه الكريم لأنبيائه عليهم السلام، وأمرهم أن يتخذوها فى مواجهه الطغاه، فهذا القرآن الكريم يخاطب موسى وهارون يقول تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى). (٣) ويخاطب نبينا صلى الله عليه و آله فيقول عز وجل: (وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ). (٤)

فهذه الأساليب فى التبليغ و المواجهه مستمدّه من الله تعالى، حيث إنَّ القرآن

ص: ٢٩

١- (١). تفسير الأمثل: ٣٦٩/٨.

٢- (٢). مناهج الدعوه وأساليبها: ١٦.

٣- (٣). طه: ٤٤.

٤- (٤). الشعراء: ٢١٥.

الكريم يظهر الخط العريض لأسلوب التبليغ، ويبين الكيفيه التي ينبغي مواجهه الآخرين بها، كما لو كانت تتم عن طريق العنف، أو اللين و الرفق، أو الحكمه و الموعظه الحسنه، و هذا ما أشار إليه تعالى في قوله: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). (١) وهناك أساليب أخرى ذكرها القرآن الكريم نقف عليها مفصلاً إن شاء الله في فصل لاحق.

إذاً فمن مجموع هذه التعاريف اللغويه والاصطلاحيه نستطيع أن نقول: إن أسلوب التبليغ هو الطريقه المقنعه و المؤثره في الطرف المقابل و المتناسبه مع الحال و المقام، لتحقيق أهداف التبليغ.

ص: ٣٠

١- (١). النحل: ١٢٥.

إشاره

بعد أن انتهينا من تعريف التبليغ لغةً واصطلاحاً نتطرق إلى بعض المفردات التي ذُكرت في القرآن الكريم و التي لها صلة في معنى التبليغ.

فقد ورد لفظ التبليغ في القرآن الكريم بتعبيرات ومفردات مختلفه تبعاً لاختلاف بعض الخصوصيات فيها، سنشير إليها تباعاً إن شاء الله.

١.الدعوه

(أ)الدعوه لغة

هي النداء و الندبه والاستدعاء، فيقال: دعا الرجل دَعَوْاً ودعاءً، ناداه، والاسم الدعوه. (١)

ودعوت فلاناً، أى: صحت به واستدعيته.

قال الأخفش:

سمعت من العرب من يقول: لو دعونا لأندعينا، أى: لأجبننا، كما تقول: لو بعثونا لانبعثنا. (٢)

ص: ٣١

١- (١). لسان العرب: ٢٥٨/١٤-٢٥٩.

٢- (٢). الصحاح: ٢٣٣٦/٦؛ لسان العرب: ٢٥٨/١٤.

والداعيه: صريخ القوم فى الحروب لدعائه من يستصرخه. (١)

والدعوه: الدعاء إلى الطعام و الشراب، والدعاه: قوم يدعون إلى بيعه هدى أو ضلاله وأحدهم داع. (٢)

ب) الدعوه اصطلاحاً

الدعوه فى الاصطلاح الإسلامى:

إن القرآن الكريم يجعل أساس الدعوه الإسلاميه هو التوحيد، كما قال الله تعالى مخاطباً لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٣). (٤)

وقال الشيخ الطبرسى:

أى: أدعو إلى توحيد الله، وعدله، ودينه، على يقين، ومعرفة، وحجه قاطعه، لا- على وجه التقليد، (أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي)، أى: أدعوكم أنا، ويدعوكم أيضاً إليه من آمن بى ويذكر بالقرآن و المواعظه، وينهى عن معاصى الله. (٥)

إذاً: فحينما تطلق كلمه الدعوه وتضاف إلى النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فيقال مثلاً: النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ داعيه، يراد منه: أنه يدعو إلى التوحيد ونبذ الشرك. والداعيه بصوره عامه هو: الذى يدعو إلى دين أو فكره معينه، (٦) ومن حيث اللغه قد ألحقت الهاء للمبالغه آخر المفرده.

وفى كتاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى هرقل:

أدعوك بداعيه الإسلام، أى: بدعوتك، وهى كلمه الشهاده التى يدعى إليها أهل الملل الكافره. (٧)

ص: ٣٢

١- (١). كتاب العين: ٢٢١/٢؛ لسان العرب: ٢٥٩/٤؛ القاموس المحيط: ٣٢٧/٤.

٢- (٢). تاج العروس: ١٢٧/١٠؛ القاموس الفقهي: ١٣٠؛ لسان العرب: ٢٥٩/١٤؛ مجمع البحرين: ١٤٣/١.

٣- (٣). يوسف: ١٠٨.

٤- (٤). الميزان فى تفسير القرآن: ٢٩٢/٣.

٥- (٥). مجمع البيان: ٤٦٤/٥.

٦- (٦). القاموس الفقهي: ١٣٠؛ لسان العرب: ٢٥٩/١٤.

٧- (٧). القاموس الفقهي: ١٣٠؛ النهايه فى غريب الحديث: ١٢٢/٢.

فدعوه الأنبياء و الرسل عليهم السلام لأقوامهم واحده الجوهر،متشابهه الردّ و القبول،متماثله فى الغايات و النتائج،مقرونه بالمعجزات الداله على صدقهم بترتيب الله تعالى و إذنه.

فقوله تعالى: (وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا) ، [\(١\)](#)معناه:داعياً إلى توحيد الله وما يقرب منه.

فالنبي صلّى الله عليه و آله داعى الأمه إلى توحيد الله وطاعته،قال الله مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن: (وَلَوْأ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ) [\(٢\)](#). [\(٣\)](#)

وقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ...) ، [\(٤\)](#)أى:ناداهم إلى الإسلام بالحكمه،بالمحجه التى تثبت الحق وتزيل الشبهه. [\(٥\)](#)ولهذا يبين النبي صلّى الله عليه و آله وجه تسميته بالداعى،فيقول:

«و أمّا الداعى،فأنى أدعو الناس إلى دين ربي عز وجلّ». [\(٦\)](#)

ج)موضوع الدعوه

الموضوع:هو ماده التى يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه. [\(٧\)](#)

أما موضوع الدعوه الإسلاميه،فهو الإسلام الذى يعمل الداعيه على تبليغه وتعليمه وتطبيقه. [\(٨\)](#)ونعنى بالإسلام بمعناه الشامل للعقيده و الشريعة و الأخلاق،الذى بلغه النبي صلّى الله عليه و آله لجميع فئات الناس بما يناسب حال البلاغ و حال المبلّغ،لتميزه صلّى الله عليه و آله

ص: ٣٣

١- (١). الأعراب: ٤٦.

٢- (٢). الأحقاف: ٢٩-٣٠.

٣- (٣). لسان العرب: ٢٥٩/١٤.

٤- (٤). النحل: ١٢٥.

٥- (٥). الجديد فى تفسير القرآن: ٢٦٦/٤.

٦- (٦). الأختصاص: ٣٥.

٧- (٧). المعجم الوسيط: ١٠٤٠/٢.

٨- (٨). حمود، الحارثى، دعوه النبي صلّى الله عليه و آله للأعراب: ٦٩.

بالحكمه، (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). (١).

وبعبارة أشمل نستطيع أن نلخص دعوه الأنبياء و الرسل فى أمرين:

أ. العقيدة؛ ب. العمل.

وتتمثل مهمتهم فى مجال (العقيدة) فى الدعوه إلى الإيمان بالله، وصفاته الجماليه و الجلاليه و أفعاله تعالى، بينما المقصود من (العمل) هو التكليف و الأحكام التى يجب أن تقوم الحياه الفرديه و الاجتماعيه على أساسها.

والمطلوب فى مجال العقيدة إنما هو العلم و اليقين، ومن المسلم أنه لا يكون شىء ما حجه، وعبارة أخرى: لا يتسم بالحجيه، إلا ما يؤدى إلى هذا الأمر المطلوب. (٢).

و هو أن يكون داعيه بسلوكه و أخلاقه و بما يقدر عليه، فإن احترام الإسلام حق على المسلمين ألما يهينوه أو يشو هوه بسلوكهم، فسلوك المسلم وجهه لدينه و معتقده؛ لذلك جاء عن النبى صلى الله عليه و آله فيما يوصى به أبا ذر يقول صلى الله عليه و آله:

<< يا أبا ذر، مثل الذى يدعو بغير عملٍ كمثل الذى يرمى بغير وتر». (٣).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

<< كونوا دعاه للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع و الاجتهاد، و الصلاه و الخير، فإن ذلك داعيه». (٤).

ويقول أيضاً عليه السلام فى وصيته لابن جندب:

<< يا بن جندب، رحم الله قوماً كانوا سراجاً و مناراً، كانوا دعاءً إلينا بأعمالهم، و مجهود طاقتهم». (٥).

ص: ٣٤

١- (١). البقره: ٢٦٩.

٢- (٢). العقيدة الإسلاميه: ١٥٣.

٣- (٣). مكارم الأخلاق: ٤٦٥؛ أعلام الدين فى صفات المؤمنين: ١٨٧.

٤- (٤). وسائل الشيعه: ٧٦/١، الباب ١٦، الحديث ٢.

٥- (٥). تحف العقول: ٢٢١.

(د) الفرق بين الدعوة و التبليغ

بعد أن بيّنا معنى الدعوة وأنها مفردة من مفردات التبليغ، أو تعبير آخر عن التبليغ، نبين الآن بعض الفروق بينها-الدعوة-وبين التبليغ على ضوء ما توصلنا إليه من تعريفيهما في اللغة والاصطلاح.

أَنَّ الدعوة: هي حس الطلب و التلطف فيه من الداعية لدخول الناس إلى الإسلام أو التمسك به إن كانوا مسلمين قد ابتعدوا عن أصل الإسلام وروحه، أو بعبارة أخرى نقول:

إنَّ الدعوة الإسلامية مثلاً- تعنى دعوه غير المسلم إلى الدخول في الإسلام، ومنه سمي الجهاد الابتدائي (بجهاد الدعوة)، (١) أي: دعوه غير المسلم إلى الدخول في الإسلام، (٢) أو ابتداء الكفار بجهادهم في سبيل دعوتهم إلى الإيمان بالله عز وجل. (٣)

ولذلك لما جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فسأله أعلمهم فيما سأله، فقال: لأى شىء سميت محمداً وأحمد، وأبا القاسم وبشيراً ونذيراً، وداعياً؟ فقال صَلَّى الله عليه و آله: <<أما الداعى فإنى أدعو الناس إلى دين ربى عز وجل...>>.

(٤)

وكذلك يقول الإمام على عليه السلام:

«لما أراد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أن يدعو بنى هاشم إلى الإسلام، قال لى: يا على، اجمع لى بنى عبد المطلب حتى أكلمهم وأبلغهم ما أمرت، ففعلت ما أمرنى به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً أو ينقصونه، ثم تكلم رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فقال: يا بنى عبد المطلب، إتنى و الله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به، إنى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأىكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، و قلت- و أنى لأحدتهم

ص: ٣٥

١- (١). جواهر الكلام: ٦١/٢١.

٢- (٢). كشف الغطاء: ٣٩٥/٢.

٣- (٣). أجوبه مسائل جار الله: ٦٤.

٤- (٤). التفسير الصافى: ١٩٥/٤.

سنأ-أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فأسمعوا له وأطيعوا، قال: فقام القوم يضحكون». (١)

إذاً، فالمراد من الدعوة هو الدعوة إلى التوحيد، وعبادة الله تعالى، وترك عبادة الأوثان والأصنام، وتدل على هذا كثير من الآيات الشريفة، وأحوال جميع الأنبياء عليهم السلام فكلهم قد أمروا بدعوة الناس إلى التوحيد.

أما التبليغ، فهو حسن العرض لتعاليم الإسلام أو الدين، وإرشاد الناس إليها، وإيصال الأحكام إلى من يجهلها من المؤمنين الموحدين.

لذلك يقول الفخر الرازي:

إنّ تبليغ الرسالة معناه: أن يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسام أوامره ونواهيه... وقوله: (رِسَالَاتِ رَبِّي)، يدل على أنه تعالى حمّله أنواعاً كثيرة من الرسالة، وهي أقسام التكاليف من الأوامر والنواهي، وشرح مقادير الثواب والعقاب في الآخرة، ومقادير الحدود والزواج في الدنيا. (٢)

ب. إنّ الدعوة تتقدّم على التبليغ في الرتبة، بمعنى: أنّ الدعوة إلى الإسلام-أو إلى الدين بصورة عامه-تسبق تبليغ تعاليمه.

وبعبارة أخرى: التبليغ مرحلة ثانية تلي مرحلة الدعوة.

وللتوسّع في هذا يمكن أن نمثّل لذلك برجل أعدّ وليمه وجهازها للناس، فإنّ أول ما يقوم به ويفعله هو أن يدعو الناس إليها، وبعد تلبية الدعوة تأتي مرحلة تقديم المائدة.

وهذا هو عين ما أشار إليه النبي صلّى الله عليه وآله فيما ورد عنه:

<< ومثلي ومثلكم كرجل أعدّ وليمه ودعا الناس إليها فمن دخل أكل، ومن لم يدخل لم يأكل».

ص: ٣٦

١- (١). تاريخ الطبري: ١/٦٣؛ عبد الحسين، الأميني، الغدير: ٢/٢٨٨؛ الفرقان في تفسير القرآن: ٢٢/١١٧؛ الدر المنثور وجامع البيان ونور الثقلين والبرهان والبحار.

٢- (٢). التفسير الكبير: ٥/٢٩٧، عندما يفسر قوله تعالى: (أَبْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَانصَحْ لَكُمْ) الأعراف: ٦٢.

ولذا يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

<< بعثت داعياً ومبلغاً وليس إلى من الهدى شيء، وخلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء. » (١).

فكما ترون أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذكر ورتب التبليغ بعد ذكر الدعوه، أو كما يصف ذلك أمير المؤمنين عليه السلام حينما يقول:

«سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك عند خلقك خلقت داراً، وجعلت فيها مأدبه، مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخداماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وثماراً، ثم أرسلت داعياً يدعوا إليها، فلا الداعي أجابوا ولا فيما رغبت رغبوا، ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا، أقبلوا على جيفه، قد افتضحوا بأكلها». (٢).

فواضح من كلامه عليه السلام أن الخطوه الأولى هي (داعياً يدعوا إليها)، ثم بعد إجابته الداعي تأتي الخطوه الثانيه، وهي تقديم المأدبه و التعرف على تفاصيلها والاستفاده من خيراتها.

ج. إنَّ الدعوه إلى الله تعالى تحتاج إلى إذن منه تعالى لقوله تعالى: (وَ دَاعِياً إِلَى اللَّهِ يَأْذَنُ...) . (٣) بخلاف التبليغ، فلا يحتاج إلى إذن منه جلّ وعلا.

ولذا يقول الشيخ الطبرسي:

لم يقل وشاهداً يآذنه ومبشراً وعند الدعاء قال: وداعياً يآذنه؛ وذلك لأنّ من يقول عن ملك أنه ملك الدنيا لا غيره لا يحتاج فيه إلى إذن منه فإنه وصفه بما فيه، وكذلك إذا قال: من أطاعه يسعد ومن يعصيه يشقى يكون مبشراً ونذيراً، ولا يحتاج إلى إذن في ذلك.

و أما إذا قال تعالوا إلى سماطه، وأحضروا على خوانه، فإنه يحتاج فيه إلى إذنه، فقال تعالى: (وَ دَاعِياً إِلَى اللَّهِ يَأْذَنُ...) . (٤).

ص: ٣٧

١- (١). إيمان أبي طالب: ١٢٨.

٢- (٢). نهج البلاغه: ٢١١/١.

٣- (٣). الأحزاب: ٤٦.

٤- (٤). تفسير مجمع البيان: ٥٦٩/٨، في تفسير قوله تعالى: (وَ دَاعِياً إِلَى اللَّهِ يَأْذَنُ...) .

و أما الداعيه غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله مِنْ ولى أو إمام أو عالم، فهو مأذون من جبهه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كما قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...) . (١)

ويقول الشيخ المكارم:

إنَّ كل أعمال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بإذن الله وأمره، إلَّا أن الدعوه هي الوحيدة التي قيدت بإذن الله هنا؛ وذلك لأن أشق أعمال الأنبياء عليهم السلام وأهمها هي الدعوه إلى الله سبحانه، حيث يجب عليهم أن يسوقوا الناس في طريق يخالف ميولهم وشهواتهم، فيجب أن تستبطن إذن الله وأمره ونصرته في هذه المرحله ليتم تنفيذها. (٢)

فأضح إذاً أن الدعوه مما يحتاج لها إلى إذن من الله بخلاف التبليغ، فإنه لا يحتاج إلى إذن إذا توفرت فيه الشروط.

ومع هذه الفوارق التي ذكرتها إلَّا أن التوافق و المشتركات بين الدعوه و التبليغ أكثر وأعم ممَّا أدَّى إلى استعمال كل لفظ منهما مقام الآخر، وأهم هذه المشتركات هو التداخل بين وظيفه المبلِّغ و وظيفه الداعيه.

ه) الفرق بين الدعوه و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر

إشاره

قد يخيل للكثير أن مفهوم الدعوه يتسع، أو ينطبق، على مفهوم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، ويتوهموا أن المسألتين مسأله واحده، ونحن لا- ننكر أن لفظ الدعوه- بمفهومه اللغوى- يتسع للأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فإن الأمر بالمعروف يمثل الدعوه إلى فعل الخير و السير على طريقه، أما النهى عن المنكر فيمثل الدعوه إلى الابتعاد عن الشر والانحراف عنه، ففي كل منهما دعوه للعمل الصالح إيجاباً و سلباً.

ولكن الاصطلاح العام لهذه الكلمه: (الدعوه إلى الله) ضاق عنها، فلم يعد يتسع لها،

ص: ٣٨

١- (١). يوسف: ١٠٨.

٢- (٢). تفسير الأمل: ٢٩٨/١٣، فيما يخص الآيه الكريمة: (وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ...) .

ولا تصلح-الدعوة-لاستيعاب هذا المضمون؛ لأنها تمثل الحركة التي يقوم بها الدعاة المسلمون خارج نطاق المجتمع الإسلامى من أجل إدخال الآخرين إلى الإسلام.

أما الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، فهو العمل على تطبيق الإسلام من قبل المسلمين داخل المجتمع الإسلامى، وحمل المسلمين على السير فى طريق الإسلام من غير التواء وانحراف.

إذاً: فمما لا ريب فيه أنّ ثمة فارق كبير بين مسأله الدعوه، ومسأله الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، وأهم هذه الفوارق:

أولاً: اختلافهما فى المعنى

إنّ الدعوه إلى الخير الذى هو الإسلام، تعنى: طلب الدخول فى هذا الخير بكل جزئياته سواء كانت عقائديه أو تشريعيه.

أما الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عنوانها يتعلق بالتعاليم و الأعمال و التكاليف، وهى جزء من الإسلام، كالفواحش، والكبائر، والصغائر التى أمر الله بتركها، وكالصلاه، والصوم، وصله الرحم، والبرّ، وعمل الخير، وغيرها مما أمر الله بإتيانها.

ثانياً: الاختلاف فى الترتيب الطبيعى

فالدعوه إلى الإسلام-بحسب الترتيب الطبيعى المنطقى-مقدمه على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، بل إنّها مقدمه على التبليغ أيضاً، فبعد دعوه الناس للإسلام ودخولهم فيه وقبولهم له، تأتى مرحله التبليغ، مرحله إيصال شرائع الإسلام وأحكامه إلى من يجهلها من المسلمين، فيتعلم المسلم ما عليه فعله، وما عليه تركه، فإن فعل ما أمر بتركه، أو ترك ما أمر بفعله، حينئذٍ يأتى دور الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

فالمراد إذاً: من الأمر بالمعروف هو حثّ المسلم العارف بالحكم الشرعى على تطبيقه و العمل به، والمراد من النهى عن المنكر هو ردع المسلم عن عمل المنكر الذى يعلم أنه منكر.

وعليه فإنَّ هناك تدرجاً عملياً، أو مرحلياً بين هذه الأساليب الثلاثة يتمثل في أن الدعوة تسبق التبليغ، والتبليغ يسبق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثالثاً: اختلافهما في ميدان التطبيق

إن دائرة الدعوة وميدان العمل فيها أوسع من ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الدعوة ميدانها المجتمعات غير الإسلامية، وأما الأمر بالمعروف فيميدانه المجتمع الإسلامي فقط.

فلو ذهب المسلم [في عصرنا الحاضر] إلى مجتمع يبيح شرب الخمر، فلا- يمكنه أن يأمرهم أو ينهاهم، بخلافه في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: الاختلاف في كيفية الأداء

الدعوة تكون بالحكمه، و الموغظه الحسنه، والجدال الأ-حسن، والحوار الهادف أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكون باليد (القوه) إذا كان للأمر سلطان، أو اللسان، أو الهجران عن الشخص المرتكب للمنكر.

هذه أهم الفوارق بين الدعوة والتبليغ وبين الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢.١ الإنذار

هناك مفرده أخرى أعدّها القرآن الكريم معنى من معانى التبليغ، وهى: الإنذار.

والإنذار عباره عن: الإبلاغ، ولا يكون إلّا فى التخويف، والاسم: التُّذُر.

والمنذر: المعلم الذى يعرّف القوم بما يكون قد دهمهم من عدوٍ أو غيره، وهو المخوَّف أيضاً، وأصل الإنذار الإعلام. (١)

ففى قوله تعالى: (أَنْذَرْتَهُمْ)، أى: أعلمتهم بما تحذرهم منه ولا يكون المعلم منذرًا

ص: ٤٠

حتى يحذر بإعلامه، فكل منذر معلّم ولا عكس، ويقال: أنذره بالأمر أعلمه وحذّره وخوّفه في إبلاغه.

وقوله تعالى: (وَ جَاءَ كُمْ النَّذِيرُ) ، (١)الذير فعيل بمعنى المنذر، أى المخوّف، ويقال: جاءكم النذير يعنى: الشيب. (٢)

فمن معانى البلاغ قصد الإنذار، وكما قيل:

إن الإنذار: هو الإعلام و التحذير و التخويف فى البلاغ. (٣)

فكلمه بلاغ الوارده فى قوله تعالى: (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ) ، (٤)أو قوله تعالى: (إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا) ، (٥)يقول فيها بعض المفسرين: أن تعبير بلاغ قد قصد به كون القرآن أو الإنذار الذى احتواه هو بلاغ للسامعين، أو ما أمر النبي صَلَّى الله عليه و آله بتبليغه. (٦)

وسوف نذكر بعض آراء المفسرين فى هذا المجال، فمثلاً يقول الشيخ الطبرسى رحمه الله:

الإنذار: معناه التخويف بوعدده ووعيده، وأمثاله، وأمره ونهيه، وليذكروا بما فيه، (٧)والإنذار فى قوله تعالى: (لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) ، (٨)هو محاربه الوضع المنحرف بقوّه، والإنذار: هو التخويف مع التحذير، فالقرآن جاء منذر قبل أن يكون مبشراً و قد جاءت بعض الآيات تحصر عمل النبي صَلَّى الله عليه و آله فى الإنذار. (٩)

وذكر بعض المفسرين:

ص: ٤١

١- (١). فاطر: ٣٧.

٢- (٢). مجمع البحرين: ٤٩١/٣.

٣- (٣). دعوه النبي للأعراب، ينقلها عن القاموس المحيط/ماده نذر: ٦١٩.

٤- (٤). إبراهيم: ٥٢.

٥- (٥). الأنبياء: ١٠٦.

٦- (٦). المعجم فى فقه لغه القرآن: ٦٠٤/٦.

٧- (٧). تفسير مجمع البيان: ٦١١/٤.

٨- (٨). الشعراء: ١٩٤.

٩- (٩). تفسير مجمع البيان: ٣٢٢/٧.

إنَّ الإنذار: هو بمعنى الإعلام و التحذير عن عواقب الأمور قبل حلولها و التخويف فى الإبلاغ، وربما يستشتم من قوله تعالى: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً) ، (١) ومن قوله تعالى: (إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا) . (٢) ومن غير ذلك ممَّا يكثر ذكره فى الكتاب العزيز، إنَّ الإنذار هو الإعلام، إلَّا أنَّ أكثر استعمالاته فى الإعلام المشفوع بالتخويف، فالمنذر منه فى هذه الآيات هى الحصه الخاصه من العذاب و العقاب، وما هو مدلول اللغه هو مطلق التخويف و التهديد. (٣)

وفى قوله تعالى: (لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) ، يدخل تحت الإنذار الدعاء إلى كلِّ واجب من علم وعمل و المنع من كلِّ قبيح؛ لأن فى الوجهين جميعاً يدخل الخوف من العقاب. (٤)

وفى هذه الآيه الشريفه نفسها يقول السيد الطباطبائى:

(لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) أى: من الداعين إلى الله سبحانه بالتخويف من عذابه، و هو المراد بالإنذار فى عرف القرآن الكريم. (٥)

و قد ورد:

جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فسأله أعلمهم فيما سأله، فقال: لأى شىء سميت محمد وأحمد وأبا القاسم وبشير ونذير وداعى؟

فقال النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله:

«أما الداعى، فإنى أدعو الناس إلى دين ربي، و أما النذير فإنى أنذر بالنار من عصانى، و أما البشير فإنى أبشر بالجنه من أطاعنى.»

(٦)

إذاً: ثبت أن الإنذار مفردة أخرى من مفردات التبليغ ومعنى من معانيه.

ص: ٤٢

١- (١). فصلت: ١٣.

٢- (٢). النبأ: ٤٠.

٣- (٣). تفسير القرآن الكريم: ١٠٧/٣.

٤- (٤). التفسير الكبير: ٥٣٣/٨؛ المنير: ٢٢٢/١٩.

٥- (٥). الميزان فى تفسير القرآن: ٣١٩/١٥.

٦- (٦). كنز الدقائق و بحر الغرائب: ٤٠٦/١٠؛ تفسير القمى: ٣٦/٢؛ علل الشرائع: ١٢٧/١.

التبشير مفردة أخرى من مفردات التبليغ وأحد معانيه، فالتبشير: يكون بالخير و الشر، كقوله تعالى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (١). (٢)

والبشير: هو المبشر الذى يبشّر القوم بأمر خير أو شر. (٣)

ولهذا يذكر بعض المفسرين:

البشير المخبر بالخير، وتستعمل المادة فى الشر أيضاً، قال تعالى: (فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ). (٤)

وكلّ من يبشّر فقد أنذر قبلها، وليس كلّ من ينذر يبشّر بعدها، حيث البشارة تخص المؤمنين، ولا تأتى إلّا بعد النذاره، لمن يتأثر بالإنذار وبينهما عموم مطلق. (٥)

لذلك يقول الله سبحانه لنبىه صلى الله عليه و آله: (وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ [يا محمد] إِلَّا مُبَشِّرًا) (٦) بالجنة وثواب الله لمن أطاعه، ومخوفاً لمن عصاه بعقاب الله، وقال الحسن:

ما بعث الله نبياً قط إلّا و هو يبشّر الناس إن أطاعوا الله بالمنعه فى الدنيا و الآخرة، وينذر الناس أن عصوا عذاب الله فى الآخرة.

والبشارة: الإخبار بما يظهر سروره فى بشره الوجه، تقول: بشره تبشيراً وبشاره، وبشاره الأنبياء عليهم السلام مضمّنه بإخلاص العبادة لله تعالى. (٧)

وفى جواب النبى صلى الله عليه و آله لليهودى لما سأله عن معنى البشير، فقال:

<< و أما البشير، فإنى أبشر بالجنة من أطاعنى». (٨)

ص: ٤٣

١- (١). الانشقاق: ٢٤.

٢- (٢). لسان العرب: ٦١/٤.

٣- (٣). لسان العرب: ٦٣/٤؛ كتاب العين: ٢٥٩/٦.

٤- (٤). مواهب الرحمن فى تفسير القرآن: ٤١٤/١. حينما يمر بقوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا) البقره: ١١٩.

٥- (٥). الفرقان فى تفسير القرآن: ٣٢٧/٢٤.

٦- (٦). الفرقان: ٥٦.

٧- (٧). التبيان فى تفسير القرآن: ٥٠٠/٧.

٨- (٨). كنز الدقائق وبحر الغرائب: ٤٠٦/١٠؛ تفسير القمى: ٣٦٥/٢.

وهي معنى آخر من معانى التبليغ، وهدف من أهداف بعثه الأنبياء عليهم السلام. والتزكية فى اللغة: هى الإنماء، والتطهير و البركه و المدح وكله قد استعمل بالقرآن الكريم. (١)

وبذلك يتلخص الهدف النهائى من بعثه الأنبياء عليهم السلام فى دفع الإنسان على مسيره التكاملى العلمى و العملى. (٢)

وفى معنى قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ). (٣)

قال الجبائى:

«معناه يستدعيهم إلى فعل ما يزكون به، من الإيمان و الصلاح». (٤)

ويقول الفخر الرازى:

وأعلم أن كمال الإنسان فى أمرين:

أحدهما: أن يعرف الحق لذاته.

الثانى: أن يعرف الخير لأجل العمل به، فإن أخلّ بشيء من هذين الأمرين لم يكن طاهراً عن الرذائل و النقائص، ولم يكن زكياً عنها، فلما ذكر صفات الفضل و الكمال أردفها بذكر التزكية عن الرذائل و النقائص، فقال: (وَيُزَكِّيهِمْ...)، ومعناها: أن ما يفعله صلى الله عليه و آله سوى التلاوه و تعليم الكتاب و الحكمه، حتى يكون ذلك كالسبب لطهارتهم، وتلك الأمور ما كان يفعله عليه السلام من الوعد و الإيعاد، والوعظ و التذكير، وتكرير ذلك عليهم، ومن التشبث بأموال الدنيا إلى أن يؤمنوا و يصلحوا. فقد كان صلى الله عليه و آله يفعل من هذا الجنس أشياء كثيره ليقوى بها دواعيهم إلى الإيمان، والعمل الصالح؛ ولذلك مدحه تعالى بأنه على خلق عظيم، وأنه أوتى مكارم الأخلاق. (٥)

ص: ٤٤

١- (١). لسان العرب: ٣٥٨/١٤.

٢- (٢). تفسير الأمل: ٣٨٤/١.

٣- (٣). الجمعه: ٢.

٤- (٤). التبيان فى تفسير القرآن: ٤٦٧/١.

٥- (٥). التفسير الكبير: ٥٩/٢، فى هذه الآيه الشريفه: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

فالتزكية هي: أن يتخلى الإنسان عن الرذائل و الخبائث، ويتحلى بالفضائل، فهي التريه العمليه التي لها الأثر العظيم فى مطلق التريه و التعليم... وللتزكيه مراتب كثيره منها، الإرشاد المحض وإتمام الحجه. (١)

ويقول محمد السبزواری:

أى: يطهرهم من دنس العقائد الجاهليه وأعمالها القذره و يضرب لهم المثل بأقواله صَلَّى الله عليه و آله و بأفعاله و بأخلاقه الفاضله، و شيمه الطيبه، و سماته المباركه. (٢)

وفى قوله: (يُزَكِّيهِمْ...)، يقول الشيخ الطبرسى:

«يعرضكم لما تكونون به أزكيا من الأمر بطاعه الله و إتباع مرضاته». (٣)

ويقول الشيخ الكاشانى:

أى ليطهركم من أدناس الجاهليه، و يصلح أموركم، و يعرفكم ما تكونون به أزكيا. (٤)

٥. الجدل

الطريق الآخر الذى وضعه الله تعالى أمام رسوله لدعوه الناس إلى الدين هو: المناظره و المجادله. ولكن أيه مجادله، المجادله بالتي هي أحسن، التي لا تنتهى بالمرء و العدا، قال الله تعالى: (وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ). (٥) يقول الراغب الأصفهانى:

الجدال: المفاوضه على سبيل المنازعه و المغالبه. (٦)

و قد جاء فى القرآن الكريم و الروايات الإسلاميه نماذج للجدل المشروع المسموح

ص: ٤٥

١- (١). مواهب الرحمن فى تفسير القرآن: ١٤٥/٢.

٢- (٢). الجديد فى تفسير القرآن: ١٨٣/٢، فى تفسير قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)؛ نقلاً عن التبيان فى تفسير القرآن: ٣٠/٢.

٣- (٣). تفسير مجمع البيان: ٤٣٠/١.

٤- (٤). فتح الله، الكاشانى، زبده التفاسير: ٢٦٥/١.

٥- (٥). النحل: ١٢٥.

٦- (٦). مفردات غريب القرآن: ٨٩.

به الذى لم ينته إلى خصام، وفيما يلي نشير إلى بعضها، وهي تحدّد معايير خاصه يستطيع المسلمون اتباعها لو أرادوا الخوض فى مناقشات ومناظرات خاليه من المرء والعداء.

قال الإمام العسكرى عليه السلام عن آبائه عن الإمام الصادق عليه السلام وقد ذكر عنده الجدل فى الدين، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال الصادق عليه السلام:

<<لم ينه عنه مطلقاً لكنه نهى عن الجدل بغير التى هى أحسن، أما تسمعون الله تعالى يقول: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ، (١) و قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٢) فالجدل بالتي هى أحسن قد قرنه العلماء بالدين، والجدل بغير التى هى أحسن محرّم وحرّمه الله تعالى على شيعتنا، وكيف يحرم الله الجدل جملة، وهو يقول: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) قال الله تعالى: (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ، (٣) فجعل علم الصدق والإيمان بالبرهان، وهل يؤتى بالبرهان إلّا فى الجدل بالتي هى أحسن؟»

قيل: يا بن رسول الله فما الجدل بالتي هى أحسن و التى ليست بأحسن؟ قال: «أما الجدل بغير التى هى أحسن أن تجادل مبطلاً فيورد عليك باطلاً - فلا - ترده بحجه قد نصبها الله تعالى ولكن تجحد قوله، أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك الحق مخافه أن يكون له عليك فيه حجه؛ لأنك لا تدري كيف المخلص منه، فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء أخوانهم وعلى المبطلين، أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته وضعف فى يده حجه له على باطله.

و أما الضعفاء منكم فتغم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق فى يد المبطل، و أما الجدل بالتي هى أحسن: فهو ما أمر الله به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له.

ص: ٤٦

١- (١). العنكبوت: ٤٦.

٢- (٢). النحل: ١٢٥.

٣- (٣). البقره: ١١١.

فقال الله حاكياً عنه: (وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ) ، (١) فقال الله فى الرد عليه: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) . (٢)

فأراد الله من نبيه أن يجادل المبطل الذى قال: كيف يجوز أن يبعث الله هذه العظام وهى رميم؟ فقال الله تعالى: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) ، (٣) أفيعجز من ابتدئ به من لا شئ أن يعيده بعد أن يبلى؟ بل ابتدأوه أصعب عندكم من أعادته، ثم قال: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا)؛ إذ أكن النار الحاره فى الشجر الأخضر الرطب يستخرجها فعرفكم أنه على إعاده ما بلى أفدر.

ثم قال: (أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) ، (٤) أى: إذا كان خلق السموات و الأرض أعظم وأبعد فى أوهامكم و قدركم أن تقدروا عليه من إعاده البالى، فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم و الأصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعاده البالى؟ اقال الصادق عليه السلام: فهذا الجدل بالتى هى أحسن لأن فيها قطع عذر الكافرين، وإزاله شبههم». (٥)

يقول محمد تقى الفلسفى:

لقد بين الإمام الصادق عليه السلام هاتين الآيتين الكريمتين فى مقام الجدل المشروع و المجادله بالتى هى أحسن، وفى كلتا المجادلتين أوجب السائل وانتهى الجدل بلا مرأ و عداء. (٦)

ص: ٤٧

١- (١) .يس: ٧٨.

٢- (٢) .يس: ٧٩ و ٨٠.

٣- (٣) .يس: ٧٩.

٤- (٤) .يس: ٨١.

٥- (٥) .محمد باقر، المجلسى، بحار الأنوار: ١٢٦/٢.

٦- (٦) .البيان و فن الخطابه: ٢٠١.

وهكذا يقول الشيخ مكارم الشيرازي:

إذاً: فالمجادلة بالتي هي أحسن: إشاره إلى الأدلة التي تهدف إلى إفحام المخالفين من خلال إلزامهم بما به يقبلون... فالمجادلة: تختص بتخليه ذهن الطرف المخالف من الشبهات العالقه فيه و الأفكار المغلوطة ليكون مستعداً لتلقى الحق عند المناظره. (١)

و هو خطاب للنبي صَلَّى الله عليه و آله بأن يناظرهم بالقرآن وبأحسن ما عنده من الحجج، وتقديره بالكلمه التي هي أحسن، والمعنى أقتل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق و السكينه و لين الجانب في النصيحه، ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل: هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج. (٢)

٦. النصح

إشاره

أصل النصح: الخلوص.

والناصح: الخالص من العسل وغيره، و هو نقيض الغش، ومنه قوله تعالى: (وَ أَنْصَحْ لَكُمْ) (٣). (٤)

قال ابن الأثير:

النصيحه كلمه يعبر بها عن جمله هي إرادته الخير للمنصوح له، فليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمه واحده تجمع معناها غيرها. (٥)

والنصيحه: هي إرادته الخير للأمة وإرشادهم إلى مصالحهم خالصه لوجه الله. (٦)

ص: ٤٨

١- (١). تفسير الأمثل: ٣٦٤/٨.

٢- (٢). تفسير مجمع البيان: ٦٠٥/٦.

٣- (٣). الأعراف: ٦٢.

٤- (٤). لسان العرب: ٦١٥/٢.

٥- (٥). النهايه في غريب الحديث: ٦٣/٥.

٦- (٦). مولى محمد صالح، المازندراني، شرح أصول الكافي: ٩٨/٦.

فللنصح دور دائر لكل حائر تبقى حيرته لحد ما بعد ساطع البراهين الآفاقيه و الأنفسيه، وحقيقه النصح هي الإرسال إلى المصلحه مع خلوص النيه. (١)

ومعنى أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ينصح لهم:

هو عضاته بالإندار و التبشير ليقربهم من طاعه ربهم ويعدهم عن الاستكبار والاستنكاف عن عبوديته. (٢)

وتأكيداً لهذا المعنى أوضح القرآن على لسان بعض الأنبياء عليهم السلام أن وظيفتهم التبليغ و النصح؛ لأن الدين النصيحه، فقال على لسان نوح عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ). (٣)

وقال على لسان هود عليه السلام: (أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ). (٤)

ونقرأ في زياره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«وأشهد أنك قد بلغت رساله، وأديت الأمانه، ونصحت للأمه». (٥)

وفي كتاب النبي إلى النجاشي:

«وإني أدعوك إلى الله وحده، لا شريك له، والموالاه على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك و جنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت، فأقبلوا نصيحتي، والسلام على من أتبع الهدى». (٦)

الفرق بين تبليغ الرساله وبين النصيحه

المقصود من الرساله أمران:

الأول: تبليغ الرساله.

ص: ٤٩

١- (١). الفرقان في تفسير القرآن: ١١/١٩٢.

٢- (٢). الميزان في تفسير القرآن: ٨/١٧٥.

٣- (٣). الاعراف: ٦٢.

٤- (٤). الأعراف: ٦٨.

٥- (٥). محمد، ابن المشهدى، المزار: ٦٠.

٦- (٦). شرح أصول الكافي: ١١/٦.

الثانى: تقرير النصيحة، فقال تعالى: (أَبْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَ أَنْصَحْ لَكُمْ).

والفرق بينهما هو:

أن تبليغ الرساله معناه، أن يعرفهم أنواع تكاليف الله وأقسامه وأوامره ونواهيه.

و أما النصيحة، فهو أن يرغبه فى الطاعه ويحذره عن المعصيه ويسعى فى تقرير ذلك الترغيب و الترهيب لأبلغ الوجوه.

وقوله تعالى: (وَ أَنْصَحْ لَكُمْ)، قال الفراء: لا تكاد العرب تقول: نصحتك إنما تقول: نصحت لك، ويجوز أيضاً نصحتك.

قال النابغه:

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا رَسُولِي وَلَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ رَسُولِي

وحقيقه النصح الإرسال إلى المصلحه مع خلوص النيه من شوائب المكروه و المعنى: إنى أبلغ إليكم تكاليف الله، ثم أرشدكم إلى الأصوب الأصلاح، وأدعوكم إلى ما دعانى وأحب إليكم ما أحبه لنفسى. (١)

٧. التذكير

فهو من معانى التبليغ:

ففى قوله تعالى: (وَ ذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)، (٢) قال ابن عباس: يريد مواعظ للمصدقين، وقال الليث: الذكرى اسم للتذكرة. (٣)

وقوله تعالى: (هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ) (٤) أى: هذا التذكير و المواعظه بلاغ للناس، أى: كفايه فى المواعظه. (٥)

ص: ٥٠

١- (١). التفسير الكبير: ٢٩٧/٥؛ وهبه، الزحيلي، تفسير المنير: ٢٥٧/٨؛ تفسير الأمل: ٩٤/٥؛ التبيان فى تفسير القرآن: ٤٤٤/٤.

٢- (٢). الأعراف: ٢١.

٣- (٣). التفسير الكبير: ١٩٦/٥.

٤- (٤). إبراهيم: ٥٢.

٥- (٥). التفسير الكبير: ١١٤/٧.

فمهمّة الأنبياء عليهم السلام هي التذكير و الإنذار و التبشير لتحقيق الغايه القصوى من خلق المرسل إليهم،فقوله تعالى: (إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ) ، (١)أى:إن تليغى تذكير للناس،بل عظه للثقلين من الإنس و الجن. (٢)ويقول الشيخ الكاشانى فى هذه الآيه أيضاً:

أى:التبليغ أو القرآن،أو الغرض إلا ذكرى للعالمين إلا تذكير،وعظه لهم. (٣)

فإرسال الرسل و الأنبياء (ذكري) أى:تذكره نافع،وموعظه حسنه مؤثره ليتعظوا ويصلحوا. (٤)

٨. الهدايه

الهدايه تعنى:الإبانه و الإرشاد و التوضيح.وقال أبو عمرو بن العلاء فى معنى قوله تعالى: (أَ وَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ) ، (٥)أو لم يبين لهم. (٦)

وفى لغه أهل الغور:هديت لك،أى:بينت لك،وبها نزلت: (أَ فَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ) (٧). (٨)

و سميت العصا هادياً؛لأن الرجل يمسكها فهى تهديه تتقدمه،وكذلك الدليل يسمى هادياً؛لأنه يتقدم القوم ويتبعونه ويكون يهديهم للطريق. (٩)

وفى الحديث:

«من هدى زقاقاً كان له مثل عتق رقبه،هو من هدايه الطريق،أى عزّف ظالماً أو ضريراً طريقه». (١٠)

ص:٥١

١- (١). الأنعام: ٩٠.

٢- (٢). الجديد فى تفسير القرآن:٣/٦٢؛التفسير الصافى:٢/١٣٧.

٣- (٣). زبده التفاسير:٢/٤٢٦؛كنز الدقائق و بحر الدقائق:٤/٣٩٠.

٤- (٤). تفسير مجمع البيان:٧/٣٢٠؛تفسير المنير:٨/١٣٧؛الجديد فى تفسير القرآن:٣/١١٨.

٥- (٥). السجده:٢٦.

٦- (٦). لسان العرب:١٥/٣٥٤.

٧- (٧). طه:١٢٨.

٨- (٨). كتاب العين:٤/٧٨.

٩- (٩). كتاب العين:٤/٧٨؛لسان العرب:١٥/٣٧٥.

١٠- (١٠). النهايه فى غريب الحديث:٥/٢٥٤.

وفى قوله تعالى: (وَ أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ) ، (١) أى: عرفناهم، وبيننا لهم الحق ودعوناهم إليه، فاتبعوا الضلال وتركوا الهدى وهم يعلمون.

وقوله تعالى: (وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) معناه الدلالة، ومثله قوله تعالى: (فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ) ، وقوله تعالى: (قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ) ، وقوله تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) ، وقوله تعالى: (وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ) . (٢)

كل ذلك بمعنى الدلالة، وكذا قوله تعالى: (وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) ؛ (٣) لأن الآيه وارده فى معرض الامتنان ولا يمن بالإيصال إلى طريق الشر.

وقوله تعالى: (وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا) ، (٤) أى: يهدون إلى شرائعنا، ويقال يدعون إلى الإسلام. (٥)
فالمراد بالهدايه إذاً:

«بيان الدليل وشرحه وإيضاحه، (٦) وهو معنى من معانى التبليغ».

٩. التبيين

التبيين و هو يعنى: الإيضاح، والوضوح، [يقال: استبان الشىء، أى: ظهر، وأبنته، أى: أوضحتها، وفلاين أبين من فلاين، أى أفصح منه وأوضح كلاماً.

والبيان: الإيضاح مع ذكاء.

ومنه قوله تعالى: (حَمْدٌ * وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) ، (٧) أى: والكتاب البين.

ص: ٥٢

١- (١) .فصلت: ١٧.

٢- (٢) .الآيات بترتيب: الشورى: ٥٢؛ الصافات: ٢٣؛ يونس: ٣٥؛ الإسراء: ٩؛ التوبة: ١١٥.

٣- (٣) .البلد: ١٠.

٤- (٤) .الأنبياء: ٧٣.

٥- (٥) .مجمع البحرين: ١/٤٧٣.

٦- (٦) .تفسير المنير: ١٠٦/١٦.

٧- (٧) .الدخان: ١-٢.

وقيل معنى: (المُبِين) الذى أبان طرق الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمة. (١)

ومنه حديث آدم عليه السلام وموسى عليه السلام، أعطاك الله التوراه فيها تبيان كل شىء، أى: كشفه وإيضاحه.

ومعنى مبين، أى: بين الحق من الباطل، والحلال من الحرام، ومبين أن نبوه نبينا صلى الله عليه وآله حق. (٢)

والفرق بين البيان والتبيان هو: أن البيان جعل الشىء مبيناً بدون حجه، والتبيان جعل الشىء مبيناً مع الحجه. (٣)

وقوله تعالى: (يُبَيِّنُ لَكُمْ)، (٤) تعم تبيين كل ما يحق تبيينه من الحق من ظاهر أو باطن دونما استثناء. (٥)

١٠. الإرشاد

وهو -الإرشاد- تعبير آخر عن التبليغ.

«فالإرشاد: الدلالة و الهدايه، ورشد فلان إذا أصاب وجه الأمر و الطريق». (٤)

وإرشاد الضال: هدايته الطريق وتعريفه له، وقوله تعالى: (لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)، (٧) أى: لعلهم يصيبون الحق ويهتدون إليه. (٨)

وأرشده الله، وأرشدته إلى الأمر، ورشده هداه، والإرشاد الهدايه، والدلاله.

ص: ٥٣

١- (١). لسان العرب: ١٣/٦٧-٦٨.

٢- (٢). المصدر.

٣- (٣). مجمع البحرين: ٦/٢١٧.

٤- (٤). المائده: ١٩.

٥- (٥). الفرقان فى تفسير القرآن: ٨/٢٥٨.

٦- (٦). كتاب العين: ٦/٢٤٢.

٧- (٧). البقره: ١٨٦.

٨- (٨). مجمع البحرين: ٣/٥٠.

وفى أسماء الله تعالى الرشيد:

هو الذى أرشد الخلق إلى مصالحهم، أى: هداهم ودلهم عليها. وقيل: هو الذى تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سبيل السداد من غير إشارة مشير، ولا تسديد مسدّد. [\(١\)](#)

ص: ٥٤

١- (١). لسان العرب: ٣/١٧٥.

١. النبي لغة

قال الشيخ الطوسي رحمه الله:

النبي في العرف هو المؤدى عن الله تعالى بلا واسطه من البشر، ومعنى النبي في اللغة يحتمل أمرين:

الأول: «المخبر واشتقاقه من الإنباء الذي هو الإخبار، ويكون على هذا مهموز». (١)

وهذا ما أكدت عليه كتب اللغة أيضاً، حيث ذكرت أنّ النبأ مهموز: الخبر، وان لفلان نبأ أى خبراً، والفعل نبأته وأنبأته وأستنبأته، والجمع: الأنبياء.

والنبي صلى الله عليه وآله ينبي الأنبياء عن الله عز وجل. (٢)

فقوله سبحانه وتعالى: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ) ، (٣) النبأ واحد الأنبياء وهى: الأخبار.

كذلك قوله تعالى: (بَبْنَا بِنَأْؤِيلِهِ) ، (٤) أى: أخبرنا بتفسيره.

ص: ٥٥

١- (١). الطوسي، الاقتصاد الهادى إلى طريق الرشاد: ١٥١.

٢- (٢). كتاب العين: ٣٨٢/٨؛ لسان العرب: ١٦٢/١، عن الفراء؛ مجمع البحرين: ٤٠٤/١.

٣- (٣). النبأ: ١ و٢.

٤- (٤). يوسف: ٣٦.

وقوله تعالى: (وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ) ، (١)أى: يستخبرونك. (٢)

والهمز فى النبىء لغه رديئه، يعنى: لقله استعمالها، لا لأن القياس يمنع من ذلك.

ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله و قد قيل يا نبىء الله، فقال له:

<< لا تَبْر باسمى، فإنما أنا نبى الله.>>

وفى روايه:

<< فقال لست بنبىء الله ولكن نبى الله.>> (٣)

الثانى: أن يكون مفيداً للرفعه وعلو المنزله واشتقاقه يكون من النباهه التى هى: الارتفاع.

ومتى أريد بهذا اللفظ علو المنزله فلا يجوز إلّا بالتشديد بلا همز، وعلى هذا يحتمل ما ورد عن النبىء صلى الله عليه وآله << لا تنبروا باسمى>>، أى: لا تهمزوه؛ لأنه أراد علو المنزله، ولا يلزم أن يكون كل عال المنزله نبياً لأنه بالعرف صارت هذه اللفظه مختصه بمن علت منزلته، لتحمله أعباء الرساله و القيام بأدائها. (٤)

و هذا المعنى أيدته كتب اللغه أيضاً، حيث قيل:

أن النبىء مشتق من النبوه و النباهه، وهى الارتفاع عن الأرض، والمعنى أنه ارتفع وأشرف على سائر الخلق فأصله غير الهمز. (٥)

وهناك معنى آخر للنبىء قد ذكر فى كتب اللغه و هو أن النبىء:

الطريق الواضح يأخذك إلى حيث تريد، وقول أوس بن حجر:

لأصبح رتما دقاق الحصى مكان النبىء من الكائب

هو ما سهل من الأرض، و هو: رمل بعينه. (٦)

ص: ٥٦

١- (١). يونس: ٥٣.

٢- (٢). مجمع البحرين: ٤٠٤/١١.

٣- (٣). المصدر.

٤- (٤). الاقتصاد الهادى إلى طريق الرشاد: ١٥١.

٥- (٥). لسان العرب: ١٦٣/١؛ مجمع البحرين: ٤٠٤/١؛ محمد، الصالحى الشامى، سبل الهدى و الرشاد: ٢٧٨/٢.

النبي: هو الإنسان المخبر و المؤدى عن الله تعالى بغير واسطه من البشر، أعم من أن يكون له شريعته كمحمد صلى الله عليه و آله أو ليس له شريعته كحيي عليه السلام. (١)

وقال الشيخ المفيد رحمه الله:

أن الأنبياء سفراء الله باعتبار إبلاغهم أحكام الخالق إلى الخلائق، وهذا التبليغ من أظهر صفات السفراء. (٢)

وقال السيد الطباطبائي رحمه الله:

إن النبي هو الذى يبين للناس صلاح معاشهم ومعادهم من أصول الدين وفروعه على ما اقتضته عناية الله تعالى من هدايه الناس إلى سعادتهم. (٣)

ثم يقول:

وأعلم أن لوازم النبوه الوحي و هو نوع تكليم إلهي تتوقف عليه النبوه، قال تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ) (٤). (٥)

إذاً فالنبي مصطلح إسلامي بمعنى: إنسان ذى منزله رفيعه عند الله يوحى إليه، والنبوه منزله خاصه فضل النبي بها بما آتاه الله من العلم و قرب المنزله من الله تعالى، وهى نحو تبليغ للأحكام و قوانين مجعوله مشرعه. (٦)

و هذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبه له يذكر فيها آدم عليه السلام، حيث قال:

<< فأهبته إلى دار البليه و تناسل الذريه، واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرساله أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم،

ص: ٥٧

١- (١). مجمع البحرين: ٤٠٤/١؛ الاقتصاد الهادى إلى طريق الرشاد: ١٥١.

٢- (٢). تصحيح اعتقادات الإماميه: ٣٢.

٣- (٣). الميزان فى تفسير القرآن: ١٤٣/٢.

٤- (٤). النساء: ١٦٣.

٥- (٥). الميزان فى تفسير القرآن: ١٤٥/٢.

٦- (٦). الميزان فى تفسير القرآن: ١٥٠/٢.

فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، وأقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدره». (١)

فالنبي، إذاً هو صاحب هذه المنزله الرفيعه، وصاحب هذه المقامات العاليه، وهو الذى يقود الناس نحو الله تعالى فى عباداتهم ومعاشهم وفى كل أمورهم، وبحثنا خاص بدراسه أساليب تبليغ هؤلاء الذين أشعلوا الشموع فى طريق الإنسانيه جمعاء لكى تستنير بهداهم وتسير بخطاهم نحو الله تعالى ونحو الكمال المطلق الذى ليس بعده كمال.

٣. الفرق بين النبي و الرسول

الرسول: هو الذى ينزل عليه الوحي من قبل الله تعالى برساله أو بكتاب، أو بصحيفه، أو أمر أو نهى، وغير ذلك، ويكون بسبب ذلك مبلغاً عن الله تعالى إلى المرسل إليه من عباده، وإلى المكلفين من خلقه. (٢)

أو بعبارة:

ثقل هو المبعوث من قبل الله تعالى لهدايه الإنسان وتكليمه. (٣)

ومن هذا المنطلق يكون الفرق بينه وبين النبي من جهات:

الجهه الأولى

فى لزوم وجود شريعته وعدمه، ولزوم التبليغ وعدمه، فالنبي:

هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطه أحد من البشر أعم من أن يكون له

ص: ٥٨

١- (١). المصدر: ١٤٩/٢؛ الإمام على عليه السلام نهج البلاغه: ٢٣/١.

٢- (٢). الأنبياء حياتهم - قصصهم: ٩.

٣- (٣). مواهب الرحمن فى تفسير القرآن: ١٤٣/٢.

شريعته، كمحمد صَلَّى اللهُ عليه وآله أو ليس له شريعته كيحيى عليه السلام، مأمور من الله تعالى بتبليغ الأوامر والنواهي إلى قوم أم لا.

والرسول: هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بغير واسطه من البشر وله شريعته إما مبتدأه كآدم عليه السلام أو تكمله لما قبلها، كمحمد صَلَّى اللهُ عليه وآله مأمور من الله تعالى بتبليغ الأوامر والنواهي إلى قوم. (١)

وورد في الروايات أن الأنبياء على أربعة طبقات، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبى منبأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع ولا يعاينه في اليقظه ولم يبعث إلى أحد، وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط. ونبي يرى في النوم ويسمع ويعاين الملك في اليقظه، وقد أرسل إلى طائفه - قلاً أو كثيراً - كيونس عليه السلام، قال تعالى: (وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ) ، قال: يزيدون ثلاثين ألفاً، وعليه إمام والذي يرى في نومه ويسمع ويعاين في اليقظه، وهو إمام مثل أولى العزم، وقد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام، حتى قال الله تعالى: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (٢) من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً». (٣)

وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

<< إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتخذه نبياً، وإن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخذه رسولاً، وإن الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً، وإن الله اتخذ خليلاً قبل أن يتخذه إماماً». (٤)

وفي المروى الصحيح عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن الحسن بن محبوب عن الأحول قال:

ص: ٥٩

١- (١). النكت الاعتقادية: ٣٤.

٢- (٢). الآيات: الصافات: ١٤٧؛ البقره: ١٢٤.

٣- (٣). المازندراني، شرح أصول الكافي: ١/١٧٤.

٤- (٤). تفسير نور الثقلين: ٣/٥١٢.

سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول و النبي و المحدث؟ قال: <<الرسول الذي يأتيه جبرائيل قبلاً، (١) فيراه ويكلمه، فهذا الرسول، و أما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَسْبَابِ النَّبِيِّ قَبْلَ الْوَحْيِ حَتَّى أَتَاهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالرَّسَالَةِ، وَكَانَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ جُمِعَ لَهُ النَّبِيُّ وَجَاءَتْهُ الرِّسَالَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُخْبِرُ بِهَا جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُكَلِّمُهُ بِهَا قَبْلًا، وَهُوَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ جُمِعَ لَهُ النَّبِيُّ وَيُرَى فِي مَنَامِهِ وَيَأْتِيهِ الرُّوحُ وَيُكَلِّمُهُ وَيُحَدِّثُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ يَرَى فِي الْيَقْظَةِ، وَ أَمَّا الْمَحْدُثُ فَهُوَ الَّذِي يُحْدِثُ فَيَسْمَعُ وَلَا يَعِينُ وَلَا يَرَى فِي مَنَامِهِ». (٢)

والذي نفهمه من هذا الحديث وغيره من الأحاديث المعتبره أنه قد يجمع لشخص واحد النبوه و الرساله و الإمامه ك: نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَغَيْرَهُمَا، فَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ نَبِيًّا، وَلَيْسَ بِإِمَامٍ حَتَّى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). (٣)

الوجه الثاني

إنَّ النَّبِيَّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْبَشَرِ، بِخِلَافِ الرَّسُولِ، فَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ كَجِبْرَائِيلَ وَعِزْرَائِيلَ وَغَيْرَهُمَا، [قال الله تعالى]: (قَالُوا يَا لَوْ طُ إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ لَنْ نَصَبُلُوكَ إِلَّا لِيُكَلِّمَ)، (٤) قال الشيخ الطوسي: لا توصف الملائكة بأنهم أنبياء و إن كان فيهم رسل من قبل الله تعالى. (٥)

و قد يكون طيراً كهدهد سليمان بن داود [الذي أرسله إلى ملكه سبأ] أو غير ذلك من قبل الله أو من قبل المخلوق، [كما أشار إلى ذلك الشيخ الطوسي رحمه الله حينما تعرض للفرق بين النبي و الرسول، قال:

ص: ٦٠

١- (١). أي عياناً ومقابله.

٢- (٢). تفسير نور الثقلين: ٥٥١/٣.

٣- (٣). البقره: ١٢٤.

٤- (٤). هود: ٨١.

٥- (٥). الاقتصاد الهادي إلى سبيل الرشاد: ١٥١.

إن النبي لا- يكون إلّا صاحب المعجز الذى ينبئ عن الله، أى يخبر، والرسول إذا كان رسول الله فهو بهذه الصفه، وقد يكون الرسول رسولاً لغير الله، فلا يكون بهذه الصفه (١) كما هو واضح. (٢)

الجهه الثالثه

ما ذكره السيد الطباطبائى:

إنّ النبى و الرسول كليهما مرسلان إلى الناس، غير أن النبى بعث لينبئ الناس بما عنده من نبأ الغيب لكونه خبيراً بما عند الله، والرسول هو المرسل برسالة خاصه زائده على أصل نبأ النبوه كما يشعر به أمثال قوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَّسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) ، (٣) وقوله تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) . (٤) فلازمه أن للرسول شرف الوساطه بين الله وبين عباده، وللنبى شرف العلم بالله وبما عنده. (٥)

وقد وردت روايات أهل البيت عليهم السلام لتبين بعض الفوارق بين الرسول، والنبى، والمحدث.

فقد روى عن أحمد بن محمد بن أبى نصر، عن ثعلبه بن ميمون، عن زُرَّارِه، قال:

سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: (... وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) ، (٦) ما الرسول؟ وما النبى؟ فقال: «النبى الذى يرى فى منامه، ويسمع الصوت، ولا يعاين الملك، والرسول الذى يسمع الصوت، ويرى فى منامه ويعاين الملك».

ص: ٦١

١- (١). التبيان فى تفسير القرآن: ٣٤/٤.

٢- (٢). مواهب الرحمن فى تفسير القرآن: ١٤٣/٢؛ والأنباء حياتهم-قصصهم: ص ٩؛ وأشير إليه فى تفسير مجمع البيان: ١٤٤/٧.

٣- (٣). يونس: ٤٧.

٤- (٤). الإسراء: ١٥.

٥- (٥). الميزان فى تفسير القرآن: ١٤٣/٢، فى تفسير قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) .

٦- (٦). مريم: ٥١.

قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: «يسمع ولا يرى، ولا يعاين الملك». ثم تلا هذه الآية: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) (١).

(٢)

كذلك ما روى عن أحمد بن محمد ومحمد بن يحيى عن محمد بن الحسين، عن علي بن حسان، عن ابن فضال، عن علي بن يعقوب الهاشمي، عن مروان بن مسلم، عن بريد، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ)، قلت: جعلت فداك ليس هذه قراءة تنافى الرسول والنبى والمحدث؟

قال: «الرسول الذى يظهر له الملك فيكلمه، والنبى هو الذى يرى فى منامه، وربما اجتمعت النبوه و الرسالة لواحد، والمحدث الذى يسمع ولا يرى الصورة.

قال: قلت: أصلحك الله كيف يعلم أن الذى رأى فى النوم حق وأنه من الملك؟

قال: «يوفق لذلك حتى يعرفه، لقد ختم الله بكتابكم الكتب وختم بنبىكم الأنبياء». (٣)

إذاً فالنبوه و الرسالة مقامان، خاصه أحدهما الرؤيا وخاصه الآخر مشاهده ملك الوحي، وربما اجتمع المقامان فى واحد فاجتمعت الخاصتان، وربما كانت نبوه من غير رساله، فتكون الرسالة أخص من النبوه مصداقاً لا مفهوماً، كما يصرح به الحديث الوارد عن شيخ الصدوق عن عتبه الليثى عن أبى ذر رحمه الله، قال:

قلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال: «مائة وأربعة وعشرون ألف نبى». قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جمعاً غفيراً». قلت: من كان أول الأنبياء، قال: «آدم». قلت: وكان من الأنبياء رسلاً، قال: «نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه». (٤)

فعبارة: كم المرسلون منهم، تدلّ على أن الرسالة أخص من النبوه ولا عكس، وبذلك

ص: ٦٢

١- (١). الحج: ٥٢.

٢- (٢). الكافي: ١/١٧٦.

٣- (٣). تفسير نور الثقلين: ٣/٥١١؛ الكافي: ١/١٧٧.

٤- (٤). الخصال: ٥٢٤؛ معانى الأخبار: ٣٣٢.

يظهر الجواب عمياً اعتراضه بعضهم على دلالة قوله تعالى: (وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ) ، [\(١\)](#) أنه إنما يدل على ختم النبوه دون ختم الرساله، مستدلاً بهذه الروايه ونظائرها.

والجواب:

أن النبوه أعم مصداقاً من الرساله، وارتفاع الأعم يستلزم ارتفاع الأخص، ولا دلالة في الروايات كما عرفت على العموم من وجه بين الرساله و النبوه، بل الروايات صريحه في العموم المطلق. [\(٢\)](#)

ص: ٤٣

١- (١). الأحزاب: ٤٠.

٢- (٢). الميزان في تفسير القرآن: ٢/١٤٧-١٤٨.

الفصل الأول: شروط التبليغ و المبلّغ وفيه مبحثان

إشاره

ص: ٦٥

إشاره

إنّ من أهم الأركان التي لها أثر كبير في نجاح التبليغ، هو صفات المبلّغ وخصائصه الذاتيه، وما ينبغي أن يتوفر عليه من شروط ومميزات تميزه عن الآخرين، وتزيد من تأثيره و قدرته التبليغيه، مستلهماً ذلك من القرآن الكريم وشخصيات الأنبياء عليهم السلام.

فالمبلّغ إنّما يستطيع أن يصل إلى مشارف الموفقيه و النجاح، وأن يتبوأ مكانته الحقيقيه - كما امتداد لطريق الأنبياء و الذود عن القيم الدينيه - فيما لو توفرت فيه الشروط العلميه، والأخلاقيه، والعملية التي يرى الإسلام ضروره توفرها في الدعاه إلى طريق الله و القيم الإنسانيه و الإسلاميه.

و إذا لم يتوفّر في المبلّغ الحد الأدنى من هذه الصفات، فإنّ جهوده التبليغيه سوف لا - تعطى أي ثمره، بل تنعكس عليه، وعلى المجتمع بأضرار ومخاطر جمّه.

ومن أهم تلك الشروط و الصفات:

١. الوعي

الوعي لغه: هو حفظ حديث ونحوه، ويقال فلان أوعى من فلان، أي: أحفظ وأفهم. (١)

ص: ٦٧

١- (١). كتاب العين: ٢٧٢/٢؛ الصحاح: ٢٥٢٥/٦؛ معجم مقاييس اللغة: ١٢٤/٦؛ تاج العروس: ٢٦٨/٢٠.

وزاد في لسان العرب ومجمع البحرين:

أنه في الحديث: «نظر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فربّ مبلغ أوعى من سامع». وقال الأزهري: الوعى: الحافظ الكيس الفقيه العالم. (١)

وفي قوله تعالى: (وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)، (٢) أى: وتحفظها أذن حافظه، يقال: وعيت العلم، ووعى قلبه العلم يعيه وعياً. وقال الشاعر:

إذا لم تكن واعياً حافظاً فجمعك للكتب لا ينفع

فمعنى: واعيه ممسكه ما يحصل فيها. (٣)

وقد ورد في الحديث:

<< لا يعذب الله قلباً وعى القرآن، أى: عقل القرآن إيماناً به وعملاً، فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده فإنه غير واع له. (٤)

و أما في الاصطلاح: فيقول صاحب تفسير الأمثل:

إن الإنسان تاره يسمع كلاماً ما إلا أنه كأن لم يسمعه، وفي التعبير السائد: يسمع بأذن ويخرج من الأخرى.

وتاره أخرى يسمع الكلام ويفكر فيه ويتأمله، ويجعل ما فيه خير في قلبه، ويعتبر الإيجابي منه مناراً يسير عليه في طريق حياته و هذا ما يعبر عنه ب- (الوعى). (٥)

ثم يقول في موضع آخر:

وخلاصه القول أنه يجب أن تتوفر في الخطيب أو [المبلغ] عناصر الوعى و التفكير الصحيح و المتابعه لشؤون المسلمين، ليستثمر الخطبه في تحقيق الأهداف الإسلاميه العليا، ويدفع المسلمين نحوها. (٦)

ص: ٦٨

١- (١). لسان العرب: ٣٩٦/١٥؛ ومجمع البحرين: ٥٢٣/٤.

٢- (٢). الحاقه: ١٢.

٣- (٣). التبيان في تفسير القرآن: ٩٨/١٠.

٤- (٤). مجمع البحرين: ٥٢٣/٤؛ على ابن الطاهر، المرتضى، الأمالى: ٨٤/٢.

٥- (٥). تفسير الأمثل: ٥٧٩/١٨، حينما يمرّ بقوله تعالى: (وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ).

٦- (٦). تفسير الأمثل: ٣٤٤/١٨.

ولهذا ينبغي أن يكون المبلِّغ على مستوى كافٍ من الوعي والبصيره، فهو الممثل للوعي الرسالي في أعلى مستوياته، وهو الحامي والداعم له.

فإذا أراد المبلِّغ أن يؤدي وظيفته بنجاح ينبغي عليه أن يكون واعياً لما يريد أن يتناوله ويطرحة على الناس، ملتفتاً للغزو الثقافي و الفكرى، و متمكناً من ردّ الشبهات التي تثار من حوله، وأن يطرح مطالبه دائماً بطريقه استدلاليه علميه مقبوله عقلياً و علمياً و دينياً، مستعيناً على ذلك بالقرآن الكريم، وسيره النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام عليهم السلام، كي يصغى الجمهور إلى قوله و يتلقوه بقبول حسن على أساس ما يتمتع به من وعى و صلاحيه علميه و كفاءه معرفيه.

ولو أن العلماء و المبلِّغين و الهادين و المرشدين شنوا حمله شامله لتنوير أفكار عامه الناس بحيث تنال المجتمعات قسطاً من الوعي و الرشد الفكرى والاجتماعى، لانتشرت رساله السماء بأسرع و أفضل صورته ولسارت قيم الخير و الصلاح فى مجتمعاتنا عامه.

ومن الواضح

أنه كلما ازداد مقام الإنسان من حيث العلم و الوعي و المعرفه و الإيمان، ازدادت قيمه و عمق و منطقيه الأعمال الخيره التي يقوم بها، بدرجة نسبه الوعي و العلم و المعرفه. (١)

ويتضح هذا المعنى أيضاً فى كثير من الأحاديث و الروايات الشريفه، فعن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال:

«للعدل أربع شعب: غوص الفهم، وزهره العلم، وشرائع الحكم، وروضه الحلم، فمن غاص الفهم فسر مجمل العلم، ومن وعى زهره العلم عرف شرائع الحكم، ومن ورد روضه الحلم، لم يفرط فى أمره وعاش فى الناس و هو فى راحه». (٢)

إذاً: فيا مكاننا بعد هذا الذى تقدم أن نعتبر أن الوعي الذى يحتاجه المبلِّغ هو:

المعرفه التامه و الكامله بالمبدأ و الهدف الذى يسعى إليه، و هو الرشد الفكرى

ص: ٦٩

١- (١). تفسير الأمثل: ٧٧/٩.

٢- (٢). كنز العمال: ٢٨٧/١؛ معدن الجواهر: ٤١.

والاجتماعى،الذى يمكنه من إدراك الحقائق،وفهم وتميز ما يدور حوله من شؤون المسلمين وغير المسلمين-من مخططات الأعداء و المغرضين-ويجعله يقضاً عارفاً بالظروف الزمانيه و المكانيه والاجتماعيه و السياسيه التى يمر بها،وقادراً على التعامل معها بكل تعقل وحكمه.

فالوعى صفة مشتركة بين كل المسئولين عن التبليغ،سواء كانوا أنبياء أو أوصياء أو علماء أو صلحاء،لذلك يحدثنا القرآن الكريم على لسان نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي). (١)

فالنبى صلى الله عليه وآله،ومن يخطو على خطاه يجب أن يكون على مستوى عالٍ من الوعى و البصيره التى يتمكن بها من رؤيه الحقائق وتمييز الحق من الباطل،والصحيح من الخطأ،والخير من الشر.

يقول الشيخ الطوسى:

والبصيره:المعرفه التى يميز بها بين الحق و الباطل فى الدين و الدنيا،يقال:فلان على بصيره من أمره أى كأنه يبصر بعينه. (٢)

قال تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ). (٣)

فالمبلغ الواعى الذى يميز الحق ويعمل به ويهدى الناس إليه هو أولى بالاتباع ممن هو محتاج إلى الهدايه: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى). (٤)

أما المبلّغ غير العالم،والفاقد للوعى و البصيره،فهو يتبع الهوى ويسير على غير هدى و قد نهى الله تبارك و تعالى عن إتباعه،قال عز من قائل: (وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). (٥)

ص:٧٠

١- (١). يوسف:١٠٨.

٢- (٢). التبيان فى تفسير القرآن:٢٠٥/٦، فى تفسير قوله تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي).

٣- (٣). الأنعام:١٠٤.

٤- (٤). يونس:٣٥.

٥- (٥). الجاشيه:١٨.

ويؤكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذا المعنى، فينهى عن التكلم بغير علم ووعى وبصيره فيقول عليه السلام:

<<ولا تقل ما لا تعلم؛ ففتهم بأخبارك بما تعلم!>>. (١)

وعنه عليه السلام:

<<لا تخبر بما لم تحط به علماً>>. (٢)

وعنه عليه السلام:

<<استصحبوا من شعله واعظ متعظ، وأقبلوا نصيحه ناصح متيقظ، وقفوا عند ما أفادكم من التعليم>>. (٣)

ويخاطب همّام فيقول:

<<يا همّام! المؤمن هو الكيس الفطن>>. (٤)

حيث أنه الكياسه و الفطنه من شروط المبلّغ المؤمن الواعى.

ويمكن أن نصوّر الوعى لدى المبلّغ فى كثير من المجالات، ونجعله يشمل كثيراً من الموارد:

فمن موارد: التدبر فالمبلّغ إذا أراد أن ينجز عملاً ما، أو يقدم على مشروع معين، فعليه أن يتدبر ويفكر فى نتائجه وعاقبته، فإن يك خيراً وفيه مصلحة فليفعل وإلّا فليترك.

قال الإمام الباقر عليه السلام:

<<إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك خيراً ورشداً فأتبعه وان يك غياً فدعه>>. (٥)

ومن أهم وأخطر ما يقوم به الإنسان هو وظيفه التبليغ الدينى، لذا يجب أن يتوفر على تدبر وتفكر واعى ودقيق.

ومن موارد: الاستقلاليه، فينبغى للمبلّغ الواعى أن لا يكون أداه وآله بيد الحكومه،

ص: ٧١

١- (١). عيون الحكم و المواعظ: ٥٣٠، حديث ٩٦٣٩.

٢- (٢). غرر الحكم ودرر الكلم: ١٠٢٧٩.

٣- (٣). عيون الحكم و المواعظ: ٢١٦٤/٩٢.

٤- (٤). أصول الكافى: ٢٢٦/٢.

٥- (٥). بحار الأنوار: ١٣٠/٧٧.

والأحزاب و الفئات، فهو مبلغ ومرشد، ومعلماً وهادياً لجميع الناس، فلا ينبغي له أن يميل أو ينحاز لحزب أو لفئة خاصة، وهذا ما نستلهمه من حياه المبلغ الأعظم، نبينا الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حيث إنه علمنا على عدم الانحياز إلى، أى: جهه مهما كانت، فلما دخل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ المدينة استقبله الناس، وكانت القبائل تدعوه لتتشف به، وكبار المدينة وأعيانها يتسابقون على الإمساك بعنان الناقة وهدايتها إلى بيوتهم ليتشرفوا بوجود النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في بيوتهم. ولكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لوعيه وبصيرته قال لهم: < >خلو سبيلها فأنها مأموره». (١)

وبذلك أثبت لجميع المسلمين وأهل المدينة عدم انحيازه لأحد.

إذاً: فالوعى و البصيره من أوائل الشروط الضرورية و المهمه التى ينبغى أن يتّصف ويتسلح بها المبلغ، فى جميع المواطن و الظروف التى يمر بها.

٢. الشجاعه

ومن الصفات الأخرى التى يتحلّى بها المبلغ الشجاعه و الإراده القويه، والعزم الراسخ و المستحكم، وذلك إنما يحصل بعد الإيمان بالمبدأ و الغايه و الهدف، بل بعدما يصل المبلغ إلى إنكار ذاته من أجل مبدئه وهدفه، والتضحيه فى سبيله بكل غالٍ ونفيس، وذلك بدافع قوى من إيمانه الراسخ، جاعلاً قدوته فى هذا الطريق الملىء بالمصاعب هم الأنبياء عليهم السلام بصوره عامه، ونبينا الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بصوره خاصه، فله بهم أسوه حسنه، حيث أنهم لاقوا ما لاقوا من المصاعب و المشاكل و المحن و الآلام فى هذا الطريق ولكنهم واجهوها بكل شجاعه وإرادته وحزم.

فهذا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أرادت منه قريش أن يترك تبليغ الرساله مقابل عوض يعطوه إياه، تصدى لهم بكل شجاعه، وقوه جازماً غير متزلزل ولا متردد، قائلاً:

< >والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر ما تركته». (٢)

ص: ٧٢

١- (١). بحار الأنوار: ١٠٨/١٩.

٢- (٢). ابن أبى الحديد، المعتزلى، شرح نهج البلاغه: ٥٤/١٤؛ أبى الفداء إسماعيل، ابن كثير، السيره النبويه: ٤٧٤/١.

فلأنه صَلَّى الله عليه و آله على أتم الإيمان بمبدئه وغايته وهدفه، صار ذا شجاعه وقوه وعزم وصلابه وثبات في كل الظروف و المواطن التي مر بها صَلَّى الله عليه و آله ومنها مباهلته مع نصارى نجران، فقد استعد صَلَّى الله عليه و آله للمباهله مع النصارى، وقبل أن يتحمّل الهلاك، ولعنه الله إن كان من الكاذبين، وحاشاه من ذلك، وأخرج معه أعز أهله وأولاده، -وذلك لإيمانه الكبير بأحقيه طريقه ومسلكه الذى سلكه فأنتج عنده هذه الشجاعه والقوه فى مواجهه الكفار- كما فى قوله تعالى: (فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ). (١)

و قد أثمرت تلك الشجاعه و الإراده القويه تلك الانتصارات و الفتوحات العظيمه و الكبيره فى كل العالم.

فإذاً: الشجاعه التى ينبغى أن يتصف بها المبلّغ هى: القدره، والجراه فى بيان الحقائق، ومواجهه الانحرافات و الأباطيل و الشبهات و البدع بحزم وقطع تام، وبيان نهج المجرمين وأساليبهم ومؤامراتهم، كما أمر الله عز وجلّ بذلك فقال: (وَ لَسْتَ تَبِينُ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) ، (٢) فيعرضها للجميع ولا يكتمها خوفاً من المستكبرين و الطغاه و الظالمين، ولا يخشى فى ذلك أحد إلا الله عز وجلّ: (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ). (٣)

هذا ما ينبغى أن يتحلّى به المبلّغ من الشجاعه و الإراده القويه وإلّا فهو معرض للعنه الله، حيث قال النبى صَلَّى الله عليه و آله:

<< إذا ظهرت البدع فى أمتى فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنه الله». (٤)

ص: ٧٣

١- (١). آل عمران: ٦١.

٢- (٢). الأنعام: ٥٥.

٣- (٣). الأحزاب: ٣٩.

٤- (٤). أصول الكافي: ٥٤/١.

فلو داخل العالم أو المبلِّغ نوع من الجبن أو التقاعس و التماهل و فقد الشجاعه على نشر رسالته، سوف يكون مقصراً ومحاسباً ومسئولاً عن عدم القيام بوظيفته التي هي بيان الحق في الظروف التي يحتاج فيها الناس إلى معرفه الحق، فوضيفته أن يوضح الحق و يظهره بكل شجاعه وجرأه إتباعاً و اقتداءً بالأنبياء الكرام عليهم السلام.

فهذا نبى الله إبراهيم عليه السلام يحمل على الأصنام و يقول بكل شجاعه: (وَ تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ) . (١)

و هذا النبى موسى عليه السلام يهدد السامرى بكل جراه و ثقه قائلاً: (وَ انظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا) . (٢)

وذاك النبى سليمان عليه السلام، يبعث رساله إلى ملكه سبأ (بلقيس) و يأمرها بكل قوه و ثبات بأن تخضع لحكم الله، و تأتى و من معها وهم مسلمون، كما فى قوله تعالى (أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَ أَنُورِي مُسْلِمِينَ) . (٣)

لذلك يجب على المبلِّغ أن يكون صلباً و لا يهاب لومه اللاتمين فى سبيل تبليغ رسالته كما قال تعالى: (يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) . (٤)

و هذا ما أكده الأنبياء عليهم السلام فى طول مسيرتهم التبليغيه، و قد وصّى به نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله معاذاً حينما أرسله للتبليغ فى بلاد اليمن، فقال: <<ولا تخف فى الله لومه لائم>>. (٥)

بهذا المستوى من الشجاعه ينزل المبلِّغ الحقيقى إلى الساحة و يظهر ما يحمله من رساله إلى الناس و يفجر كل طاقاته، و يستخدم كل الأساليب و الوسائل التي يملكها للوصول إلى قناعه الآخرين، فيفتح لهم أبواب الهدى، و يهيأ لهم أجواء الفلاح و يصبر،

ص: ٧٤

١- (١). الأنبياء: ٥٧.

٢- (٢). طه: ٩٧.

٣- (٣). النمل: ٣١.

٤- (٤). المائدة: ٥٤.

٥- (٥). أعيان الشيعة: ١/٢٩٩.

ويتحمل، ويجسد أخلاق الأنبياء عليهم السلام، ليغير الواقع، فإذا فعل واستنفر كل طاقاته فقد قام بمسؤوليته وأدى وظيفته، فأن جنى الثمار الطيبة ولاقى القبول الحسن فنور على نور، وأن تُؤت ثمارها رفض من قبل المعاندين و الكفار، فيقف بكل حزم وثبات ويقول لهم بقوه: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِ). (١)

٣. الإخلاص

من أهم الصفات و الشروط التي ينبغي أن تكون في المبلغ الموفق (الإخلاص) والإخلاص كما عرفه الراغب الأصفهاني حينما يمر بقوله تعالى: (إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) ، (٢) يقول:

فحقيقه الإخلاص التبري عن كل ما دون الله. (٣)

أما الشيخ الطوسي رحمه الله فحينما يمر بقوله تعالى: (وَ اذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) ، (٤) يقول:

وأصل الإخلاص إخراج كل شائب من الخبث، ومنه إخلاص الدين لله و هو توحيد العبادة إليه خالصه دون غيره. (٥)

و حينما سئل سقيف عن الإخلاص قال:

تميز العمل من العيوب كتمييز اللبن بين فرث ودم. (٦)

وقيل:

أن الإخلاص أن تستوى أعمال العبد في الظاهر و الباطن. (٧)

ص: ٧٥

١- (١). الكافرون: ٦.

٢- (٢). مريم: ٥١.

٣- (٣). مفردات غريب القرآن: ١٥٤.

٤- (٤). الأعراف: ٢٩.

٥- (٥). التبيان في تفسير القرآن: ٣٨٤/٤.

٦- (٦). الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل: ٤١٦/٢.

٧- (٧). تفسير مجمع البيان: ٤١٠/١.

فهو السر و العامل المؤثر فى توفيق ونجاح الأنبياء، والأئمة عليهم السلام؛ لأن التبليغ إذا لم يكن خالصاً لوجه الله سبحانه، لن يكن مؤثراً، ولن يجد سبيلاً إلى قلوب الناس، ومن ثم سيذهب كلامه أدراج الرياح، ولن يجنى منه أى ثمره سوى التعب وضياع الوقت والجهد، لأن أقوال وأفعال المبلِّغ تكون مؤثره بقدر إخلاصه، فأن انعدام الإخلاص فلا تأثير لفخامه الكلام وجماله وفصاحته وسبكه؛ لأن المؤثر الحقيقى فى الكون و المخلوقات هو الله سبحانه وتعالى فإذا كان التبليغ خالصاً لله فإنه سيأخذ قدرته على التأثير من المؤثر الحقيقى ويترك أثره فى القلوب، والقرآن الكريم يخاطب النبى صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). (١)

فسير النجاح إذاً: هو الارتباط بالله الذى بيده مقاليد الأمور، وهو القادر على كل شىء، وعليه فيجب على المبلِّغ أن يلجأ إلى القدير الذى بيده مفاتيح كل شىء - بإخلاص تام - على طول مسيرته التبليغيه، ويتمثل أمر القرآن الكريم حينما قال: (مَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَ ذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ). (٢)

فلا يكون العمل صالحاً ما لم تتجلى فيه حقيقه الإخلاص، فالهدف الإلهى يعطى لعمل الإنسان عمقاً ونورانیه خاصه، ويوجهه الوجهه الصحيحه، وعندما نفقد الإخلاص يكون العمل ذا جنبه ظاهريه حيث يشير إلى المنافع الخاصه، ويفقد عمقه وأصالته ووجهته الصحيحه... فلو اقترن العمل بالإخلاص فسيكون عملاً ثميناً للغايه، وبدون الإخلاص هو لا قيمه له.

فالإخلاص: هو أن تكون الدوافع الإنسانيه خاليه من أى نوع من أنواع الشوائب، ويمكن أن نسمي الإخلاص ب- (توحيد النيه)، يعنى: التفكير بالله وبرضاه فى جميع الأمور و الحالات. (٣)

ص: ٧٤

١- (١). القصص: ٥٦.

٢- (٢). البينه: ٥.

٣- (٣). تفسير الأمثل: ٣٩٤/٩.

وقد بلغ الإخلاص مرتبه كبيره من الأهميه فى الإسلام ممّا جعل النبى صلّى الله عليه و آله يقول فيه:

<< من أخلص لله أربعين يوماً فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه». (١)

إذاً: فعلى المبلّغ:

أن يكون ناصحاً وخالصاً ومخلصاً، أى: أن لا يهدف فى حديثه تحقيق أى هدف، أو غرض، أو غايه، سوى إبلاغ وإيصال الرساله المترتبه عليه، أى: الخير للطرف المقابل، وذلك بكل إخلاص وخلص نيه. (٢)

كما نص الحديث الشريف على أهميه ذلك حينما قال صلّى الله عليه و آله: << الناس كلهم هالكون إلّا العالمون، والعالمون هالكون إلّا العاملون، والعالمون هالكون إلّا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم». (٣)

وفى مصدر آخر أكد بصيغه أخرى وهى:

<< الناس كلهم موتى إلّا العلماء، والعلماء كلهم نيام إلّا العاملون، والعالمون كلهم مفترون إلّا المخلصين، والمخلصون على خطر عظيم». (٤)

وهذا هو نهج الأنبياء عليهم السلام، وهذا شرط، وصفه الإخلاص تلاحظ بوضوح فى شخصياتهم العظيمة، وحياتهم الكريمة، وقد أكدّه المولى سبحانه وتعالى فيهم، ووصفهم به، فقال عز وجلّ عن كلمه موسى عليه السلام: (وَ اذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا). (٥)

ومعناه بالكسر:

«أنه أخلص العباده عن الشرك و الرياء، وأخلص نفسه وأسلم وجهه لله». (٦)

ص: ٧٧

١- (١). عدّه الداعى ونجاح الساعى: ٢١٨؛ الدر المثلثور: ١/٣٥٠. وفى مصدر آخر: «أربعين صباحاً»؛ الرواشح السماويه: ٢٨٥.

٢- (٢). مرتضى، المطهرى، الملحمه الحسينيه: ١/١٨٦.

٣- (٣). شرح الرضى على الكافيه: ٢/١٢٩.

٤- (٤). تفسير السلمى: ١/٣٥٥.

٥- (٥). مريم: ٥١.

٦- (٦). تفسير جوامع الجامع: ٢/٤٥٧.

فيهذا المستوى من الإخلاص وبهكذا نفوس قويه، وشخصيات متكامله، ودوافع إلهيه يتحدى الأنبياء عليهم السلام الكفار و المعاندين؛ لأنهم بإخلاصهم يتمكنون من حل العقد المستعصيه، ونجاه الأمه و خلاصها من الجهل و الظلم و الضلال، وهدايتها إلى الصراط المستقيم.

٤.٤ الصبر

إن الصبر من أعظم صفات المبلِّغ، التي لا- يستغنى عنها في تبليغه، فهو لا بد أن يواجه من أكثر الناس الصدود و الأعراض و التكذيب، إن لم يلاق الأذى و العذاب والاضطهاد، فالصبر يثبت في تبليغ رسالته، ولا يبالي بما يلاقه في سبيلها من مشقه وصعاب وآلام.

وأصل الصبر: الحبس، وكل من حبس شيئاً فقد صبره. (١)

وصبر القوم: الذي يصبر لهم ويكون معهم في أمورهم. (٢)

أو كما قال المحقق الطوسي رحمه الله:

الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه، و هو يمنع الباطن عن الاضطراب، واللسان عن الشكايه، والأعضاء عن الحركات غير المعتاده، (٣) و هو صفة مدح، ووجه الاستعانه بالصبر [في قوله تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ)]. (٤) إن في توطين النفس على الأمور تسهيلاً لها. (٥)

وقال الراغب الأصفهاني:

الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل و الشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسماءه بحسب اختلاف مواقعها، فإنما كان حبس النفس لمصيبه سمي صبراً لا غير، ويزاده الجزع، وان كان في محاربه سمي شجاعه، ويزاده الجبن، وان كان في نائبه مضجره سمي ربح الصدر،

ص: ٧٨

١- (١). كتاب العين: ٢٥٤/١.

٢- (٢). كتاب العين: ١١٧/٧.

٣- (٣). محمد باقر، المحمودي، نهج السعاده: ٢٨٣/٧.

٤- (٤). البقره: ٤٥.

٥- (٥). التبيان في تفسير القرآن: ٣٣/٢.

ويضاده الضجر، وان كان فى إمساك الكلام سمي كتماناً، ويضاده الإذاعه، وقد سمي الله تعالى كل ذلك صبراً، ونبه عليه بقوله: (وَ الصّابِرِينَ فِي الْبَأْسِ وَالصَّرَاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ) ، (١) (وَ الصّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) ، (٢)

(٣) فالصبر المطلوب للمبلّغ هو:

القوه و الثبات فى مختلف المواقف، والقدره على التحكم بنفسه بإرادته إيمانيه قويه، وبعبارة أخرى هو: الاستقامه فى القلب وحفظ النظام النفسانى الذى به يستقيم أمر الحياه الإنسانيه من الاختلال وضبط الجمعيه الداخليه من التفرق والتلاشى ونسيان التدبير وأختباط الفكر وفساد الرأى، فالصابرون هم القائمون فى النوائب على ساق لا تزيلهم هجمات النوائب. (٤)

فينى بذلك قاعده نفسيه قويه ومتماسكه ومستحكمه، تكون حصناً له أمام الانهيار و الهزيمه و الضعف البدنى و النفسى و الخارجى، فيدفعه ذلك إلى الالتزام بكل مسؤولياته الإيمانيه و التبليغيه.

فالمبلّغ الذى يسلك طريق الأنبياء عليهم السلام هو وريثهم فى أخلاقهم و علمهم و دعوتهم و تبليغهم، فيلزمه أن يتحلّى بالصبر مثلهم و يتخلق به وأن لا- يترك موضعه التبليغى أمام التهم و الأكاذيب التى يواجهها من الأعداء؛ لأنه مأمور بالصبر: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ) (٥) حيث أمر الله رسوله صلى الله عليه و آله بالصبر، فقال تعالى: (فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا) ، (٦) أى: اصبر يا محمد على تكذيبهم لك و كفرهم بما جئت به صبراً جميلاً- لا- جزع فيه ولا شكوى إلى غير الله، وهذا معنى الصبر الجميل، (٧) كى ينجح تبليغه، ويجنى ثماراً طيبه.

ص: ٧٩

- ١- (١). البقره: ١٧٧.
- ٢- (٢). الحج: ٣٥.
- ٣- (٣). مفردات غريب القرآن: ٢٧٣.
- ٤- (٤). الميزان فى تفسير القرآن: ١٠٥/١١.
- ٥- (٥). الأحقاف: ٣٥.
- ٦- (٦). المعارج: ٥.
- ٧- (٧). محمد، الشوكانى، فتح القدير: ٢٨٩/٥.

وقلما كثر القرآن موضوعاً وأكد عليه كموضوع (الصبر) ففي سبعين موضعاً قرآنيّاً تقريباً دار الحديث عن الصبر، بينها عشرة تختص بالنبي صلى الله عليه وآله، وتاريخ العظماء ويؤكد أن أحد عوامل انتصارهم - بل أهمها - صبرهم واستقامتهم.

والأفراد الفاقدون لهذه الصفة سرعان ما يهزمون وينهارون، ويمكن القول أن دور هذا العامل في تقدم الأفراد و المجتمعات يفوق دور الإمكانيات والكفاءات والذكاء ونظائرها، من هنا طرح القرآن هذا الموضوع بعبارات مؤكده كقوله تعالى: (إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) ، (١) وفي موضع آخر يقول تعالى بعد أن ذكر الصبر أمام الحوادث: (إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (٢). (٣)

فالصبر هو الزاد الذي لا بدّ منه لمواجهة المشاكل والمصاعب (و هو للمؤمن أمير جنوده) في جميع المعارك، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله، عن ابن عباس قال: كنت ذات يوم رديف رسول الله صلى الله عليه وآله، قال:

<< ألا - أعلمك خصالاً - ينفعك الله بهن؟ >>. قلت: بلى. قال: «عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق أبوه، واللين أخوه والصبر أمير جنوده». (٤)

فهو ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب، بأن تقاوم معها، بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمأنينه، فيحبس لسانه عن الشكوى، وأعضائه عن الحركات غير المتعارفه. (٥)

فهو من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد، كما قال الإمام السجاد عليه السلام:

<< الصبر من الإيمان بمنزله الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له. >>. (٦)

ص: ٨٠

١- (١). الزمر: ١٠.

٢- (٢). لقمان: ١٧.

٣- (٣). تفسير الأمثل: ١/٤٣٥.

٤- (٤). الدر المنثور: ١/٦٦.

٥- (٥). جامع السعادات: ٣/٢٨٠.

٦- (٦). أصول الكافي: ٢/٨٩.

وقد نصت الآيات و الروايات الشريفه على أن الأنبياء عليهم السلام مأمورين بالصبر من قبل الله عز وجل، فعن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

<< يا حفص... عليك بالصبر في جميع أمورك، فإن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله فأمره بالصبر و الرفق، فقال: (و) اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا، (١) وقال تبارك وتعالى: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) ، (٢) فصبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نالوه بالعظائم ورموه بها فضايق صدره فأنزل الله عز وجل عليه: (وَ لَقَدْ نَعَلْنَاكَ صِدْرًا مَدِينًا * فَمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) ، (٣) ثم كذبوه ورموه، فحزن لذلك فأنزل الله عز وجل: (وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا) ، (٤) فألزم النبي صلى الله عليه وآله نفسه الصبر فتعدوا فذكر الله تبارك وتعالى و كذبوه، فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي و عرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي فأنزل الله عز وجل: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) ، (٥) فصبر النبي صلى الله عليه وآله في جميع أحواله ثم بشر في عترته بالأئمه ووصفوا بالصبر، فقال: جل ثناؤه: (وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَيَاتِنًا يُوقِنُونَ) ، (٦) فعد ذلك قال صلى الله عليه وآله: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عز وجل ذلك له، فأنزل الله عز وجل: (وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسَيْنِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَ دَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) (٧) ، (٨)

ص: ٨١

- ١- (١). المزمّل: ١٠.
- ٢- (٢). فصلت: ٣٤ و ٣٥.
- ٣- (٣). الحجرات: ٩٧ و ٩٨.
- ٤- (٤). الأنعام: ٣٤.
- ٥- (٥). ق: ٣٩.
- ٦- (٦). السجده: ٢٤.
- ٧- (٧). الأعراف: ١٣٧.
- ٨- (٨). أصول الكافي: ٨٨/٢.

نعم، فتّمت كلمه المولى سبحانه وتعالى، بفضل ما صبروا وتحملوا من أقوامهم فهذا نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله كان يذهب دائماً إلى قبائل العرب ويدعوهم، ولكن لم يكن يجيبه أحد، كانوا يرحمونه حتى تسيل الدماء على عقبه، لكنّه لم يكن يكف عن عمله.

لقد فرضوا عليه الحصار الاجتماعى والاقتصادى والسياسى، بحيث أغلقوا جميع الأبواب و الطرق بوجهه وبوجه أتباعه، حتى مات بعضهم جوعاً، وأقعد المرض بعضهم الآخر.

لقد مرت على النبى صلى الله عليه وآله أيام يصعب على القلم واللسان وصفها، فعندما جاء إلى الطائف ليدعوا الناس إلى الإسلام، لم يكتفوا بعدم إجابته دعوته، بل رموه بالحجاره حتى سال الدم من قدميه.

لقد كانوا يحثون الجهلاء من الناس على أن يصرخوا ويسبوا في كلامهم إليه، فيضطر إلى أن يلتجئ إلى بستان ويستظل بظل شجره، ويناجى ربه فيقول:

«اللهم إليك أشكوا ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين: أنت رب المستضعفين، وأنت ربى إلى من تكلمنى؟ إلى بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى...» (١).

كانوا يسمونه ساحراً تاره، وأخرى يخاطبونه بالمجنون، كانوا يلقون التراب و الرماد على رأسه حيناً، وحيناً يجمعون على قتله، فيحاصرون بيته بالسيوف و الرماح.

إلا أنه رغم تلك الظروف استمر فى صبره و صموده واستقامته، وأخيراً جنى الثمره الطيبه لهذه الشجره المباركه، فقد عمّ دينه شرق العالم وغربه، لا جزيره العرب وحدها، ويدوى اليوم صوت انتصاره صباح مساء فى كل أرجاء الدنيا، وفى قارات العالم الخمسه، وهذا هو معنى قوله تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وآله: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)، (٢) وهذا هو طريق محاربه الشياطين، وطريق الانتصار عليهم، والوصول إلى الأهداف الإلهيه الساميه. (٣)

ص: ٨٢

١- (١). تاريخ الطبرى: ٨١/٢؛ سيره ابن هشام: ٦١/٢.

٢- (٢). الأحقاف: ٣٥.

٣- (٣). تفسير الأمثل: ٣٠٧/٦-٣٠٨.

هكذا صبر النبي صلى الله عليه وآله وتحمل المشاق و المصاعب فنصره الله عز وجل وشرح صدره فقال: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)، (١)فاتسع صدره الشريف لاستيعاب الكل و التعايش مع الكل برحابه صدر، حيث أن سعه الصدر هي أحد أهم الصفات التي تنبغى للمبغى وهي من جنود الصبر، وقد أتصف بها الأنبياء عليهم السلام، بل دعوا الله أن يرزقهم إياها.

فهذا النبي موسى عليه السلام، عندما أراد التوجه إلى فرعون لهدايته وتوعيته وتوعيه الناس وتبليغهم رساله الله تعالى دعا الله تعالى أن يعطيه صدرًا واسعاً، وطاقه وتحملاً فقال: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي). (٢)

و هذا أمير المؤمنين عليه السلام، يقول: <<آله الرئاسه سعه الصدر>>. (٣)فهي آله للرئاسه في جميع المجالات، وآله وسبب في نجاح جميع المشاريع، والأعمال، ومن أهمها مجال التبليغ، حيث ينبغى للمبغى تحمل أذى الناس، فهذا رسول الله حينما فقد رجلاً وسأل عنه، جاءه الرجل وقال: يا رسول الله إنى أردت أن آتى هذا الجبل فأخلو فيه وأتعبد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

<<المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذى لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم>>. (٤)

إذاً: فلا ينبغى للمبغى أن يكون فى صدره ضيق من عدم تجاوب الناس معه، (فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ)، أى: كن عل انشراح وسعه صدر فى التبليغ وإرشاد الناس؛ لأن ضيق الصدر من صفات أهل الضلال، قال تعالى: (وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا)، أما المؤمنون فيشرح الله صدورهم قال تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ). (٥)

ص: ٨٣

١- (١). الشرح: ١.

٢- (٢). طه: ٢٥ و ٢٦.

٣- (٣). نهج البلاغه: ٤٢/٤.

٤- (٤). الدر المثثور: ٦٧/١.

٥- (٥). الآيات بترتيب: الأعراف: ٢. الأنعام: ١٢٥. الزمر: ٢٢.

وعلى أثر هذا الانسراح و الصبر يبدو المبلِّغ المؤمن هادئاً ومنطقياً عندما يواجه الافتراءات و التهم التي يطلقها أهل الضلال و الجهل، كالذين قالوا لنوح عليه السلام: (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)، فأجاب عليه السلام: (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَالٌّ وَلَا لَكُمْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ). (١)

وقال قوم عاد لنبیهم هود عليه السلام: (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)، فقال هود عليه السلام: (يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَا لَكُمْ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ). (٢)

فهكذا ينبغي أن يكون تعامله مع الآخرين؛ لأن المبلِّغ الهادف هو الذى يتسع للطرف الآخر، ويسمع الانتقادات و النقد البناء؛ لأن عدم سماع كلام الآخر هو من صفات الكافرين الذين عميت قلوبهم وصمت آذانهم: (وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا)، (وَ إِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ). (٣)

فالمبلِّغ المؤمن الناجح هو من يستمع إلى النقد و الملاحظات المهمة و المفيدة التي يذكر بها، بل ينبغي أن يعتبرها هدايا من أعز أخوانه فإن الأمير عليه السلام يقول:

<< أحب أخواني من أهدى عيوبى إلى. (٤)

ومن آثار الصبر وسعه الصدر صفه حميده أخرى ألا، وهى: التواضع.

فالتواضع: هو أن لا يرى المبلِّغ لنفسه ميزه على باقى الناس وأن يتعامل معهم كأحدهم، ويتكلم و يجيب الكل، ويحترمهم ويقدرهم كما هم يحترمونه ويقدرونه، فلما سُئل الإمام الرضا عليه السلام عن حد التواضع، قال عليه السلام:

<< أن تعطى الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله. (٥)

والتواضع كما عرفه الشيخ النراقى رحمه الله، هو:

ص: ٨٤

١- (١). الآيات بترتيب: الأعراف: ٦٠ و ٦١.

٢- (٢). الآيات بترتيب: الأعراف: ٦٦ و ٦٧.

٣- (٣). الآيات بترتيب: الأعراف: ١٧٩؛ الصافات: ١٣.

٤- (٤). بحار الأنوار: ٢٨٢/٧٤.

٥- (٥). الأمالى: ٣١٢.

إنكسار للنفس يعنها من أن ترى لذاتها مزيه على الغير، وتلزمه أفعال وأقوال موجهه لاستعظام الغير وإكرامه.... (١)

فهو كما قال الإمام الصادق عليه السلام: <<التواضع أصل كل شرف نفيس ومرتبته رفيعة، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب>>. (٢)

وقد اتصف الأنبياء عليهم السلام بأعلى وأسمى صور التواضع، فهذا هو النبي موسى عليه السلام، يعطينا درساً في التواضع، من خلال الاعتراف والإقرار بكمال الآخرين، حينما قال: (وَ أَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا) ، (٣) وقال للخضر عليه السلام: (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنِّي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا) .

وقد أمر الله عز وجل أعز خلقه، وسيد بريته وحببيه محمد صلى الله عليه وآله بالتواضع فقال عز وجل: (وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . (٤)

وخاطب الإنسان فقال: (وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) . (٥)

وهذا ما أكده لقمان الحكيم على ابنه، بأن يكون معتدلاً في سلوكه، وأن يتكلم بلين ولا يرفع صوته:

(وَ اقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) . (٦)

وأخيراً أقول أن التواضع هو من أول صفات عباد الرحمن بتأكيد القرآن الكريم، حيث قال تعالى: (وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

ص: ٨٥

١- (١). جامع السعادات: ٣٥٨/١.

٢- (٢). المصدر: ٣٦٠.

٣- (٣). القصص: ٣٤.

٤- (٤). الشعراء: ٢١٥.

٥- (٥). الإسراء: ٣٧.

٦- (٦). لقمان: ١٩.

سَلاماً) ، (١) فأول صفه من صفات عباد الرحمن هي التواضع وسمو النفس، ومعاشره الناس معاشره حسنه طيبه، من غير غلظه ولا قسوه ولا تكبر، وإذا أساء إليهم الجاهل لم يقابلوه بالإساءه، وإنما بالعفو و الصفح ويقولون له: سلاماً، (من السلامه لا التسليم)، أو يقولون قولاً سديداً.

٥. عزه النفس

من أهم الصفات التي ينبغي للمبلغ أن يتحصن ويتحلى بها هي: عزه النفس، وهي:

ملكه التحمل لما يرد عليه كائناً ما كان، فلا يبالي بالكرامه و الهوان، ويتساوى عنده الفقر و اليسار و الغنى و الإعسار، بل الصحه و المرض و المدح و الذم، ولا يتأثر بتقلب الأمور و الأحوال، وقد دلت الأخبار على أن المؤمن ذو صلابه وعزه ومهابه، و كل ذلك فروع كبر النفس. قال الإمام الباقر عليه السلام: <المؤمن أصلب من الجبل>، (٢) وقال عليه السلام: <إن الله تعالى أعطى المؤمن ثلاث خصال، العز في الدنيا والآخرة، والفلاح في الدنيا والآخرة، والمهابه في صدور الظالمين>. (٣)

إذاً فهي:

كبر النفس و سموها و علوها، بحيث تمتنع عن النزول إلى دنايا الأمور، وتبتعد كل البعد عن التملق و التزلف إلى الأغنياء وأصحاب الثروات و الجاه والاعتبار، وأن تنفر تماماً عن التمجيد و المدح لمن لا يستحق المدح و التمجيد. (٤)

قال تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكَاْفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) ، (٥) فالمولى سبحانه وتعالى يخبر عن هؤلاء الذين يتذللون إلى الكفار و يطلبون عندهم المنفعه و القوه باتخاذهم أولياء من دون أهل الإيمان به تعالى، ثم أخبر

ص: ٨٦

- ١- (١). الفرقان: ٦٣.
- ٢- (٢). بحار الأنوار: ٣٦٢/٦٤.
- ٣- (٣). المصدر: ١٦/٦٥؛ محمد ابن بابويه، الصدوق، الخصال: ٧٢/١.
- ٤- (٤). جامع السعادات: ٢٦١/١.
- ٥- (٥). النساء: ١٣٩.

بأن العزة بأجمعها له تعالى وأن هؤلاء الذين يطلبون من جهنم العزة والمنعة، لا منعه عندهم، بل النصر والعزة والمنعة من عند الله الذى له العزة والمنعة الذى يعز من يشاء، ويذل من يشاء.

وأصل العزة الشده، ومنه قيل للأرض الصلبة الشديده: عزاز، وقولهم: عز الشيء معناه صعب وجوده وأشدّ حصوله. (١)

فعزه الإنسان منعتة ورفعته و[[الامتناع من استيلاء الغير عليه]]. (٢) ونقيضها الذلّ وهى: [صغر النفس بالإهانة، أو بضيق المقدره]، (٣) وقد نهى عنها الله سبحانه وتعالى أشدّ النهى، فعن الإمام أبى عبد الله عليه السلام، قال:

«أن الله عز وجلّ فوّض إلى المؤمن أمره كلها ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً أما تسمع قول الله عز وجلّ: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ) ، (٤) فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً ثم قال: إن المؤمن أعز من الجبل إن الجبل يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه شيء». (٥)

وعليه فالمبلّغ الذى يريد أن يكون عزيزاً محترماً صاحب مقام رفيع وكلام طيب يجب أن يستمد العزة من الله سبحانه وتعالى ف- : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ). (٦)

ص: ٨٧

١- (١). التبيان فى تفسير القرآن: ٣/٣٦١.

٢- (٢). التفسير الكبير: ٤/٧٥؛ الميزان فى تفسير القرآن: ٣/١٠.

٣- (٣). التبيان فى تفسير القرآن: ٥/٣٦٥.

٤- (٤). المنافقون: ٨.

٥- (٥). بحار الأنوار: ١٦/٦٥. بيان: الجبل يستقل منه من القله أى ينقص ويؤخذ منه بعضه بالفأس والمعول ونحوهما، والمؤمن لا ينقص من دينه شيء بالشكوك والشبهات.

٦- (٦). فاطر: ١٠.

فإذن المبلّغ عزيز النفس تكون همّته وهمّه تبليغ رسالته وأداء وظيفته، فلا- يمد عينه إلى ما فى أيدي الناس من الأموال وغير ذلك، بل يتوكل فى حياته وفى رزقه على الله سبحانه و هو خير رازق ومعين، فقد جاء فى الزياره الشعبانيه: «بيدك لا بيد غيرك زيادتي ونقصي». (١)

قال سيد الساجدين عليه السلام:

«رأيت الخير كله قد أجمع فى قطع الطمع عما فى أيدي الناس، ومن لم يرج الناس فى شىء، وردّ أمره إلى الله تعالى فى جميع أموره، استجاب الله تعالى له فى كل شىء». (٢)

فإذا لم يلاحظ الماديات ولم يحرص عليها، لا يفرق حينئذ بين الغنى و الفقير، والقوى و الضعيف، والحاكم و المحكوم، ولا يرجح فئه على فئه، ولا- شخص على شخص، ولا- يتحيز لفرقه دون فرقه، وسوف يتخذ الرأى الصائب و الموقف الحسن، من دون تأثر بالأجواء، ولا طمع بالطيبات من الأموال، والملابس، والمراكب، والأطعمه و الأشربه، وسائر الملذات، وحينئذ سيتمكن المبلّغ،- بهذه الخصال الحميده- من جذب جميع الناس، والتأثير فى جميع الفئات، وسوقهم إلى ما يقوله وما يطرحه عليهم، كى يستمعوا وينصتوا إلى ما يقول بكل إقبال وشوق.

ولا- تعنى عزه النفس التكبر- والعياذ بالله- بل على العكس نحن مأمورين بالتواضع و اللين فى الكلام و حسن البشر، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

<< ليجمع فى قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، فيكون افتقارك إليهم فى لين كلامك و حسن بشرك، ويكون استغناؤك عنهم فى نزاهه عرضك و بقاء عزك». (٣)

و أما ما نُهى المبلّغ عنه هو الدعايه لهذا وذاك، والتبليغ عن هذه الفئه، وتلك الجئه، وبالنتيجه الابتلاء بالحمد و الثناء على من يعطيه شيئاً، وبذم من يمنعه، فقد جاء فى دعاء مكارم الأخلاق:

ص: ٨٨

١- (١). بحار الأنوار: ٩٧/٩٤، باب ٣٢، المناجاة الشعبانيه.

٢- (٢). أصول الكافي: ١٤٨/٢.

٣- (٣). أصول الكافي: ١٤٩/٢؛ معانى الأخبار: ٢٤٧؛ تحف العقول: ص ٢٠٤.

«فأفتن بحمد من أعطاني وأبتلى بدم من منعني». (١)

ولذلك نرى أن الأنبياء عليهم السلام و المبلغين الرساليين عبر التاريخ يعقبون بينات رسالاتهم بعدم سؤال الأجر مقابل ما يقدمون للناس من خدمه التبليغ، مما يكمل حججهم على المكلفين دونما إبقاء لأيه عاذره عقليه ولا ماليه.

قال تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) ، (٢) قال المفسرون:

هذا إشاره على أنه ما أخذ منهم مالا على دعوتهم إلى دين الله تعالى ومتى كان الإنسان فارغاً من الطمع كان قوله أقوى تأثيراً في القلب. (٣)

وقالوا في قوله تعالى: (قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ) ، (٤) هذا تطيب لنفوسهم أن لا يتهموه بأنه جعل الدعوه ذريعه إلى نيل مال أو جاه. (٥)

وقالوا في قوله تعالى: (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) (٦):

أى: ثواباً على أداء رساله إليهم بدعائك إياهم إلى الله (فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) ، فالمغرم إلزام الغرم في المال على طريق الإبدال و المغرم انفاق المال من غير إبدال، وأصله المطالبه بالحاح فمنه الغريم، لأنه يطالب بالدين بالحاح، ومنه (إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) ، (٧) أى: ملحاً دائماً.

والمغرم لأنه يلزم من جهه المطالبه بالحاح لا يمكن دفعه، والمثقل المحمول عليه ما يشق حمله لثقله. (٨)

فهم إذن لا يسألون الناس الأجر، ولا يثقلون عليهم بمطالبتهم بالأموال، وهذا مما

ص: ٨٩

١- (١). مفاتيح الجنان، دعاء مكارم الأخلاق.

٢- (٢). يونس: ٧٢.

٣- (٣). التفسير الكبير: ٢٨٥/٦.

٤- (٤). سبأ: ٤٧.

٥- (٥). الميزان في تفسير القرآن: ٣٨٩/١٦.

٦- (٦). الطور: ٤٠؛ القلم: ٤٦.

٧- (٧). الفرقان: ٦٥.

٨- (٨). التبيان في تفسير القرآن: ٤١٦/٩.

تتميز به رسالات الله، ودعوات الأنبياء عليهم السلام عن باقى الدعوات البشريه الماديه حيث لا يجد فيها المجتمع إلا الكلفه و الغرم الثقيل.

وقد تكررت الإشاره فى عدد كبيره من الآيات القرآنيه، (١) إلى هذا الأمر، لا فى النبى صلى الله عليه و آله فحسب، بل فى شأن كثير من الأنبياء عليهم السلام؛ إذ كان من أوائل كلمات النبيين عليهم السلام قولهم لأممهم: لا نريد على إبلاغنا رساله إلكم أجراً، لئلا تبقى ذريعه للمتذرعين.

فهذا نبينا الأكرم صلى الله عليه و آله، يقول: (قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) (٢) أى: لا- أطلب منكم عليه- أى: التبليغ- أو القرآن أجراً جعلاً من جهتكم، كما لم يسأل من قبلى من النبيين عليهم السلام و هذا من جمله ما أمر بالافتداء بهم فيه. (٣)

و هذا نبى الله نوح عليه السلام قال لقومه من أجل إثبات صدقه وأحقته: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) ، (٤) فأن تبليغى وتحملى لمشاق رساله إنما هو الله، وعليه فأجرى أيضاً من الله تعالى، ولا أكلفكم بشىء إلا أن تؤمنوا بالله عز وجل.

وكما هو واضح فإن كلام النبى النوح عليه السلام هو:

درس آخر للقاده الإلهيين بأن لا يتوقعوا أى جزء مادى ومعنوى من الناس لقاء دعوتهم وتبليغهم، لأن هذا التوقع يوجد نوعاً من التعلق النفسى الذى يؤدى إلى عرقله أساليب الدّعوة الصريحه و النشاطات الحرّه، ومن الطّبعى عن ذلك أن يقل تأثير دعوتهم وإبلاغهم، ولهذا السبب فأن الطريق الصحيح فى الدّعوة إلى الإسلام أن يعتمد المبلّغون و الداعون فى إداره أمورهم المعاشيه على بيت المال فقط،-أو مواردهم الخاصه- لا بالاحتياج إلى الناس. (٥)

إذاً: فهذا معيار لمعرفة المبلّغين و القاده الصادقين من غيرهم الذين يتحنون

ص: ٩٠

١- (١). الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤ و ١٨٠؛ هود: ٢٩ و ٥١؛ يونس: ٧٢؛ سبأ: ٤٧، وغيرها.

٢- (٢). الأنعام: ٩٠.

٣- (٣). زبده التفاسير: ٢/٤٢٦.

٤- (٤). يونس: ٧٢.

٥- (٥). تفسير الأمل: ٦/٤٠٧.

الفرص ويهدفون إلى تأمين منافعهم المادية في كل خطوه يخطونها سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر.

أما السنه و السيره للأنبياء عليهم السلام و المبلغين الرساليين-على طول خط الرسائل-قائمه على عدم المطالبه بالأجر، ممّا يسهّل الإقبال إليهم دونما صعوبه وتكلف، ويزودهم بكثير من نقاط القوّه، فمنها:

١. يضمن لهم حريتهم التامه، واستقلالهم الشامل؛ لأنّ الأعداء لن يجدوا فيهم ثغره الطمع وحبّ الدنيا، كي يستعبدوهم من خلالها، حيث أن المال و الجاه و الثناء لا يعنى لهم شيئاً أمام وظيفتهم الرساليه.

٢. يضمن استقامتهم على مواصله الطريق دون تعب أو كلل، وعدم اكتراثهم بمخالفه الناس لهم، لأن الذين يتألمون لمخالفه الناس لهم وملاصمتهم وجراحات ألسنتهم، هم الذين يطمحون بالحصول على منافع من الناس، أما هؤلاء فلا- تردعهم لومه اللائمين، ولدغات الجاهلين، مادام الطريق إلى الله، والمثيب و المجازى هو الله.

٣. عندما يحبون أو يبغضون، يوالون أو يبرئون، يقربون أو يبعدون الناس، إنما يفعلون ذلك فقط من أجل الله وفي سبيل الله، وبدافع ديني أو إنساني، لا- بدافع من العصبية و الحقد و الضغينه، أو لعدم حصولهم على منافع من البعض وحصولهم عليها من البعض الآخر، بل يكون ميزانهم في كلّ الأمور هو الحقّ، و هو القرب من الله فهم يستقبلون كلّ من يؤوب إلى الحقّ بكل رحابه وسرور.

هذا ولكن إذا قُدمت للمبّغ هديه فلا- بأس بأن يقبلها، بل هي من دواعي المحبه: تهادوا تحابوا، وقال رسول الله صلّى الله عليه و آله:

<< من أتاه شيء من هذا المال من غير مسأله ولا استشراف، فإنّما هو رزق ساقه الله إليه فلا يرده». (١)

ص: ٩١

١- (١). جامع السعادات: ٩٤/٢.

إن من أهم الشروط التي ينبغي توفرها في المبلِّغ هو أن يحيا بما يبلِّغ، ويبلغ بما يحيا، أو قل (أن يعمل بما يقول ويقول ما يعمل) فالمبلِّغ الحقيقي هو الذي يسعى بكل جهدٍ وجهدٍ إلى التكامل ظاهراً وباطناً، أي: يحاول بكل قوه أن لا يحصل تفاوت بين الظاهر والباطن عنده.

لأن كل قول أو فكره لا تجد مجالاً لتطبيقها على صاحبها، لا تجد حسن القبول لدى الناس مهما كانت جذابه وواقعيه وضروريه للحياه؛ إذ من غير المعقول أن نسعى إلى نشر أو إثبات فكر لم يستقر بعد في وجدان صاحبه، فأن التبليغ والنصح والإرشاد الذي لم يتحول إلى حياه معاشه، لا يورث نتيجة ايجابية في وجدان الآخرين، بل على العكس فأن ذكر أعمال ومواقف العظماء، وروايه حكاياتهم والدعوه إلى الاقتداء بهم، والالتزام بطريقتهم من دون القيام بتطبيق تلك الأعمال وتجسيد تلك الحياه في الواقع العملي - للمبلِّغ ذاته - يؤثر تأثيراً سلبياً، ويشجع على الانحراف والسقوط، حيث أن الحياه الازدواجيه هي صفه النفاق، وخصوصاً إذا أظهر الخير والصلاح، وأضمر الشر والفساد، فالمبلِّغ الصادق يتنزّه عن مثل هذه الأخلاق المذمومه، ولا سيما إذا كان المبلِّغ من رجال الدِّين، حيث أن عامه الناس تعتبره مجسداً للدِّين، فنفاقه في أقواله وأفعاله يحسب نفاقاً في الدِّين نفسه، فتضطرب قلوب الناس وأفكارهم، حيث يسمعون قولاً جميلاً ويرون معه فعلاً أو تركاً قبيحاً، فتمتلكهم الحيره بين هذا أو ذاك، فلا يعودون يثقون بالدِّين وما يقوله المبلِّغ بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدِّين و المبلِّغين.

وبالنتيجه يصل كلام هؤلاء المبلِّغين إلى مسامع الناس خاوياً هامداً، وفضلاً عن أنه لا يزيد في إيمانهم بما يدعون إليه يكون سبباً في اجتثاث ما عندهم من إيمان، خلافاً للكلام الناتج عن ترجمه للحياه العمليه للمبلِّغ فإنه يصل إلى شغاف القلوب ويحييها وينيرها، لأنه يعبر عن توفير واحترام المبلِّغ لوظيفته ولعلمه ولشخصيته وللمجتمع.

و هذا ما سار عليه الأنبياء عليه السلام على مَرَّ العصور، فقد بَلَّغُوا عليهم السلام ما كانوا يعيشونه، وعاشوا ما بلغوه، التزاماً بأمر الله تعالى، حيث قال سبحانه: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ) ، (١) وقد أوحى تعالى إلى نبيه عيسى، أنه:

«عظ نفسك فأن اتعظت فعظ الناس، وإلَّا فأستحي مني». (٢)

و هذا الخطاب موجه إلى كلِّ الأنبياء عليه السلام وكل من يتولى أمر التبليغ و الإرشاد، بأن يجسد ما يقوله بعمله كي يحرز التأثير الايجابي فى المجتمع، فهذا الإمام الصادق عليه السلام يقول:

<< كونوا دعاه للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد و الخير، فأن ذلك داعيه». (٣)

وقال عليه السلام:

<< كونوا دعاه للناس بأعمالكم، ولا تكونوا دعاه للناس بألسنتكم». (٤)

فعلى المبلِّغ الحامل لمشعل الهدايه و قياده المجتمع أن لا- يكون مصداقاً للآيه الكريمة: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) . (٥) بل يبدأ أولاً وبالذات بتهذيب نفسه وتعليمها وتطبيق كلامه على نفسه و يكون سباقاً للخيرات: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) ، (٦) مبادراً لتجسيد قوله فى الواقع الخارجى، و هذا ما حكاه تعالى عن لسان نبيه هود عليه السلام قال: (وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) . (٧)

ص: ٩٣

١- (١). البقره، ٤٤.

٢- (٢). كنز العمال: ٧٩٥/١٥. الدر المنثور: ٢٨/٢.

٣- (٣). أصول الكافي: ٧٨/٢. بيان داعيه، أى: للمخالف إلى الدخول إلى دينكم.

٤- (٤). بحار الأنوار: ١٩٨/٥.

٥- (٥). الصف: ٢ و ٣.

٦- (٦). البقره: ١٤٨.

٧- (٧). هود: ٨٨.

لأن مخالفه العمل للقول ضياع للأمة وهلاك للمجتمع كما أكد على هذا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله؛ إذ يقول:

<< أن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان». (١) فالمنافق عليم اللسان هو سبب من أسباب إضلال المجتمع وانحرافه، فهذا الإمام الصادق عليه السلام يقول:

<< من لم ينسلخ من هواجسه ولم يتخلص من آفات نفسه وشهواتها، ولم يهزم الشيطان، ولم يدخل في كنف الله تعالى وتوحيده وأمان عصمته، لا يصلح له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة فكلمما أظهر أمراً يكون حججه عليه، ولا ينتفع الناس به... ويقال له يا خائن! أتطالب خلقي بما خنت به نفسك وأرخت عنه عنانك». (٢)

وعليه فنحن اليوم بأمس الحاجة إلى المبلّغين العاملين بما يقولون - لا المجادلين و المتخاذلين - كي نحرز التأثير الكبير للدعوه وذلك من خلال فتح قلوب وأسماع الناس لما يقوله المبلّغ، وذلك من خلال إثبات المبلّغ لإيمانه بما يقول، وأفضل دليل على ذلك، هو العمل بقوله قبل غيره، كما استدل على ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله:

<< أيها الناس إني والله ما أحثكم على طاعه إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصيه إلا وأتناهى قبلكم عنها». (٣)

وبهذا يكون صلاح الأمة وخيرها، وبغيره هلاك الأمة وضياعها. فهذا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام فيقول:

<< يا على هلاك أمتي على يدي [كل] منافق عليم اللسان». (٤)

ومن أروع الحكم التي قيلت في هذا الخصوص ما نسب إلى أبي الأسود الدؤلي:

ص: ٩٤

١- (١). كنز العمال: ١٠/١٨٦.

٢- (٢). نور الثقلين: ١/٧٥، عن مصباح الشريعة.

٣- (٣). نهج البلاغه: ٢/٩٠.

٤- (٤). الخصال: ٦٩.

ابدأ بنفسك فأنهها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم (١)

إذا فكما قيل:

«من وعظ بقوله ضاع كلامه، ومن وعظ بفعله نفذت سهامه». (٢)

وأحرز التأثير و التغيير و الإصلاح و الخير، وبهذه الصفات و الشروط -إضافة إلى الالتزام بعموم الأحكام و الأخلاق الإسلامية- يمكن للمبّغ أن يمارس دوره و يؤدي وظيفته بصورة صحيحة، و يمكن أيضاً أن يستخدم أساليب التبليغ كلها من دون أى مانع.

ص: ٩٥

١- (١). التبيان فى تفسير القرآن: ٤/٣؛ على بن الحسين، الأصفهاني، الأغاني: ٣٩/١١.

٢- (٢). التفسير الكبير: ٤٨/٣.

الآن وبعد أن انتهينا من ذكر ودراسه أهم الشروط التي ينبغي أن تتوفر في شخصيه المبلِّغ، والتي لها أكبر تأثير في نجاح المبلِّغ و التبليغ، ننتقل إلى ذكر ودراسه أهم شروط التبليغ التي لها مدخلية ودور وتأثير مباشر أو غير مباشر على نجاح التبليغ، ومن أهمها:

١. مراعاة الزمان و المكان في التبليغ

على المبلِّغ الواعي أن يدرس الظروف التي يعيشها دراسه دقيقه، وأن يلاحظ الزمان و المكان ملا-حظه جديده، فيطلق الكلمه المناسبه في زمانها ومكانها المناسب لها، بأسلوبها المناسب، ويأخذ بنظر الاعتبار الأولويات و الضروريات بالنسبه إلى ذلك الظرف؛ لأنّ مراعاة الزمان و المكان شرط أساسى في نجاح التبليغ، فلا يكون التبليغ ناجحاً متكاملأً ما لم يمنح الزمان و المكان دوره الحقيقي، ولا- يمكن الاطمئنان إلى النتائج ما لم يستند التحرك إلى تصوّر حكيم لدور الزمان و المكان في خطه العلم التبليغى وآثاره في إنجاز أداء الوظيفه المكلف بها، فإن قدرت الحركه التبليغيه على المواصله والاستمرار في طريقها تعتمد في كثير من الأحيان على مراعاة عامل الزمان و المكان ودقّه الحسابات في هذا الخصوص، ولذلك نجد أن جميع الأنبياء عليهم السلام

والأئمة عليهم السلام والعظماء والأعلام والمجددين الذي أصلحوا أممهم، كانوا يبلغون وفق المستوى العلمى و الثقافى لأهل عصرهم، آخذين بنظر الاعتبار الظروف الزمانى و المكانى و الأسلوب المناسب له، ولهذا وقع كلامهم فى قلوب مخاطبيهم موقعاً حسناً، ووجد قبولاً وتأثيراً فى وجدانهم.

ونستطيع أن نقرر من خلال هذا الكلام أن التبليغ الرسالى لا بد أن يعيش الظروف الزمانى و المكانى على أنه شرط أساسى وله الأثر الكبير فى إنجاحه، وله دور مهم فى تكوين الجانب العقائدى عند الجماعه البشرىه و تثبيت الأفكار فى أذهان الناس.

لو ركزنا على عامل الزمن مثلاً، نجد أن الخطّ العام لدعوات الأنبياء عليهم السلام كان يتسم بحرص شديد على استثمار الزمن، باعتباره يمثل شرطاً و عنصراً من عناصر التبليغ للرساله، لذلك حرصوا على الاستفادة من كلّ وحده من وحداته، و كل لحظه من لحظاته، و بما أن فى حياتهم و تجاربهم الدروس و العبر، حيث قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ). (١) نبدأ بدراسه قيمه الزمن فى حياتهم و مسيراتهم التبليغيه، و كيف تعاملوا مع الزمن و حصلوا على نتائج ايجابية، كى نتخذهم أسوه و قدوه مثاليه.

فلو أخذنا نبى الله نوح عليه السلام كنموذج، نجد أن أبرز ما تميزت به قصه شيخ الأنبياء و المرسلين نوح عليهم السلام هى الفتره الزمنيه الطويله التى استغرقتها الرساله، و التى تمثل أطول فتره فى تاريخ الرسالات فلم يعيش نبى أو رسول مثلما عاش نوح عليه السلام مع قومه يبلغهم رسالته و يدعوهم إلى الهدى و الرشاد و عبوديه الله سبحانه و وحده لا شريك له.

ولقد كان الزمن بالنسبه إلى نوح عليه السلام رصيذاً مهماً فى دعوته، حيث أنه اعتمد أساليب متجدده على الدوام عندما يكتشف عدم جدوى الأسلوب السابق، و فى هذا التجديد و الاستخدام المتكرر للبدائل التبليغيه، ما يؤكد الإحساس العميق للزمن عند نوح عليه السلام، فلقد

ص: ٩٨

أراد أن يجرب كل الأساليب المتاحة على أمل أن يهدى الضالين، ولم يعتمد ويجمد على أسلوب واحد؛ لأن معنى ذلك أنه يهمل عامل الزمن ولا يتحسس قيمته العاليه.

وقد حدثنا القرآن الكريم عن تعدد الأساليب التي اعتمدها نوح عليه السلام مع مراعاة الظروف الزمنية لكل أسلوب.

فقال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَ لَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ). (١)

وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ)، وقال أيضاً: (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وقال أيضاً: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا). (٢) وهكذا واصل نوح عليه السلام مسيرته الرسالية الطويلة، رغم ما واجهه من رفض و عناد من قومه فسعى سعياً حثيثاً وبذل جهداً كبيراً، ومضى فى تبليغه على أمل أن يحقق نتائج أفضل، مستثمراً كل وحدات الزمن وبمختلف الأساليب، فدعاهم ليلاً ونهاراً منذراً وناصحاً ومبشراً و....

وهكذا فإن الزمن كان طوال القرون العديده التي عاشها نوح عليه السلام مع قومه، يمثل عنصراً ايجابياً ورسيداً مهماً لرسالته ولدعوته، إذ أنه مكّنه من استخدام أساليب متعدده وبدائل جديده للأساليب السابقه.

وهكذا نلاحظ خليل الله إبراهيم عليه السلام وظّف أفضل الأزمان لنشر وتبليغ رسالته وإيصال صوته إلى أكبر عدد ممكن من الناس ألا وهو زمان خروجه من النار التي

ص: ٩٩

١- (١). الأعراف: ٥٩-٦٢.

٢- (٢). هود: ٢٥. نوح: ١. نوح: ٥.

جعلها الله عليه برداً وسلاماً، فإنه حينما كسر أصنامهم إلتفت عبدة تلك الأصنام قائلين: (قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَيَمْعَنَّا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَغْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ). (١)

فكما نلاحظ أن إبراهيم عليه السلام استفاد من زمان اجتماع الناس (فَاتُوا بِهِ عَلَى أَغْيُنِ النَّاسِ)، وألقى كلمته التي تفتح عقولهم على إعادة التفكير في عقيدتهم فقال (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)، ثم استشار نمرود قومه في إبراهيم عليه السلام فقالوا له: (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)، (٢) وفعلاً. أجمع كل الناس صغيرهم وكبيرهم، فقيرهم وغنيهم، شريفهم ووضيعهم ليشاهدوا ما يحصل لإبراهيم، فلما ألقوه في النار، قال الله تعالى: (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ). (٣)

فخرج إبراهيم عليه السلام منها ولم تؤثر فيه شيئاً، فأنبهر كل من حضر بهذا المشهد العظيم ووجد إبراهيم عليه السلام، أن هذا أفضل زمان لنشر وتبليغ رسالته، وأن هذه اللحظات المهمة لا ينبغي التفريط بها فبمجرد خروجه عليه السلام من النار بادره النمرود قائلاً:

من هو ربِّك، فقال له: (رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ)، فقال له الجبار نمرود: (قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ). قال له إبراهيم عليه السلام... «كيف تحيي وتميت؟» فقال له نمرود أعمد إلى رجلين ممن قد وجب عليهما القتل فأعفوا عن أحدهما وأطلقه، وأقتل الآخر فيكون قد أحييت وأمت، فقال له إبراهيم عليه السلام: أن كنت صادقاً فأحيي الذي قتلته، ثم قال له إبراهيم عليه السلام: دع هذا (فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)، (٤) قال الله سبحانه: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ

ص: ١٠٠

١- (١). الأنبياء: ٥٩-٦٣.

٢- (٢). الأنبياء: ٦٨.

٣- (٣). الأنبياء: ٦٩.

٤- (٤). البقرة: ٢٥٨.

إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأَمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١) والمروى أن هذه المحاجه بعد إلقاء إبراهيم في النار وعدم تضرره بها وخروجه منها سالماً مستنيراً بنور الله تعال مهدياً قوياً بالله لا يخاف أحداً من الخلق بعد أن لبس ثوب العز والنصر والهيبة العظيمه. (٢)

فلم يترك هذا الزمن المهم والحساس أن يذهب سدى، بل جعله عاملاً مساعداً لإطلاق كلمته ولتبليغ رسالته، كي تلاقي تأثيراً وقبولاً كبيراً عند من حضره في ذلك المشهد العظيم....

و إن لاحظنا نبي الله يعقوب عليه السلام سنجده قد بلغ من حرصه على استثمار أفضل زمن لإبلاغ دعوته أنه في لحظات حياته الأخيره، وفي حاله الاحتضار يسعى لتبليغ وتثبيت رسالته، قال تعالى: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي). (٣)

فلما اجتمع إليه بنوه الأثنى عشر وهم الأسباط بادروهم بسؤال يبدى لهم فيه رغبته الأخيره في التعرف إلى سلوكهم المستقبلى الذى بدأه وخطه أبوه النبی إبراهيم عليه السلام وهو التوحيد والإسلام، ويؤكد تحمله واستمراره لمسؤوليته التبليغيه الرساليه، واستثمار آخر لحظه من لحظات حياته لإيصالها إلى الناس كافة.

فالنبی يعقوب عليه السلام فى هذا الزمن الحساس، والمشهد المؤلم، وساعات الفراق والاحتضار، لا- يوصى بأهل، ولا- بيوت وأملاك، ولا أموال، ولا يشغل باله أى شىء إلا وظيفته التبليغيه، فلا تشغله عنها سكرات الموت، بل هى تشغله عمّا سواها، وهى المتمثله بسؤاله الحاسم (ما تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي)، هل تتراجعون عن الخط المستقيم لتتبعوا مجتمعاتكم الوثنيه، أم تستمرون فى السير عليه لتديموا ما كان عليه آبائكم وأجدادكم من الأنبياء عليهم السلام؟

ص: ١٠١

١- (١). البقره: ٢٥٨.

٢- (٢). الأنبياء حياتهم-قصصهم: ٩٨؛ ابن كثير، قصص الأنبياء: ١٨٠/١.

٣- (٣). البقره: ١٣٣.

فكان الجواب حاسماً أيضاً ويبعث الاطمئنان فى نفسه ليموت و هو قرير العين، باستمرار الخط الرسالى فى التوحيد الخالص و الإسلام الحقيقى من بعده، حيث قال: (قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (١).

وهكذا وظف نبي الله يعقوب عليه السلام تلك الفترة الزمنية المهمة لصالح تبليغ رسالته.

فللزمّن-إذن-أهميه وأثر كبير فى إنجاح التبليغ إذا كان بينهما انسجام وتناسب، فنلاحظ مثلاً النبي يوسف عليه السلام حينما ألقى فى السجن، لم يقف متفرجاً إزاء حركة الزمن، بل جعل عليه السلام من فترة السجن زمناً حياً معطاءً مثمراً، من خلال إدراكه وتعامله مع الظرف الذى يعيش فيه.

ومن خلال قناعته بأن رساله هى تكليف ومهمه ملازمه لشخصيته، وأن الزمن عنصر وشرط رئيسى فى نجاح تبليغ الرساله، أما الظرف الذى يعيشه فمهما كان قاسياً أو قهرياً فإنه لا يشغله عن أداء تكليفه و القيام بمهمته ولا يقيد حركته الرساليه التى يمكن أن تمتد على كل زاويه، وأن تعلن فى كل ظرف، باستخدام الأسلوب و الأداء المناسب.

والمتأمل فى قصه النبي يوسف عليه السلام يلاحظ الدقه و الحكمة فى استثمار الزمن فى السجن، وتحقيق نجاحات كبيره بسبب توظيف هذه الفترة الزمنية لصالح نشر رسالته.

فأنه عليه السلام حينما أدخل على السجن، دخل معه فتیان أحدهما رئيس الخبازين عند الملك عزيز مصر و الآخر رئيس سقاته لتهمه الخيانه، و قد تقدّما إلى يوسف بعد العلم بمكانته العلميه بتأويل الرؤيا وأخبراه أن أحدهما رأى فى منامه أنه يأخذ العنقود من العنب وبعصره فى كأس الملك ورؤيه الآخر أن فوق رأسه طبق من الخبز و الطير تأكل منه، وكان طلبهما منه تأويل ما رأيا فى منامهما، وعند ذلك-وعند رؤيته من يصغى لكلامه و يثق بمقاله-أخذ يكشف لهما عن حقيقه أمره ومعتقده وأنه على دين

ص: ١٠٢

آباءه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وعلى ملتهم وأنه من أهل التوحيد والإيمان بالواحد الأحد الفرد الصمد، وأن إلهه هو إله آباءه الطاهرين وهو الله المبدع لهذا الخلق وهو المحيي والمميت، وهو على كل شيء قدير.

فأراد يوسف عليه السلام منهما الإيمان بالله العلي القدير فدعاهما إلى ذلك وأرشدتهما إلى الطريق القويم كما هي طريقه الأنبياء عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام من هداية الخلق ونصحه وخصهما حيث رغبا إليه واحتاجاه في مسألتهما، فكان بيانه هذا تعليلاً لما لَمَّح إليه من مكانته وتمهيداً للدعوة وإظهاراً إلى أنه من أهل بيت النبوه، ولتقوى رغبتهما في الاستماع إليه والثوق بقوله، ثم توجه إليهما سائلاً لهما: (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ). (١)

وكانت الغاية له عليه السلام الإعلام بدينه والدعوة إليه وقد قدره الله تعالى على ذلك، وعلى تعبير الرؤيا وتأويلها، ثم أعلمهما أنه لا يأتيهما طعام يرزقانه إلاّ ونأهما بتأويله قبل أن يأتيهما، وأن ذلك مما علمه الله تعالى إياه، وأنه لا يعبد سواه ويكفر بكل معبود غيره، وهو سبحانه الأمر أن لا يعبد الناس رباً سواه، وأن ذلك هو الدين القويم، وأن جهله الناس لا يعلمون.

ثم إنه يعتبر تبليغه ونصحه للخلق واجبا عليه ولذلك أجاب طلبهما بقوله: (يا صاحِبِي السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا) وهو الناجي: (وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُضَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) (٢). (٣)

فهكذا اغتنم يوسف عليه السلام الفرصة في بث ما عنده من أسرار التوحيد والدعوة إلى

ص: ١٠٣

١- (١). يوسف: ٣٩.

٢- (٢). يوسف: ٤١.

٣- (٣). الأنبياء حياتهم - قصصهم: ١٤٨.

ربّه سبحانه وتعالى وتبليغ رسالته، وبالتالي جنى ثمار طيبه بسبب استثماره لهذه الفتره الزمنيه العصيه.

وكذلك فى حياه كلیم الله موسى عليه السلام-التي تعتبر من التجارب التبليغيه الرساليه المهمه-نجد أن الزمن كانت له قيمه رساليه عاليه طوال الفتره التي عاشها مع قومه وعانا فيها الكثير من المصاعب و المحن.

فقد استثمر عليه السلام الشرائط الزمانيه-المناسبه لتبليغ رسالته-أفضل استثمار، بل كان يسعى لتوفيرها الإستفاده منها، فلما دخل على فرعون وألقى عصاه فانقلبت ثعبان عظيم، قالوا له: (فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحَشِّرَ النَّاسَ ضُحًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى). (١)

فقال لهم موسى عليه السلام: (مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ)، وهو (يوم عيد كان لهم...وقال الفراء: (يَوْمُ الزَّيْنَةِ) يوم شرف كانوا يترنون بها، (٢)فهو من أكبر أيام مصر وأعظمها بهجه وسرور من قديم الزمان. (٣)

فاختياره عليه السلام لهذا اليوم المهم يدل على حكمته واهتمامه بالشرط الزمانى الذى يريد أن يبلغ فيه رسالته فأنت (تعيين يوم الزينه يقتضى إطلاع الكل على ما سيقع فتعيينه إنما يليق بالمُحِق الذى يعرف أن اليد له لا المُبِطِل الذى يعرف أنه ليس معه إلا التليس، فحينما قال عليه السلام موعدكم يوم الزينه، وأوعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمه الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس الأشهاد فى المجمع العام

ص: ١٠٤

١- (١). طه: ٥٨-٦١.

٢- (٢). التبيان فى تفسير القرآن: ١٨١.

٣- (٣). تاج العروس: ٢٦٨/١٨.

ليكثر المحدث بذلك الأمر العجيب في كل بدوٍ وحضرٍ ويشيع في جميع أهل الوبر والمدر، قال القاضي: إنه عين اليوم بقوله: (يوم الزينه) ثم عين من اليوم وقتاً معيناً بقوله: (وَ أَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى) . (١)

و فعلاً- حينما جاء يوم الزينه وحشر الناس، وأصطف السحره، وهئئت الأجواء للمناظره و المحاججه تقدم كليم الله عليه السلام، مخاطباً جموعهم: (قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتُرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيَسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى) . (٢)

و هذا القول من موسى عليه السلام موعظه لهم وإنذار أن يفتروا على الله الكذب... فالظاهر أن المراد بافتراء الكذب على الله الاعتقاد بأصول الوثنيه كالوحيه الآلهه وشفاعتها ورجوع تدبير العالم إليها...، ويظهر من تفريع قوله (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى) ، (٣) على ما في الآيه السابقه من قوله: (قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتُرُوا عَلَيَّ اللَّهُ كَذِبًا فَيَسْحِتْكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى) .

أن التنازع والاختلاف إنما ظهر بينهم عن موعظه وعظهم بها موسى فأثرت فيهم بعض أثرها، ومن شأنها ذلك إذ ليست إلا كلمه حق ما فيها مغمض وكان محصلها: أن لا علم لكم بما تدعون من إلهيه الآلهه وشفاعتها فنسبتكم الشركاء و الشفعاء إلى الله افتراء عليه و قد خاب من افتري، وهذا برهان واضح لا ستر عليه ولا غبار.

ويظهر من قوله الآتي الحاكي لقول السحره: (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيَّهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى) (٤) أن الاختلاف إنما ظهر أول ما ظهر بين السحره ومنهم. (٥)

ص: ١٠٥

١- (١). التفسير الكبير: ٧٢/٢٢ و ٧٣.

٢- (٢). طه: ٦١.

٣- (٣). طه: ٦٢.

٤- (٤). طه: ٧٣.

٥- (٥). الميزان في تفسير القرآن: ١٧٥/٤١.

وبهذا الاختيار المناسب من قبل موسى عليه السلام للزمان المناسب و هو يوم الزينه، كيوم للمناظره و المحاججه و المقابله آتى أكله، وظهر أثره فى الناس وفى صفوف السحره و الفراعنه.

وهكذا أخذ إقرار-روح الله عيسى بن مريم عليه السلام-بالعبوديه لله، وكلامه فى المهد أثراً كبيراً من بنى إسرائيل؛ لأنه حدث فى شرائط زمانيه مناسبه و متناسقه معه تماماً، وذلك عندما جاءت به أمه العذراء مريم ودخلت محرابها، فجاء إليها بنو إسرائيل وذكروا معهم فقالوا لها: (يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيئاً* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ مَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْيًّا). (١)

وكان قصدهم و غرضهم توبيخها و تعييرها، و قد رموها بالفاحشه و نسبوا إليها الزنا، ثم قالوا لها من أين لك هذا المولود الذى جئتنا به؟ فأشارت إلى ولدها عيسى عليه السلام و هو مَقْمَطٌ فى المهد، فقالوا لها: كيف نكلّم من كان فى المهد صبياً؟ فأنطق الله تعالى روحه عيسى عليه السلام فقال: (قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا * جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * بَرًّا بِوَالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * أَلَسَلَامٌ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا). (٢)

فأقرّ عليه السلام بالعبوديه لله تعالى و بين التوحيد، و تلك المعانى العظيمة فى ذلك الزمن الحساس و المهم، فأثر أثره الكبير، ولو قال هذا الكلام فى ظرف و زمان آخر لما أثر كهذا الأثر فى هذا الزمن.

أما فى قصه أصحاب الكهف عليهم السلام، فالتقى مع نموذج جديد حول القيمه الزمنيه للتجربه الرساليه، فقد كانت فتره خروج أصحاب الكهف من كهفهم، زماناً مناسباً

ص: ١٠٦

١- (١). مريم: ٢٨.

٢- (٢). مريم: ٣٠-٣٣.

لتبليغ التوحيد و العقيدته، وفعلاً أكدوا بخروجهم وجود الله و قدرته على إحياء الموتى، وأكدوا وجود المعاد و يوم القيامة، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُغَلِّمُوا أَنْ وَعِدَ اللَّهُ حَقُّهُ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا...) ، (١) فصاروا بذلك آية على طول التاريخ، وأصبحوا معلماً رسالياً يستوحى منه العاملون و المبلّغون الصبر و الثبات فى مواجهه عقبات الطريق و تحديات الواقع.

وأفضل درس يمكن أن يستفيد منه الدعاة و المبلّغين من قصه أصحاب الكهف هو أن الكلمه الصادقه و الموقف الحقّ قد يتوقف تأثيره على حصوله و إطلاقه فى زمانه المناسب له، وهذا واضح جلى فى المسيره التبليغيه لهؤلاء الفتيه، فإنهم طالما دعوا قومهم إلى الإيمان بالله تعالى و اليوم الآخر، لكنهم لم يؤثروا فيهم كما أثروا فيهم فى هذا الظرف المناسب لتبليغ رسالتهم- هو زمان و لحظه خروجهم من الكهف بعد تلك المده الطويله- وبذلك سلّم الناس بقدره الله عز وجلّ وإعجازه فى خلقه و رعايته لعباده المؤمنين العاملين.

أما متابعه حياه نبينا الأَعْظَم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فتعطينا صورته مثاليه عن التعامل مع الزمن فى كلّ مجال من مجالات حياته الشريفه.

فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذى يمثّل الأسوه و القدوه لكلّ المبلّغين و الإصلاحيين، كان تعامله مع الوقت و أجزاء الزمن هو النموذج الأعلى لأسلوب استثمار المبلّغ لعامل الزمن فى كلّ أجزاء حياته الشريفه.

ابتداءً من نزول القرآن الكريم على قلبه الشريف، فقد أنزل الله سبحانه و تعالى القرآن على قلب حبيبه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد اختيار الزمن المناسب لذلك ألا و هو ليله القدر: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ، (٢) فاختيار هذا المقطع الزمانى لإنزال القرآن الكريم

ص: ١٠٧

١- (١). الكهف: ٢١.

٢- (٢). القدر: ١.

يزيد في أهميته؛ لأنَّ ليله القدر هي أفضل ظرف زمانى، (١) شهر رمضان المبارك، شهر ضيافته الله، فحمل صَلَّى الله عليه وآله هذا الكتاب المقدس وبلغه للناس قطعاً قطعاً في مده ثلاث وعشرين سنهً وحسب اختلاف الشرائط الزمانيه و المكانيه وتفاوتها فتدرج في تبليغه في مكه و المدينة، في الليل و النهار، والحضر و السفر، في الحرب و السلم، في يوم العسره و في يوم الغلبه، و يوم الأمن و يوم الخوف، لإلقاء المعارف الإلهيه، و تعليم الأخلاق الفاضله و تقنين الأحكام الدينيه في جميع أبواب الحاجه، و بمختلف الظروف.

فقد اختار النبي الأعظم صَلَّى الله عليه وآله الأسلوب السرى في تبليغ رسالته-أى: بادئ الأمر- من أجل تكوين قاعده مؤمنه تحمل الإسلام بقوه قبل أن تنطلق في مواجهه المحيط الكافر، لَمَا قد يترتب على ذلك من ردّه فعل عنيفه تواجه الدّعوه و تنهى الرساله و تقوض البناء الجديد، و هذا ما جعل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يحرص على كتمان أمره و يوصى أصحابه بالكتمان، ولكن حينما شعرت قريش بالواقع الخطير الذى يقوم به النبي صَلَّى الله عليه وآله و أصحابه ممّا شكل ضغطاً نفسياً و فكرياً عليها تحفّزت لمواجهته.

و قد وجد النبي صَلَّى الله عليه وآله أن انكشاف أمر الرساله أفقد المرحله طابعها الأساس و لم يعد من الصحيح اعتماد السريه في العمل التبليغى في هذا الظرف، فقرر صَلَّى الله عليه وآله أن يجهر بدعوته في عمل علنى سلمى، حيث يسعى هو و أصحابه لهدايه الناس على أساس التوحيد و إنقاذهم من شراك الجاهليه و الظلال، من دون اعتماد أى سلوك عنيف حتّى وان تعرضوا للاضطهاد و الأذى من قبل المشركين.

قال تعالى: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (٢) نزلت هذه الآيه بعد بعثه

ص: ١٠٨

١- (١). و أفضل ليله، بنص القرآن الكريم، قال تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) و تقع في أفضل ظرف زمانى، هو شهر رمضان المبارك، شهر ضيافته الله، الذى قال فيه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «شهر هو عند الله من أفضل الشهور».

٢- (٢). الحجر: ٩٤.

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِثَلَاثِ سِنَوَاتٍ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْضِيَّةَ وَالظُّرُوفَ وَالزَّمَانَ مَنَاسِبٌ لِإِعْلَانِ الدَّعْوَةِ وَالتَّبْلِيغِ: (فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ) بِدُونِ صِدَامٍ وَمَجَابِهِهِ وَمُقَابَلِهِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ: (وَاعْرَضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ).

وَفِي الْفِتْرَةِ الَّتِي كَانَ كِفَارَ قُرَيْشٍ، يَصْدُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنِ الْعَمَلِ التَّبْلِيغِيِّ فِي مَكَّةَ:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَعْرُضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ—إِذَا كَانَتْ—عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ، يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى نَصْرَتِهِ وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ، وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يَصَدَّقُوهُ وَيَمْنَعُوهُ حَتَّى يَبِينَ عَنِ اللَّهِ مَا بَعَثَهُ بِهِ. (١)

وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُوَاعِدُ وَيَلْتَقِي مَعَ مَرِيدِي الْإِسْلَامِ، وَالرَّاعِبِينَ بِمَعْرِفَتِهِ، فِي أَزْمَانٍ وَأَيَّامٍ مَهْمَةٍ كَأَيَّامِ الْحَجِّ وَالتَّشْرِيقِ، يَقُولُ الطَّبْرِيُّ:

ثُمَّ أَنَّ مَصْعَبَ بْنَ عَمِيرٍ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ وَخَرَجَ مِنْ خُرَاجِ الْأَنْصَارِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَوْسِمِ مَعَ حِجَاكِ قَوْمِهِمْ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ، حَتَّى قَدَمُوا مَكَّةَ؛ فَوَاعَدُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْعَقْبَةَ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، (٢) حِينَ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مَا أَرَادَ مِنْ كِرَامَتِهِ، وَالنَّصْرَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِعْزَازَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَإِذْلَالَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ. (٣)

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَسْتَفِيدُ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، لِاعْتِقَادِ الْكُفَّارِ بِحَرْمَةِ الْقِتَالِ وَسَفْكَ الدَّمَاءِ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرَامِ:

فَكَانَ تَحْرِيمُ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ هُوَ الدِّينُ الْمُسْتَقِيمُ دِينَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ قَدْ تَمَسَّيَتْ بِهِ وَرِاثَةَ مِنْهُمَا، وَكَانُوا يَعْظُمُونَ الْأَشْهُرَ الْحَرَامَ وَيَحْرَمُونَ الْقِتَالَ فِيهَا حَتَّى لَوْ لَقِيَ الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ أَوْ أَخِيهِ لَمْ يَهْجِهِ. (٤)

ص: ١٠٩

١- (١). تاريخ الطبري: ٢/٢٥٤.

٢- (٢). أيام التشريق: هي ثلاثة أيام بعد عيد الأضحى؛ لأن لحوم الأضاحي تشرق فيها.

٣- (٣). تاريخ الطبري: ٢/٢٦٣.

٤- (٤). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: ٢/١٨٨. تفسير مجمع البيان: ٧/٢٩١.

فأسثمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذِهِ الْفَتْرَةَ الزَّمِينِيَّةَ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، فَكَانَ يَحْضُرُ فِي الْأَسْوَاقِ مِثْلَ عَكَاظٍ، مَحْنَهُ، ذِي الْمَجَازِ، وَيَقِفُ عَلَى مَرْتَفَعٍ، ثُمَّ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَتَوْحِيدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهكذا بقي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَخْتَارُ أَفْضَلَ الْأَزْمِنَةِ الْمُنَاسِبَةَ لِتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ حَتَّى قَوَى الْمُسْلِمِينَ وَجَاءَ الْأَمْرُ بِالْبِرَاءَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَخْتَارَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَفْضَلَ زَمَنٍ وَأَعْظَمَ يَوْمٍ مِنَ الْحَجِّ لِدَلِّكَ وَهُوَ (يَوْمَ عَرَفَةَ) (١) فَاجْتَمَعَ فِيهِ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ لِإِعْلَانِ الْبِرَاءَةِ وَإِلْغَاءِ الْعَهُودِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ: (وَ أَذَانَ مِنْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ رَسُولُهُ) . (٢)

وبقي هذا النبي العظيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُسْتَمِرّاً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ وَ الطَّرِيقَةِ إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ، فَلَمَّا أَرَادَ خَتْمَ رِسَالَتِهِ الْعَظِيمَةِ انْتَخَبَ الزَّمَانَ الَّذِي يَكْثُرُ فِيهِ حُضُورُ النَّاسِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَكَانٍ، كَمَا يَبْلُغُ الْقَوْلُ الْحَقُّ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَيَعْمُ التَّوْفِيقُ وَ الْهَدَى الْكَثِيرِينَ.

فَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ هُوَ: الثَّمَانِينَ عَشْرًا مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، (٣) يَوْمَ رَجُوعِ الْحَجَّاجِينَ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانَ هَذَا الزَّمَنُ مُمَيِّزاً جَدّاً حَيْثُ كَانَ الْحُضُورُ فِيهِ عَظِيماً جَدّاً وَمُتَنَوِّعاً-أَي: كَانَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ جَمِيعِ الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ-فَكَانَ بِإِمْكَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ يُوَصِّلُ صَوْتَهُ وَنِدَاءَهُ إِلَى أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ النَّاسِ وَإِلَى مُخْتَلِفِ الْبِلَادِ، فَجَاءَهُ النِّدَاءُ: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

ص: ١١٠

١- (١). رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صَلَّى أَنَّهُ حَجَّ الْأَكْبَرَ، هُوَ يَوْمَ عَرَفَةَ. وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى سَمَّى الْحَجَّ الْأَكْبَرَ؛ لِأَنَّهُ حَجَّ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ وَ الْمُسْلِمُونَ وَلَمْ يَحْجَّ بَعْدَهَا مُشْرِكٌ. وَفِي رَوَايَةٍ مُجَاهِدٌ وَشُعْبَةُ أَنَّهُ: جَمِيعُ أَيَّامِ الْحَجِّ. انظُر: التَّبْيَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ١٧١/٥.

٢- (٢). التَّوْبَةُ: ٣. الْأَذَانُ الْإِعْلَامُ، تَقُولُ: أَذْنِي فَلَانَ كَذَا فَأَذَنْتُ، أَي: أَعْلَمْنِي فَعَلِمْتُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهُ النِّدَاءُ الَّذِي يَسْمَعُ بِالْإِذْنِ. التَّبْيَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ: ١٧١/٥.

٣- (٣). مُحَمَّدٌ، الْمَفِيدُ، الْمَقْنَعَةُ: ٢٠٣.

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) ، (١) فصنع له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْبَرًا مِنْ أَحْدَاجِ الْإِبِلِ فَارْتَقَى عَلَيْهَا وَقَالَ: (الْيَوْمَ يَيْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاحْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) . (٢)

فأهم بحث وأوضح شيء ظاهر في هذه الآية يتركز في كلمة (اليوم) الواردة فيها، اليوم وما أدراك ما ذلك اليوم! الذي اجتمعت فيه أربعة أمور من أهم الأمور الأساسية والمصيرية، وهي:

١. (يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ) .

٢. (أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) .

٣. (وَآتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) .

٤. (وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) .

فهذا يدل على تعظيم ذلك اليوم وهو -يوم غدير خم- لاشتماله على خير عظيم من يئس الكفار من دينكم وإكمال الدين وإتمام النعمة بتنصيب الإمام على عليه السلام خليفه من بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .

«يوم عيد عظيم بما أظهره الله تعالى من حجته وأبانه من خلافه وصى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَوْجِبَهُ مِنَ الْعَهْدِ فِي رِقَابِ بَرِيَّتِهِ» . (٣)

وقد روى عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَفَ بِنِي حِينَ قَضَى مَنَاسِكَهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ وَاعْقِلُوا، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ بَعْدَ عَامِنَا هَذَا، ثُمَّ قَالَ: أَيُّ يَوْمٍ أَعْظَمَ حَرَمَهُ؟ قَالُوا: هَذَا الْيَوْمُ. قَالَ: فَأَيُّ

ص: ١١١

١- (١). المائدة: ٦٧.

٢- (٢). المائدة: ٣.

٣- (٣). محمد، المفيد، مسار الشيعة: ٣٩.

شهر أعظم حرمة؟ قالوا: هذا الشهر. قال: فأى بلده أعظم حرمة؟ قالوا: هذه البلده. قال: فإنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد، ألا ومن كانت عنده أمانه فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، فإنه لا يحلّ له دم امرء مسلم ولا ماله إلّا بطيبه نفسه فلا تظلموا أنفسكم ولا ترجعوا بعدي كفاراً. (١)

وهكذا استطاع جميع الأنبياء عليهم السلام أن يستثمروا العامل الزماني في عملهم التبليغي ويجنوا أطيب الثمار، ويحصلوا على أفضل النتائج، فعلى المبلّغ أن يقتدى بهم ويستثمر أفضل الأزمنة لتبليغه كشهر محرم الحرام، وشهر رمضان المبارك، وأيام الحجّ، والمسيرات، وأيام الحزن و الفرح، والمناسبات المهمّة، فإذا كان الكلام يتوافق معها يكون أكثر تأثيراً من غيرها إذا لم يكن متناسباً معها.

هذه دراسته مقتضبه لشروط ودور الزمان في التبليغ، ولا يتسع لنا المجال لو أردنا أن نستعرض كلّ الأمثلة القرآنية للشرائط الزمانية التبليغيه، ونكتفي بما ذكرناه من النماذج المشرقه.

أما لو لاحظنا دور المكان في التبليغ

نجد أنّ تأثير التبليغ يتضاعف فيما لو حصل في مكانه المناسب له، وقد لاحظ الأنبياء عليهم السلام هذا الشرط المهم والأساسي في نجاح التبليغ، فمارسوا أدوارهم التبليغيه في أماكنها المناسبه.

فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام لما دعا قومه إلى عباده الله وتوحيده فلم يستجيبوا له وأذاقوه الأمرين ورموه في النار، عزم على الرحيل وقال: (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ). (٢)

ص: ١١٢

١- (١). من لا يحضره الفقيه: ٩٣/٤.

٢- (٢). الصفات: ٩٩.

ومضى إبراهيم عليه السلام مرتحلاً عن وطنه ومسقط رأسه ومقر آبائه إلى دار غربه لم يعرف أحداً فيها ولم يدعوه أحد من أهلها:

«فمضى حتى خرج من سلطان نمرود ودخل في سلطان رجل من الأقباط يقال له عراره». (١)

وبدأ تجربته جديده من تجارب التبليغ والدعوة، في مكان وموقع جديد قد يكتشف فيه ساحه مميزه يملك فيها حريه الحركه لما يريد قوله وفعله. فأظهر ما يحمله من دين وأخلاق وحسن التعامل فأثر في الجميع حتى قال له الملك القبطي:

أشهد أن إلهك لرفيع حلیم كريم وأنتك ترغبنی فی دينك. (٢)

وهكذا نبى الله يوسف عليه السلام حينما قرروا إلقاءه في السجن: (ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَجْنَتِهِ حَتَّى حِينَ). (٣)

فلما أدخل إلى السجن وجده مكاناً مناسباً للتبليغ لا سيما أن السجناء يتميزون بقلوب رقيقه منكسره، وقابليه مضاعفه لاستماع الأحاديث التبليغيه، ولذا قام عليه السلام بالتبليغ عن وحدانيه الله بكل طمأنينه وثقه وبشكل تفصيلي، وبأسلوب رائع، حيث قال: (يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار * ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون). (٤)

وهكذا حول السجن إلى ساحه للتبليغ، حيث إنه يملك الحريه الكامله في الحديث و التعبير عما يحمله من فكر وعقيدته، ويملك إمكانيه التأثير في الآخرين، ممّا لا يملكه

ص: ١١٣

١- (١). الأنبياء حياتهم - قصصهم: ١٠٠.

٢- (٢). الأنبياء حياتهم - قصصهم: ١٠١.

٣- (٣). يوسف: ٣٥.

٤- (٤). يوسف: ٣٩-٤٠.

فى مكان آخر، مما فرض عليه القيام بواجبه ونشر رسالته.

و أما نبينا الأعظم صلى الله عليه و آله، فقد أمر أصحابه فى السنة الخامسة للبعثه أن يهاجروا إلى أرض الحبشه، وأن يتخذوها مقراً لنشر رسالتهم، وفعلاً كانت هذه الهجرة تطوراً هائلاً فى مسيره الرساله ونقله هامه فى تاريخ الإسلام، حيث نظرت قريش إلى أن رساله محمّد صلى الله عليه و آله تجاوزت حدود مكّه و الجزيره، وامتدت إلى ساحات و أماكن أخرى، كما أنّها وجدت فى الهجرة تعبيراً ميدانياً متحدياً لوجودها السياسى السلطوى فى مجتمع الجزيره.

فكان لوجودهم فى الحبشه الأثر الكبير على أهلها—وهم نصارى—، فلما سمعوا ما تلوه عليهم من القرآن الكريم فاضت عيونهم من الدمع، وجاء منهم اثنان و ثلاثون رجلاً مع جعفر بن أبى طالب وقت قدومه إلى النبى صلى الله عليه و آله فوجدوه فى المسجد فجلسوا إليه و كلموه و سألوه، فلما فرغوا من أسألتهم، دعاهم رسول الله صلى الله عليه و آله إلى الله عز و جلّ و الى الإسلام و تلا عليهم القرآن، (١) يقول سعيد بن جبير:

«فلما قرأ عليهم نبى الإسلام سوره (يس) دمعت عيونهم شوقاً و أسلموا».

«و استجابوا لله و آمنوا بالنبى و صدّقوه و عرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره». (٢)

فتزل فيهم قوله تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَ يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ الَّتِي نَبَاهُ السَّيِّئَةِ وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (٣) و بهذا استطاعوا أن يقطفوا من هذا المكان الجديد ثماراً طيبه.

و كذلك كانت هجره النبى صلى الله عليه و آله إلى يثرب بعد ما لم يكن بإمكانه البقاء فى مكّه

ص: ١١٤

١- (١). تفسير مجمع البيان: ٤٤٥/٧.

٢- (٢). تفسير الأمثل: ٥٩٣/٩، نقلاً عن: تفسير فى ظلال القرآن: ٣٥٧/٦.

٣- (٣). القصص: ٥٢-٥٣.

بسبب الضغوط التي واجهها من المشركين، مما أفقده قدره على الاستمرار في التبليغ بهذا المكان المقدس، فهاجر إلى مكان جديد إلى يثرب، فأخذها قاعده انطلاقاً جديده لرسالته الإسلاميه، فكانت هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، تطوّراً كبيراً ونقله تاريخه في مسار الرساله الإسلاميه و الخط الفاصل بين الإسلام الدّعوه، و الإسلام و الدوله.

إذ بدأت عمليه بناء المجتمع الإسلامى و الدوله الإسلاميه بعدما تركزت السنوات الثلاثه عشر من عمر الإسلام على بناء الفرد المسلم، وتعميق وجوده الإيماني و الفكرى و المبدئى.

إذاً: فتوفر هذا الشرط المكاني المهم ساهم في إنجاح الحركه التبليغيه الكبيره للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وكان سبباً في استحكام الإسلام و وصوله إلى شتى بقاع العالم.

و قد نهج أهل البيت عليهم السلام نهج جدتهم المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في أداء التبليغ بشروطه وظروفه المناسبه، فهذا الإمام الصادق عليه السلام مثلاً نجده يقف على أرض عرفات ليخاطب جمهور الحجج بأعلى صوته:

<< أيها الناس، إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان الإمام ثم كان علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم، فينادى ثلاث مرات لمن بين يديه، وعن يمينه، وعن يساره، ومن خلفه اثني عشر صوتاً. (١)

و قد أوصى الإمام الباقر عليه السلام أن يقيموا مجلس العزاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام في منى ويتحدثوا خلاله عن جرائم الحكومات الظالمه بحق الإمام وأهل بيته عليهم السلام. (٢)

إذاً: فينبغي للمبليغ أن يختار المكان المناسب لما يريد تبليغه، فمثلاً لو أراد أن يعظ الناس ويذكرهم بالآخره ويحثهم على عباده الله، فإن المكان المناسب لذلك هو المسجد. فقد ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

ص: ١١٥

١- (١). أصول الكافي: ٤/٤٦٦.

٢- (٢). ناسخ التواريخ: ٧/٣٢٦.

<< من اختلف إلى المسجد، أصاب إحدى ثمان: أخطأ مستفاد في الله، أو علماً مستطرفاً، أو آية محكمه، أو رحمه منتظره، أو كلمه تردّه عن ردى، أو يسمع كلمه تدلّ على هدى، أو يترك ذنباً خشيه أو حياء». (١)

وهكذا باقى الأماكن، كجبهات الحرب وصفوف القوات المسلحه، ومجالس التأبين والعزاء، وهى مجالس الذكر والموعظه وتحضرها عادة طبقات المجتمع المختلفه، والمراكز العلميه نظير الجامعات والمدارس العليا والثانويات و...، والمعامل، والمستشفيات والمراكز الصحيه، والدوائر الحكوميه و...، فينبغى أن يكون الكلام متناسباً مع المكان الذى يلقى فيه كى يكون مؤثراً ومنتجاً نتاجاً حسناً.

وعموماً فبما أن مستوى العقل والإيمان والحالات الروحيه لدى الناس متفاوتة ومختلفه باختلاف الزمان والمكان والظروف العامه والخاصه، المحيطه بهم، فيستدعى ذلك أن يراعى المبلّغ مقتضى الحال، ويتعامل تعاملًا خاصاً مناسباً للظرف الزمانى والمكانى، والبناء والمستوى الثقافى والروحى للمنطقه التى يبلغ فيها، وأن ينزل بمنازل المخاطبين ويراعى مستوى كلّ طبقه منهم فيكلمهم بقدر عقولهم، وهذه هى أخلاق وأسلوب الأنبياء عليهم السلام. فهذا رسول الله صلّى الله عليه وآله، يقول:

«إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم». (٢)

فبنى وبين صلّى الله عليه وآله لنا قاعده مهمّه فى التبليغ والإرشاد لا يمكن تجاوزها، وهذا المنهج والأسلوب هو أسلوب القرآن الكريم فمع أنه كلام الله عز وجلّ، لكن عندما نزل وخاطب عقول البشر راعى مستوى إدراكهم، فكأنه يخاطب كلّ إنسان بمستواه، فمهما كان المستوى الفكرى والثقافى للقارئ يجد أن القرآن يخاطبه، وهذه هى الطريقه الإلهيه فى التعامل ومخاطبه الأمم، يقول تعالى: (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ) (٣).

ص: ١١٦

١- (١). تهذيب الأحكام: ٢٤٩/٣.

٢- (٢). أصول الكافى: ٢٣/١؛ تحف العقول: ٣٧.

٣- (٣). الحج: ٦٧.

فيخبرنا تعالى أنه جعل لكل قوم منسكاً هم عاملون به، أي: شريعته، ومتعبداً، ومنهاجاً صالحاً، يتلاءم مع مقتضيات الزمان و المكان، ومع سنه التدريج و التطور و نضوج العقل البشري، فأُنزل التوراه على موسى عليه السلام بنحو من الشده، لعلاج التمسك بالماده، ثم أنزل الإنجيل متمماً لحكم التوراه مع علاج الروح وإشاعه المحبه، والعنايه بجوهر الدين، لا- بمجرد المظاهر و الشكليات و الطقوس، ثم أنزل القرآن حينما نضج العقل البشري، لإرساء معالم دستور الحق، والجمع بين العنايه بالماده و الروح، والتركيز على معايير العلم، واستخدام العقل، فكان أول دين يضع أسس الحضاره الإنسانيه الشامله.

وكان تشريعه وسطاً بين الشرائع، وكانت هذه الأديان صالحه للزمان الذي جاءت فيه. (١)

وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام، يراعون- في تبليغهم- الظرف و الحاله العامه التي يعيشونها، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام حينما غصبت منه الخلافه وجد أن الظرف و الحاله التي يعيشها المسلمون غير مناسبه لأي كلام أو تحرك، حيث أن مصلحه الإسلام، و الخوف عليه من الأخطار الداخليه و الخارجييه يقتضى السكوت وعدم التحرك، ومن هذا المنطلق فلزم السكوت و الجلوس في بيته، إلا انه وبعد انقضاء حادثه السقيفه حينما جاءه أبو سفيان ومن معه، ممن يريدون الفتنة، وعرضوا عليه البيعه، نطق بالحكمه وأورد خطبه تفقأ عين الفتنة، فقال:

«أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاه، وعرجوا عن طريق المناظره وضعوا تيجان المفاخره، أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح، هذا ماء آجن ولقمه يغص بها آكلها ومجتنى الثمره لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه». (٢)

فالذي لا يراعى الأحوال و الظروف و الشرائط الزمانيه و المكانيه في عمله و تبليغه هو كالذي يجتنى الثمره لغير وقت إيناعها، فهو لا يستفيد منها شيئاً،

ص: ١١٧

١- (١). تفسير المنير: ٢٩٦/١٧.

٢- (٢). نهج البلاغه: ٤٠/١.

كالزراع بغير أرضه، فليس بإمكانه أن يبقى في تلك الأرض ويرعى زرعه وسقيه، فلا يجنى إذاً من زرعه شيئاً، فإذا أراد أن يجنى ثمراً طيباً عليه أن يراعى الحكمه المعروفه: لكلّ مقام مقال.

٢. معرفه فن التبليغ

لكل عمل فنه وتقنيته الخاصه به، ومن دون هذه التقنيه و الفن لا- يمكن الخوض في أى فرع من فروع العلم ولا- أى جهه من جهات العمل.

ولذلك، فإن معرفه فن التبليغ أحد الشروط التي لا يمكن أن نتجاوزها، بل هي في مقدّمه شروط التبليغ، فبمقدار إيماننا بالتبليغ في أنّه ضروري، نؤمن بضروره فن التبليغ وأنه ضروره أيضاً.

إنّ المبلّغ يسعى إلى إحداث هزه نفسيه لدى المخاطب تعيد له صوابه إن كان ضالاً، و اتزانه إن كان مضطرباً، وتهديه في حيرته إن كان حائراً، وتزيل عنه الغشاوه إن كان لا يرى ما يجب أن يراه، فالتأثير الإيجابي هو الذي يستهدفه المبلّغ وإلّا فقدّ التبليغ قيمته ومشروعيه، لكن هذا التأثير ليس ميسراً للجميع حتّى ولو كانوا متساوين في القدرات و المعلومات؛ لذلك اعتبر فن التبليغ فناً من فنون العمل التربوي، ومهاره من مهارات حسن الخطاب، لا تقلّ أهميه عن نفس المادّه التبليغيه إن لم تكن أهم.

فهو فن من فنون تلقين المعرفه وطريقه من طرق تحريك الوعي لدى المتلقى؛ ولهذا يجب أن يتجاوز المبلّغ الطريقه المتبعه في الوظيفه الإخباريه العاديه إلى الطريقه التأثيريه، التي تجعل الإنسان يتمتع بما يسمع، ويفهم ما يلقي عليه، ويتنفع بما يفهم، ويغير سلوكه ومواقفه عن اقتناع، فالمبلّغ المتفنّ هو الذي ينتقى الأحداث المهمه و المشيره، والموضوعات المرتبطه باحتياجات واهتمامات الناس، ويتخير الألفاظ

والأساليب التي لها وقع على نفسه السامع، بحيث تستطيع أن تنقل المعنى نقلاً أميناً ومؤثراً، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «رَبِّ كَلام أَنفذ مِن سَهام» (١).

ويتطلب فنّ التبليغ أن يجتهد المبلِّغ في اصطناع طريقه للتبليغ متعدّده المداخل، وتلاءم مستويات الجمهور من جهه، والبيئه التي يعيش فيها من جهه أخرى، والموضوع المعالج من جهه ثالثه.

فالمبلِّغ الماهر هو الذي يستطيع تجميل كلامه بلطائف الفنّ وتصويره للمستمع بشكل يسحر لبّه وينفذ إلى أعماقه، فعن النبي صلّى الله عليه وآله: «إن من الشعر لحكمه و إن من البيان لسحر» (٢).

فإن إحدى القضايا التي أكّد عليها القرآن الكريم في مجال أسلوب وطريقه التبليغ هي كلمه (البلاغ المبين)، أي: الإبلاغ الواضح و النير،... وبساطه الموضوع، وسلاسته، وعدم احتواءه على أي شائبه، بحيث يصبح في متناول فهم الناس فيستوعبونه بسهولة كامله.

فالكلام المغلق، والمعقّد، والمغلّف بغلاف من الكلمات والاصطلاحات الكثيره و الذي يطالب الناس ويقول لهم بأنّه لا مقدره لكم على إدراك الأمور إلّا بعد سنوات الدرس الطويله، كلام غير موجود في قاموس تبليغ الرسل و الأنبياء.

فلقد كان الأنبياء عليهم السلام يشرحون المفاهيم بشكل بسيط، وواضح، بحيث يفهمها أكبر العلماء ويستفيدون منها في نفس الوقت الذي يستفيد منها أقلّ الناس معرفه بالعلم و العلوم، على الأقلّ في حدّ إمكانياتهم، ومدى سعه استيعابهم الذهني للأمور و المفاهيم (٣).

لأن المهم في التبليغ هو حسن فهم المخاطبين للبلاغ، وهذا يقتضى أن يكون البلاغ واضحاً بيناً دون أي غموض أو إشكال ما أمكن، فالخطاب لا بدّ أن يكون

ص: ١١٩

١- (١). المازندراني، شرح أصول الكافي: ٣٤/١٠.

٢- (٢). من لا يحضره الفقيه: ٣٧٩/٤.

٣- (٣). الملحمه الحسينيه: ١٨٤/١.

بأسلوب يفهمه كل مستوى من المستويات وبكل سهوله ويسر، وهذا هو الفن الذي يميز بين المبلّغ الناجح وبين غيره، فلو أخذنا على سبيل المثال مبلّغين أو أستاذين أو معلمين، يتمتعان بنفس المستوى العلمى و الثقافى ويشتركان فى جميع الشروط، لكن وجدنا أحدهما موفقاً وناجحاً ومؤثراً ويحظى بمستمعين ومريدين أكثر من غيره، فسبب هذا يعود إلى الطريقة و الأسلوب و الفن و المنهج المتبع عند أحدهم دون الآخر، فعلى سبيل المثال إذا أراد المبلّغ هدايه شخص ما فلا ينبغى شرح فضل النوافل المستحبه للكافر الذى يريد الدخول فى الإسلام، بل إثبات أصل الدّين الإسلامى، ويفهم له الأسس الإيمانيه فهماً ملائماً لمنطقه العقلى وبأسلوب علمى.

هذا، ومن جمله الأمور التى تضمن لكلام المبلّغ التأثير المطلوب هو تلوين التعبير الذى يستخدمه بالنغمه الملائمه للمعنى، لأنّ التنغيم جزء من العناصر المحدّده لمعنى الكلمه أو الجملة، فالقراءه الرتيبه لنص معين أو لبيت شعرى، أو لحكمه من الحكم أو سرد قصه لها مغزى معين لا تؤثر فى السامع، ولا تؤدّى ما يراد منها.

ومن هنا، فطريقه الأداء من: رفع وخفضه، وتكرار الأداء واختيار، النبره الملائمه و الإشارات المصاحبه، (1) تندرج ضمن الجوانب الفنيه التى بها يكون التبليغ فناً من فنون القول وأداه من أدوات التأثير التى يحتاج إليها كل من يمارس فعلاً تبليغياً أو تربوياً أو توجيهياً؛ لأنّ تحريك وعى الجماهير ليس عمليه بسيطه ولا متاحه لكلّ أحد،

ص: ١٢٠

١- (١). كرفع النبى صلّى الله عليه و آله يد الإمام عليه السلام فى موقعه غدیر خم، حينما أراد أن يعرف للمسلمين وينص على ولايته و يبلغها لهم، أو كرفع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام صوته عندما يريد ترغيب الناس فى الجهاد وقوله: «الجهاد الجهاد عباد الله»، أو هدوئه عندما يريد التحدّث عن الشهداء، وبكائه و ضربه على لحيته: ثمّ ضرب بيده على لحيته الشريفه الكريمه فأطال البكاء، ثمّ قال: «أوه على إخوانى الذى تلوا القرآن فأحكموا...». نهج البلاغه: ١٠٩/٢.

ولكنها ليست مستعصية على كل أحد إلا على من كان جاهلاً بوظيفه اللغه وخصائص التعبير وأساسيات التبليغ، والأمر هنا ليس عملاً بسيطاً لأن التبليغ في أساسه مرتبط بالمخاطبين و حاله التي يكونون عليها، والمخاطبون هنا ليسوا فئة واحده، وليست مستوياتهم وظروفهم واحده أيضاً، ولذا لا بد أن يراعى المبلِّغ كل الظروف و الشروط كما يراعى حاله النفسيه التي يكونون عليها، ويلتزم بكل فنيات التبليغ كى يؤدى التبليغ وظيفه، وينتج ثمرته، ويحقق الخطاب رسالته.

٣. عدم التكلف

من أهم شروط نجاح التبليغ أن يكون خالياً عن التكلف، والتكلف هو: اسم لما يفعل بمشقه أو تصنع أو تشيع، ولذلك صار التكلف على ضربين:

محمود: و هو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذى يتعاطاه سهلاً عليه و يصير كلفاً به و محبباً له، وبهذا النظر يستعمل التكليف فى تكلف العبادات.

والثانى: مذموم و هو ما يتحراه الإنسان مرأه وإياه عنى بقوله تعالى: (قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) ،
(١) وقول النبى صلى الله عليه و آله:

<< أنا و أتقياء أمتى براء من التكلف >>. (٢)

يقول السيد الطباطبائى فى تفسير قوله تعالى: (ما أنا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) :

أى: من أهل التكلف و هو التصنع و التحلى بما ليس له. (٣)

فبيننا صلى الله عليه و آله و كل الأنبياء عليهم السلام كانوا منزهين عن التكلف و التصنع، ولذلك لم يكن كلامهم ثقيلاً على الناس، وكان يستقبل بقبول حسن، أما المتكلفين فقد سلطت الأحاديث الشريفه الضوء عليهم و بينت صفاتهم، فقد ورد فى الحديث

ص: ١٢١

١- (١). ص: ٨٦.

٢- (٢). مفردات غريب القرآن: ٤٣٩.

٣- (٣). الميزان فى تفسير القرآن: ٢٢٨/١٧.

الشريف عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «لِلْمُتَكَلِّفِ ثَلَاثَ عِلَامَاتٍ: يِنَازِعُ مِنْ فَوْقِهِ، وَيَتَعَاطَى مَالًا يِنَالًا، وَيَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ». (١)

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

<< المتكلف مخطئ وان أصاب، والمتكلف لا يستجلب في عاقبه أمره إلا الهوان، وفي الوقت إلا التعب والعناء والشقاء، والمتكلف ظاهره رياء وباطنه نفاق، وهما جناحان بهما يطير المتكلف، وليس في الجملة من أخلاق الصالحين، ولا من شعار المتقين التكلف في أى باب، كما قال الله تعالى لنبيه: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) .

فأوضح من خلال هذه الروايات الشريفه:

أن المتكلفين خارجون عن جاده الحق والعدالة، والصدق والأمانه، وأنهم لا يرون الحقائق أمام أعينهم، ويتشبثون بالأوهام والخيال، ينبئون بأمور ليسوا على اطلاع بها، ويتدخلون بأمور لا يعرفونها، لهم ظاهر وباطن، وحضورهم وغيابهم متضاد، يتعبون أنفسهم ويجهدونهم، ولكنهم لا يحصدون سوى الخيبة والخسران، أما المتقون والصالحون، فأنتهم مطهرون من هذه الصفه ومنزهون عنها. (٢)

وهذه من صفات التبليغ لدى كل الأنبياء عليهم السلام والمبلغين الصادقين، وقد افتخر بها نبينا الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ فَهُوَ: لم يكن متكلفاً متقولاً ولا متخزصاً ما لم يؤمر به من عند ربه، فهو مبلغ وحى الله بأمانه متناهيه دون زياده ولا نقص. (٣)

وقد روى عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود قال:

يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله اعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله اعلم، فإن الله عز وجل قال لنبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلِهِ:

ص: ١٢٢

١- (١). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: ٣/٣٨٥؛ تفسير جوامع الجامع: ٣/٢٠٦.

٢- (٢). تفسير الأمل: ١/٥٦٧.

٣- (٣). تفسير المنير: ٢٣/٢٣٦.

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ . (١)

إذا: فينبغي أن يتحلى المبلِّغ بالصدق و الوضوح و يتميز و يميز تبليغه بعدم التكلّف و التصنّع، ليكون له أثر بالغ في نفوس الناس.

٤. مطابقه الحق

ومن أهم الشروط الأساسية في التبليغ كونه مطابقاً للحق؛ لأنّ المبلِّغ إذا أراد أن يقضى على الباطل فيجب عليه أن يأتي بالحق: (وَ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) ، (٢) ولربّ أمّه بقيت غائره في مستنقع الغي و الظلم و الظلال مئات السنين لكنّها تحررت عندما جاءها مصلح يحمل رايه الحقّ.

و هذا ما يريده الله تعالى من المبلِّغ المؤمن، أن ينطلق في تبليغه من موقع التحديد الدقيق للفكره الإسلاميه الحقّه، فلا يدخل فيها شيء من أفكار الباطل ليقربها إلى الناس الذين قد لا يرغبون في الحقّ إذا لم يكن ممزوجاً بالباطل.

فالتبليغ بمجرد أن يتزحزح عن الحقّ سوف يكون ضلالاً وإضلالاً: (فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) . (٣) ومن المؤكّد أن الضلال و الباطل لا يستطيع مجابهه و مقاومه الحقّ، فإنّ الغلبه دائماً لحجه الحقّ على الباطل، و قد تسلح به -الحقّ- جميع الأنبياء عليهم السلام في مسيراتهم التبليغيه، فهذا الإمام السجاد عليه السلام حينما سئل عن جميع شرائع الدّين أجاب:

<< قول الحقّ و الحكم بالعدل و الوفاء بالعهد>>. (٤)

ص: ١٢٣

١- (١). تفسير مجمع البيان: ٣٨٠/٢؛ تاريخ الإسلام: ٢٢٥/١؛ المعجم الكبير: ٢١٥/٩.

٢- (٢). الإسراء: ٨١.

٣- (٣). يونس: ٣٢.

٤- (٤). ميزان الحكمة: ٥٠/٥.

فمدى تأثير المبلّغ المتميّك بالحقّ ووصوله إلى غايته وهدفه أمر مؤكّد، ولا- غبار عليه، فهو أحسن الحديث و الصّادع به مجاهد، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

<< إن دين الله لا- يعرف بالرجال، بل بآيه الحقّ، فأعرف الحقّ تعرف أهله، يا حارث إن الحقّ أحسن الحديث، والصادع به مجاهد...>>. (١)

٥. عدم المنّ

ويشترط في نجاح التبليغ وتأثيره أن لا- يكون فيه منّ، وقد نهى النبي صلّى الله عليه و آله عن الجنوح إلى المنّ على الناس، قال تعالى: (وَ لَا تَمُنُّنَّ تَشْكُرًا). (٢)

وقد قيل في تفسير المنّ: «هو المنّ بالقول وذلك أن يمنن به ويستكثره». (٣)

وقيل:

لا- تمنن على الناس بما تعلمهم من أمر الدّين، والوحي كالمستكثر لذلك الإنعام، فأنتك إنما فعلت ذلك بأمر الله، فلا منّ لك عليهم ولهذا قال تعالى: (وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ). (٤)

وقيل: «أى لا تمنن على أصحابك وغيرهم بتبليغ الوحي، وقيامك بالإنذار...». (٥)

وعلى هذا الأساس فلا ينبغي للمبلّغ أن يشعر الناس بالمنّ عليهم عندما يتحمل أعباء التبليغ، ومشاق الطريق، فيحسس الناس بأن ما أعطاه إياهم كثير... بل لابد من إشعارهم بأن ذلك كله يمثل مسؤوليته التي حمله الله إياها، وهي نعمه من الله عليه، فينبغي شكرها بهدايه كلّ من يحتاج الهدايه و الرعايه و العنايه، وبهذا لا يبقى هناك معنى للمنّ، مادام ذلك هبه من الله سبحانه وتعالى.

ص: ١٢٤

١- (١). بحار الأنوار: ١٢٠/٦٨.

٢- (٢). المدثر: ٦.

٣- (٣). مفردات غريب القرآن: ٤٧٤؛ تاج العروس: ١٩٣/٣٠.

٤- (٤). المدثر: ٧؛ التفسير الكبير: ١٩٣/٣.

٥- (٥). تفسير المنير: ٢٩/٢٢١؛ الميزان في تفسير القرآن: ٨٢/٢٠.

إِذَا: فالمن لا- ينبغى إلما لله عز وجل: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ،أما أنت كنبى أو كميلغ ليس لك المن عليهم استكثارا لما تبليغ من رسالات ربيك، وكذلك ليس لهم المن عليك أن آمنوا بالله: (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ) ،فالمن على الناس من خصوصيات الله، ولا- ينبغى لأحد من عباده أن يقوم بأعماله، وقد قال تعالى: (وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) . (١)

وأخيراً إذا توفرت هذه الشروط فى التبليغ و المبلغ يمكن أن تؤثر الأساليب المتبعه فى التبليغ، ويكون تبليغاً ناجحاً ومؤثراً وموفقاً.

ص: ١٢٥

١- (١). الآيات بترتيب: آل عمران: ١٦٤. الحجرات: ١٧. إبراهيم: ١١.

الفصل الثاني: بيان لأهم أساليب التبليغ

إشاره

ص: ١٢٧

إنّ للأساليب صلّه وثيقه بكلّ جوانب حياتنا، فهى تعدّ لازم من لوازمها التى لا تنفصل عنها، بل تسير معها فى كلّ مجالاتها، وتبدأ مع بدايه وجود كلّ حقيقه؛ لأنها الإطار الذى تعيش فيه، والصوره التى تبرز بها.

ولا- تختلف الحقيقه- فى حاجتها إلى الأسلوب- بين أن تتمثل فى وجودنا الحسى الخارجى، وبين أن تتمثل فى وجودنا الفكرى الذهنى؛ لأنّ الأسلوب ليس شيئاً منفصلاً عن وجودها، ولهذا فباستطاعتنا أن نتلمس الأسلوب فى كلّ وجه من وجوه الحياه، وفى كلّ مجال من مجالاتها دونما شك.

فقد نشاهد بستاناً، يحوى فى أرضه شتى الألوان و الأصناف من الأشجار و الأزهار، فلا نستمتع به ولا ننجذب إليه، وإنما نمر به مروراً عابراً، كما يمر الإنسان بأى منظر عادى... ولكننا قد نمّر ببستان آخر لا يختلف عنه فى طبيعه ما يحويه، وفى وحده الموقع فيستلفت نظرنا، ويستوقفنا، ونحس بالجمال فى كلّ جانب من جوانبه، ونستمتع بكلّ مشهد من مشاهده.

وقد ندخل إلى مكتبه تحتوى على مجموعه من الكتب القيمه، لكنها لا- تشدنا إلى مطالعتها، والاستفاده منها، بينما ندخل إلى مكتبه أخرى تحوى هذه الكتب

نفسها، ولكنها تشدنا وتجذبنا إليها، بغيه الإقبال على مطالعته بعض كتبها والاستفادة منها.

قد نلتقى بالكثير من هذه النماذج في حياتنا، فنحسّ بإحساس مختلف مع كلّ واحد منها، وقد لا نلتفت إلى منشأ هذا الاختلاف، ولا نتوصّل إلى حقيقته، ولكن بعد التدقيق والتدبر ندرك أن السير هو في الطريقة والأسلوب المتبع في كلّ منهما، ففي البستان مثلاً نجد أن الأسلوب والطريقة المتبعه في تنسيقه وتنظيمه تحببه إلى النفس وتكسبه رونقاً وروعه وجاذبيه خاصه.

وفي المكتبه نجد أن طريقه تصنيف وتنسيق الكتب وتقسيمها الدقيق وتناسقها مع بعض، إضافه إلى انتظام كتب كلّ قسم مع بعضها أعطاها تلك الميزه والجماليه والجذابه.

وهكذا نجد أثر الأسلوب المناسب في المجالات الفكرية، والعلميه، والاستدلاليه، فإنه:

لا- يكفي الاستدلال القوي الممتين للنفوذ إلى قلوب الآخريين واكتسابهم بالكلام الحقّ، فإن أسلوب التعامل مع الطرف الآخر، وطريقه البحث و المناظره تترك أعمق الأثر في هذه المرحله.

فكثير ما يتفق أن يوجد أناس مطلعون ولهم يد طولى في البحوث العلميه الدقيقه إلّا أنهم قلما يوفقون للنفوذ إلى قلوب الآخريين، بسبب عدم معرفتهم بكيفيه المجادله بالتى هى أحسن، [وعدم اختيارهم للأسلوب المناسب، والأداء الجيد، لما يبلغونه ويطرحونه].

وبتعبير آخر: فإن النفوذ إلى مرحله الوعى-فى المخاطب-غير كافٍ وحده، بل ينبغى المدخول إلى مرحله عدم الوعى، الذى يمثل القسم الأكبر لروح الإنسان أيضاً. (١)

ص: ١٣٠

فأن الإنسان ليس فكراً وعقلاً. صرفاً كى يستسلم أمام قدره الاستدلال، بل علاوه على ذلك، فأن مجموعه من العواطف و الأحاسيس التى تشكّل جانباً مهماً من روحه مطويه فى وجوده، والتى يجب إشباعها بشكل صحيح ومعقول. (١)

وذلك من خلال اختيار دقيق لأنجح الأساليب وأفضل طرق الأداء، باعتبار أن لها الأثر الكبير فى تقبل فكره معينه، من شخص ورفضها من آخر؛ لأنّ السعى إلى طرح أى فكره أو نظريه وإدخالها إلى قلوب الآخرين، يعتمد على أسلوب عرضها، وطريقه أدائها.

لأن أحد شروط نجاح أى عمل تكمن فى اختيار وانتخاب الطريقه و الأسلوب الصحيح؛ (٢) ولأنّ قضيه التبليغ بمعناها الواقعي و الصحيح، تعنى: نقل وإيصال الرساله إلى الناس، أى توعيه الناس بالرساله وإقناعهم بها وجذبهم إليها، وإبلاغ أى رساله يحتاج إلى أسلوب و منهج صحيح.

فبالأسلوب الصحيح وحده يمكن للتبليغ أن يكون ناجحاً وموفقاً، ولو حصل أن اختار الإنسان الأسلوب المعاكس، فإنه ليس فقط لا يحصل على نتيجة ايجابية من العمل، بل أنه سيجنى حتماً نتيجة معاكسه تماماً.... (٣)

ولذلك، يتعين على المبلّغ الذى يريد أن ينطق بلسان الأنبياء عليهم السلام، ويتكلّم مثلهم، ويحمل رسالتهم وينهج طريقهم، عليه حقاً أن يختار ويستخدم أساليب مناسبة وفاعله ومؤثره، تتوافق مع الأهداف النبيله التى يسعى لتحقيقها، ويتجنب الأساليب العقيمه وغير المثمره.

ومن هنا، لا- بدّ لنا من دراسته أفضل الأساليب الفنيه للخصائص الفكرية و الروحية من أجل تحقيق الاتّصال الحقيقى بالآخرين، وبكل هدوء ومرونة وانسجام؛ لأن

ص: ١٣١

١- (١). تفسير الأمثل: ١٣/٤٤٦.

٢- (٢). الملحمه الحسينيه: ١٨٢/١.

٣- (٣). المصدر: ١٨٤.

الأسلوب هو العنصر الحيوى فى تحريك الفكر و الشعور، نحو الارتباط بالقناعات الرساليه؛ لأنه هو الذى يهيئ الجو النفسى للتناسق مع الفكره فى خطواتها العمليه، و هو الذى يقود الجماهير بحكمه للتفكر فى مضمونها.

وبما أنّ التبليغ هو أحد أهمّ الحقائق التى تعيش فى حياتنا، وتشغل تفكيرنا، فيجب أن يأخذ مركزه الطبيعي اللائق و المناسب له، فى واقعنا الذى نعيشه، وفى أزمته الصراع التى نعانيها.

إذاً: فلا بدّ أن يتمثل تبليغنا فى أسلوب يعبر عنه، ويميز معالمه، ويبلور حقيقته، فى مقابل التبليغات الأخرى المتبلوره فى مجالات الصراع.

وذلك هو الذى يفرض حاجتنا الملحه إلى البحث عن أساليب التبليغ، وعن النماذج التطبيقية التى تتمثل فيها روحه، وتتجلى معها أصالته ومرونته وجذابيته.

١.وعى المرحلة وتنوع الأساليب

ومما يجدر ذكره هنا فى هذا السياق هو: موضوع الوعى، و هو من الأمور الضرورية و اللازمه التى نحتاجها فى عمليه اختيار أساليب التبليغ.

وما نهدف إليه فى هذا البحث و هذه الدراسه القرآنيه هو-إضافه إلى تقوية دوافع التبليغ-توعيه المبلّغ وتعريفه بأهم الخصائص و الأساليب و الطرق المؤثره فى نجاحه فى أداء مهمته، والقيام بوظيفته.

فالمبلّغ الناجح هو القادر على صنع الشخصيه الإسلاميه، وذلك من خلال ما يحمله من وعى يستطيع أن يحرك به الكلمه فى اتجاه الموقف، ويدفع الموقف نحو الهدف الأخير، و هو الإيمان بالله تعالى.

وسوف يبقى القرآن الكريم فى آياته الشريفة عنصراً أساسياً من عناصر التوعيه

والتذكير على مدى الأبد، في مجالات التبليغ و التحدى، ليكون حجّه وشاهداً علينا أمام الله سبحانه وتعالى.

فتجده-مثلاً- يخاطب المسلمين عن طريق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيقول سبحانه وتعالى: (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) ، (1) ويريد سبحانه وتعالى بذلك أن يقدم للمسلمين الوعى العميق للواقع الذى يحيط بهم، ليكونوا على معرفه عميقه شامله لما حولهم، مما يجعلهم دقيقين فى اختيار أسلوب خطابهم مع هؤلاء المخاطبين، وذلك من خلال الوعى العميق لكل جزئيات القضية.

ونجد أن الأنبياء عليهم السلام و المبلغين يعتمدون فى مسيرتهم التبليغيه أساليب مختلفه فيما بينها تماماً، ومنشأ ذلك هو وعيهم لتلك المرحله، أو ذلك الطرف الذى يمارسون فيه التبليغ، فحينما يكون المبلّغ واعياً لمرحلته ولزمانه، ومكانه ومخاطبيه، سوف يغير أسلوبه بتغيرها واختلافها، ولكن هذا التغير و التنوع فى الأساليب حينما يكون بسبب وعى المبلّغ لما حوله، سوف يؤدى إلى نتيجة واحده، وهدف واحد و هو توعيه الناس، وإيصالهم إلى غايتهم، حيث إنّه اعتمد الوعى فى حركته نحو هدفه وغايته.

ومن الطّبيعى، جداً أن أسلوب خطاب الناس و التعامل معهم إذا انطلق من موقع الدراسه الواعيه لكلّ العوامل المؤثره فى أفكارهم ومشاعرهم، فإنه لا بدّ أن يؤدى النتائج المرجّوه.

و أما تنوع الأساليب

إن التعامل مع الإنسان يختلف عن التعامل مع الفكره المجرّده؛ لأنّ الإنسان كائن متغير متنوّع فى عواطفه وتأثيراته، ممّا يقتضى منا التحرك معه فى كلّ الاتجاهات و التيارات التى يمكن أن تجرفه، أو يتأثر بها.

ص: ١٣٣

١- (١). البقره: ١٢٠.

ولهذا، جاء القرآن الكريم ليواجه حاجه الإنسان إلى التنوع في مسيرته في هذه الحياه، فأراد أن يتحرك من خلال المنهج السائر على خطّ الفكر والتجربه، وهداه إلى الآفاق التي يمكن لها توسيع نظرتة، وإلى المواقع التي يمكن لها أن تغني تجربته، وإلى المواقف التي يمكن أن تحدّد له طريقه وتركّز له هدفه.

فقال تعالى في كتابه الكريم: (وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَ لِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَ لِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ، (١) وقال تعالى: (كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) . (٢)

وقال الشيخ الطريحي:

أن معنى قوله (نُصَرِّفُ الْآيَاتِ) أى: نكررها تارةً من جهه المقدمات العقلية، وتارة من جهه الترغيب و الترهيب، وتارة من جهه التنبيه و التذكير بأحوال المتقدمين. (٣)

وجاء فى اللغة، عن أبى عبيد قال:

صرف الكلام تزيينه و الزيادة فيه وإنما سمي بذلك لأنه إذا زُين صرف الأسماع إلى استماعه. (٤)

وقال المفسرون فى تفسير قوله تعالى: (كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) وما يماثلها من الآيات:

توجيه الشىء فى جهتين فصاعداً، والمعنى أنه تعالى يبين لهم آيه بعد آيه، ووجهه بعد أخرى، ويضرب مثلاً بعد مثل.... (٥)

فيصرف سبحانه وتعالى وينوع الأساليب ويكثر الوجوه، ويبين الحقائق

ص: ١٣٤

١- (١). الأنعام: ١٥.

٢- (٢). الأعراف: ٥٨.

٣- (٣). مجمع البحرين: ٦٠٤/٢.

٤- (٤). مجمع مقاييس اللغة: ٣٤٣/٣.

٥- (٥). التبيان فى تفسير القرآن: ٤٣٣/٤؛ التفسير الأصفى: ٣٣٨/١؛ تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٤٧/١؛ الطبرى، جامع البيان: ٢٥٨/٧.

بالوسائل و الأساليب المتنوعه، من رفق و عنف و تذكير و إنذار و تمثيل و قصه و غيرها، لكي يلاءم كل الأفكار، ويلتقى بالحقيقه بأكثر من طريق، فيكون أكثر إدراكاً، وأعمق تأثيراً، وأشد تصديقاً؛ لأنه إذا لم يقتنع البعض بالفكره من خلال أسلوب، اقتنع بأسلوب آخر، و إذا لم يتسق مع بعض المفاهيم أو الأمثله، أمكنه أن يتسق مع مفهوم أو مثل آخر، ليعيش الناس الوعي القرآني في كل آيه من آياته، وفي كل فكره من أفكاره.

٢. القرآن الكريم يهذب الأساليب

إن في نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطريه واستدرار للسامع، وتجديد لنشاطه وصيانته لخاطره من الملل و الضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه، وكما قيل:

لا يصلح النفس إن كانت مصرفه إلا التنقل من حال إلى حال

قاله حازم في منهاج البلغاء. (١)

فتنقل المبلِّغ بين الأساليب وتنوعه في ذلك يفتح عقول و نفوس الجماهير إلى الاستماع وينفي عنهم الملل الذي يفقد التبليغ حلاوته، ويعدم فائدته.

ولهذا، فقد هذب القرآن الكريم أساليب التبليغ وألفاظه، ورسماً للمبلِّغين من بعد الأنبياء و الرسل عليهم السلام لكي يحاولوا أن يبنوا عقيدته الناس، ويخططوا لهم تفكيرهم، ويوصلوهم إلى غايتهم، وهي الإيمان بالله سبحانه وتعالى ورضوانه.

ومن هنا، كثرت محاكاة الشعراء و الخطباء، والمبلِّغين و الكتاب لعبارات القرآن الكريم في أساليبه وألفاظه واغترافهم من معينه الصافي.

فصحيح أن القرآن الكريم:

ص: ١٣٥

١- (١). البرهان في علوم القرآن: ٣/٣١٤؛ الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل: ١/٦٣؛ فتح القدير: ١/٢٢.

منزل بلسان العرب ولكن بأسلوب بهرهم وأعجزهم، وإن كان من جنس ما يعرفون من الكلام. (١)

ولذلك خلد القرآن الكريم صور البيان الرائع والأساليب البديعه والمؤثره.

فقد أتى القرآن الكريم بكثير من القصص المشوقه للعبه و الذكري كقصص الأنبياء عليهم السلام وبعض الملوک، ممّا حمل الباحثين على دراسته تاريخ الأمم البائده، فجعل التاريخ العربى ذا فنون وشعب كثيره العدد و المباحث، وهكذا أحيا القرآن الكريم فنوناً كثيره وأساليب جديده كأسلوب القصة، والتاريخ و الحكمه و الموعظه، والجدل و المثل،... ممّا جعل الباحثين و المبلّغين يحتذون حذوه فى أساليبه ومناهجه وصياغته فى الحجج وسوقه الآراء.

ولذا، تجد نبينا الأكرم صلّى الله عليه و آله كان واعظاً وخطيباً، ومجيباً ومفسّراً للرؤيا و الأحلام، يقصّ القصص ويضرب الأمثال، و هو فى هذا كلّه لا يمل حديثه ولا يستثقل مجلسه.

فجده صلّى الله عليه و آله استخدم الأسلوب البيانى و البرهانى و العرفانى، ووثق ذلك بشهادته الواقع وتاريخ الأمم السابقه، ووظف لذلك القصّه و الحوار، والمناظره و المناقشه، والمثل، و....

ولذا، يريد الله تعالى لنا أن نعيش تاريخ الأنبياء عليهم السلام و الرسالات، كى نعرف طبيعه الأطروحات التى قدموها، وطبيعه الأساليب التى استعملوها فى مواجهه الفئات المتمرّده على الرسالات، فمتى ما درسنا وعشنا حياه الأنبياء عليهم السلام ورسالاتهم تعرفنا على طبيعه ما كان يطرحه الأنبياء عليهم السلام المتقدمون، وماذا كان يطرحه الأنبياء المتأخرون؟ وما هى الأساليب التى انطلقوا بها إلى الناس؟ مستلهمين ذلك من القرآن الكريم الذى يعتبر هو المصدر الصافى الذى لم يعلق به التغيير و التحريف؟ و هو كتاب التبليغ و الهدايه الشامل:

ص: ١٣٦

الذى بين الطريقه و الأسلوب و المنهج الواجب إتباعه فى التبليغ؛ أما بواسطه آياته مباشره، أو عن طريق أحاديث الأنبياء عليهم السلام، وعلى ألسنتهم. (١)

وعلى ضوء هذا، فستكون دراستنا القرآنيه فى هذا الفصل مخصصه للتعرف على الطرق و المسالك و الفنون التبليغيه المتنوعه و المتغيره بتغير المراحل و الظروف، والتابعه لوعى المبلّغ لذلك التغير والاختلاف، الذى يحدّد طبيعه العلاقه والارتباط بين المبلّغ- صاحب الرساله- وبين مخاطبيه وجمهوره.

ص: ١٣٧

١- (١). الملحمه الحسينيه: ١/١٨٤.

إشاره

إنّ القرآن الكريم يبين في آياته الكريمه الركائز الأساسيه لطرق وأساليب التبليغ، التي ينبغي على المبلّغين التحصن بها عند مواجهه المخالفين، والسير عليها، وانتهاج نهجها، ومن تلك الآيات الكريمه هي قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). (١)

حيث بين تعالى في هذه الآيه الشريفه-ثلاثه من أهم أساليب التبليغ التي ينبغي اعتمادها من قبل المبلّغين، وأولها أسلوب الحكمة، ثم الموعظه الحسنه، ثم الجدل بالتي هي أحسن.

كلمه الحكمة ودلالاتها

أخضع اللغويون كلمه الحكمة لعدّه معان:

ص: ١٣٩

فقال بعضهم: «إن مرجعها إلى: العدل و العلم و الحلم». (١)

وقال بعضهم إنها: عبارته عن معرفه أفضل الأشياء بأفضل العلوم، فيقال لمن يحسن دقائق الصناعات و يتقنها: حكيم. (٢)

و حينما يتطرق اللغويون بقوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) (٣) يقولون: إن الحكمة تُطلق على:

طاعه الله، والفقه في الدين و العمل به، والفهم و الخشيه، والورع و الإصابه، والتفكر في أمر الله و إتباعه. (٤)

وقال مجاهد:

هي العقل، والعفه، والإصابه في القول، وقال زيد بن أسلم: الحكمة العقل في دين الله، وقال الضحاك: الحكمة القرآن، وقال قتاده: الفهم.

قلت- [أى:] النحاس- و هذه الأقوال متفقه، وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه، فقليل للعلم حكمه لأنه به يمتنع، وبه يعلم الامتناع من السفه، و هو كل فعل قبيح، وكذا القرآن، والعقل و الفهم. (٥)

و أمّا المفسرون:

قال الشيخ الطوسي في تفسير قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) :

أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه و آله أن يدعو عباده المكلفين بالحكمه، و هو: أن يدعوهم إلى أفعالهم الحسنه التي لها مدخل في استحقاق المدح و الثواب عليها، لأنّ القبائح يزجر عنها، ولا يدعو إليها، والمباح لا يدعو إلى فعله؛ لأنه عبث، وإنما يدعو إلى ما هو واجب أو ندب؛ لأنه يستحق بفعله المدح و الثواب،

ص: ١٤٠

١- (١). كتاب العين: ٣/٦٦.

٢- (٢). النهايه في غريب الحديث: ١/٤١٩.

٣- (٣). البقره: ٢٦٩.

٤- (٤). تاج العروس: ١٦/١٦١.

٥- (٥). معانى القرآن: ١/٢٩٧.

والحكمة هي: المعرفه بمراتب الأفعال في الحسن و القبح و الصلاح و الفساد.

وقيل لها الحكمة؛ لأنها بمنزلة المانع من الفساد، وما لا ينبغي أن يختار. (١)

وقال الشيخ الطبرسي:

أى: القرآن... وسمى القرآن حكمه؛ لأنه يتضمن الأمر بالحسن و النهي عن القبيح. (٢)

وقال الزمخشري: «الحكمة هي مقاله المحكمه الصحيحه وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهه». (٣)

ويقول الفخر الرازي:

وأعلم أنّ الحكمة هي الإصابه في القول و العمل، ولا- يسمى حكيماً إلّا من اجتمع له الأمران. وقيل: أصلها من أحكمت الشيء، أى: رددته، فكأن الحكمة هي التي تردّ عن الجهل و الخطأ، وذلك أنما يكون بما ذكرنا من الإصابه في القول و الفعل، ووضع كلّ شيء في موضعه. (٤)

وكانت هذه إلماعه لبعض أقوال اللغويين و المفترسين، وقد حاولت أن تفسّر وتبين معنى الحكمة، فقالوا هي: (العدل)، (الحلم)، و(النبوه)، و(ما يمنع من الجهل)، و(ما يمنع من الفساد)، و(كلّ كلام موافق للحقّ)، و(وضع الشيء في موضعه)، و(صواب الأمر وسداده)، و(معرفة الأشياء بأفضل العلوم) وغير ذلك.

والذى يبدو لنا-من خلال ما تقدّم-حول مفهوم كلمه الحكمة: أنها تعبير عن طبيعه أسلوب التبليغ و ضروره اتصافه بالحكمه، وسلوكه طريقها.

فالآيه الكريمة تحاول إرشاد المبلّغين إلى طريقه التبليغ العمليه في هدايه الناس، وإرشادهم و كسب أكبر عدد ممكن منهم إلى صف الدّين و العقيده، وتشير إلى أن

ص: ١٤١

١- (١). التبيان في تفسير القرآن: ٤٤٠/٦.

٢- (٢). تفسير مجمع البيان: ٦٠٥/٦.

٣- (٣). الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأفاويل: ٤٣٥/٢.

٤- (٤). التفسير الكبير: ٥٩/٢.

الحقيقه المجزّده العاريه، والواقع البسيط المجزّد لا يمكن إلقاؤهما إلى الناس دون مقدّمات، ودون ملاحظه للظروف ودراسه لجوّ العمل ومجالاته.

فالإنسان الحكيم هو الإنسان المزوّد بمعانى الحكمة، ممّا يساعده على إعطاء الرأى الصائب، ويمنح خطواته وأعماله صفه التركيز وعدم الانحراف والاهتزاز، ويجعلها فى محلّها، وهذا يلتقى مع مفهوم: (وضع الشئ فى موضعه).

وعلى ضوء ذلك، يمكننا إطلاق هذه الصفه على العالم و العادل، والحكيم و النبى: لأن اشتمال الإنسان على المبادئ، وهى: العلم و العدل، والحلم و النبوه، تساعد على أن يضع الأشياء فى مواضعها، فى العلم عندما يبحث ويفكر، وفى الحلم عندما يعفو ويسامح، وفى العدل عندما يقضى ويحكم، وفى النبوه عندما يدعو ويبلّغ، فهى السير فى الطريقه الواقعيه للعمل -أى: ملاحظه الواقع الخارجى للمجتمع الذى تعيش فيه- ودراسه ظروفه العقليه و الفكرية و النفسية والاجتماعيه، ووضع كلّ ذلك فى الحساب قبل بدايه العمل.

إذاً: فالحكمة فى التبليغ هى: أن لا يتخذ المبلّغ أسلوباً واحداً فى عمله التبليغى، بل لا بدّ أن يختلف حسب الواقع الذى يعيشه المبلّغ، فأنه من الواضح أن الدّعوه لن تكون فعّاله إذا حاولت أن تساوى بين الجاهل و العالم أو- المثقف- فى الفكره التى تلقى عليهم، والأسلوب الذى يتبّع معهم، فأن الأدوات التعبيرية و المخزون الفكرى الذى يملكه كلّ منهما، يختلف عما يملكه الآخر، وأيضاً فقد تقتضى بعض المواقف الجوّ الحماسى والاندفاعى الصرف، بينما يقتضى بعضها الآخر، الجوّ الهادئ المتزن.

وقد نحتاج فى بعض الحالات إلى عرض الفكره باختصار وذكر خطوطها الرئيسيه، وفى حالات أخرى نحتاج إلى عرض الفكره بكامل تفاصيلها.

فأن الحكمة:

ص: ١٤٢

تقتضى أن يبدأ المتكلم بما هو أخصّ، فإن اكتفى به المخاطب فذاك، ولم يحتج إلى نعت، وإلا زاد عليه من النعت ما يزداد به المخاطب معرفه. (١)

والخلاصه أن الحكمة هي:

وضع الشيء في موضعه، أو صواب الأمر وسداده، إلا أن مبادئها تختلف كما أن مجالاتها تتعدد، فهي ليست أمراً بسيطاً يتعلمه الإنسان ويمارسه، كما يتعلم أيه صنعه أو حرفه ويمارسها، بل هو أمر معقد يحتاج إلى معاشه للقضايا والحوادث والأفكار، واطلاع واسع على دقائقها، وخصائصها ومدخلها ومخارجها، ومن هنا كان قوله تعالى في الحديث عن الحكمة (يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا). (٢)

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

<< الحكمة ضياء المعرفة، وميزان التقوى، وثمره الصدق، ولو قلت: ما أنعم الله على عبد بنعمه أعظم وأنعم وأجزل وأرفع وأبهى من الحكمة للقلب، قال تعالى (يُؤْتَى الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)، أى: لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلا من استخلصته لنفسى وخصصته بها...». (٣)

وكانت الحكمة من المنح الإلهية العظيمة التي امتن الله بها على عباده وأنبيائه عليهم السلام ففي حديثه تعالى عن نبيه داود عليه السلام قال تعالى: (وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ)، (٤) وفي حديثه تعالى عن آل إبراهيم قال تعالى: (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا)، (٥) وهكذا في حديثه تعالى عن لقمان، حيث قال تعالى: (وَ لَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ

ص: ١٤٣

١- (١). شرح الرضى على الكافية: ٣١٤/٢.

٢- (٢). البقره: ٢٦٩.

٣- (٣). مصباح الشريعة: ١٩٨.

٤- (٤). البقره: ٢٥١.

٥- (٥). النساء: ٥٤.

اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ، (١) وقال تعالى: (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ) . (٢)

ويلاحظ في كلامه تعالى عن آل إبراهيم أنه قرن الحكمة بالكتاب، وفي هذه دلالة على أنها ترقى إلى مستوى الكتاب في السمو والرفعة كما يلاحظ ذلك في كثير من الآيات.

ولذلك، نجد أنه تعالى نسبها-الحكمة-إلى ذاته المقدسه كما أنه نسب القرآن الكريم إلى نفسه، فقال تعالى: (وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) (٣) أي:

«أنه غالباً مصدر أفعاله وأقواله على أسلوب الحكمة». (٤)

ومن الأمثلة على ذلك، قوله تعالى (يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) . (٥)

قال العلامة الطباطبائي:

الآية واقعه على أسلوب الحكمة، فأنهم أنما سألوا عن جنس ما ينفقونه ونوعه، وكان هذا السؤال كاللغو لمكان ظهور ما يقع به الإنفاق وهو المال على أقسامه، وكان الأحق بالسؤال أنما هو من ينفق له، صرف الجواب إلى التعرض بحاله وبيان أنواعه ليكون تنبيهاً لهم بحق السؤال، والذي ذكروه وجه بليغ غير أنهم تركوا شيئاً، وهو أن الآية مع ذلك متعرضه لبيان جنس ما ينفقونه، فأنها تعرضت لذلك: أولاً- بقولها: من خير، إجمالاً وثانياً بقولها: (وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) ، ففي الآية دلالة على أن الذي ينفق به هو المال كائناً ما كان، من قليل أو كثير، وان ذلك فعل خير والله به عليم، لكنهم كان عليهم أن يسألوا عن من ينفقون لهم ويعرفوه، وهم الوالدان والأقربون واليتامى والمسكين وابن السبيل. (٦)

ص: ١٤٤

١- (١). لقمان: ١٢.

٢- (٢). ص: ٢٠.

٣- (٣). النساء: ١٥٨.

٤- (٤). فتح القدير: ٥١/٥.

٥- (٥). البقرة: ٢١٥.

٦- (٦). الميزان في تفسير القرآن: ١٦٠/٢.

إذاً: وفي نهايه المطاف نستطيع أن نضع أيدينا على أسلوب من أساليب التبليغ الذي شرّعه الله تعالى في القرآن ورسمه للأنبياء عليهم السلام وللمبليّغين من بعدهم.

٢. أسلوب الموعظه الحسنه

إشاره

الموعظه الحسنه هي الأسلوب الآخر الذي أمر الله تعالى أنبياءه عليهم السلام بإتباعه في طريق التبليغ، وحدده تعالى منهجاً للإبلاغ دين الحقّ و الدعوه إليه، وذلك لما للموعظه الحسنه من أثر دقيق وفاعل على عاطفه الإنسان وأحاسيسه، وتوجيهه مختلف طبقات الناس نحو الحقّ.

والموعظه هي:

التذكير بالخير مما يرق له القلب، (١) أو هي: زجر مقترن بتخويف، (٢) أو نصح وتذكير بالعواقب. (٣)

هذا عند اللغويين، و أمّا المفسّرون فلا يختلف تعريفهم للموعظه عن تعاريف اللغويين كثيراً.

فمثلاً قال الشيخ الطوسي في الموعظه هي:

ما يدعو بالرغبه، والرهبه إلى الحسنه بدلاً عن السيئه. (٤) وفي موقع آخر يقول الموعظه الحسنه هي: الوعظ الحسن و هو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه و الترهيد في فعله، وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع. (٥)

وقال العلامة الطباطبائي:

ص: ١٤٥

١- (١). كتاب العين: ٢/٢٢٨.

٢- (٢). مفردات غريب القرآن: ٥٢٧.

٣- (٣). الصحاح: ١١٨/٣؛ مجمع البحرين: ٤/٥٢٢.

٤- (٤). التبيان في تفسير القرآن: ٥٩٩/٢؛ تفسير مجمع البيان: ٢/٣٩٦.

٥- (٥). المصدر: ٤٤٠/٦.

هى البيان الذى تلىن به النفس ويرق له القلب، لما فيه من صلاح حال السامع من الغبر و العبر وجميل الشاء و محمود الأثر و نحو ذلك. (١)

أ) فرق الموعظه عن غيرها

قال الفخر الرازى:

ولا بدّ من الفرق بين البيان وبين الهدى وبين الموعظه؛ لأن العطف يقتضى المغايره، فنقول فيه وجهان:

الأول: أن البيان هو الدلاله التى تفيد إزاله الشبهه بعد أن كانت الشبهه حاصله، فالفرق أن البيان عام فى أى معنى كان، و أما الهدى فهو بيان لطريق الرشده ليسلك دون طريق الغى، و أما الموعظه فهى الكلام الذى يفيد الزجر عما لا- ينبغى فى طريق الدّين، فالحاصل أن البيان جنس تحته نوعان: أحدهما: الكلام الهادى إلى ما ينبغى فى الدّين و هو الهدى.

الثانى: الكلام الزاجر عما لا ينبغى فى الدّين و هو الموعظه.... (٢)

وقالوا فى الفرق بين الحكمه و الموعظه الحسنه:

إن (بِالْحِكْمَةِ) تستثمر البعد العقلى للإنسان، (وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) تتعامل مع البعد العاطفى له. (٣)

ب) الحُسن شرط فى الموعظه

وفى ضوء ما تقدّم، نص إلى النقطه الجديره بالملاحظه وهى: أن الله تبارك و تعالى أمر أنبياءه عليهم السلام فى دعوه الناس بالموعظه الحسنه حينما قال تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (٤) بمعنى:

ص: ١٤٦

١- (١). الميزان فى تفسير القرآن: ٣٧١/١٢.

٢- (٢). التفسير الكبير: ٣٧١/٣. فى تفسير قوله تعالى: (هذا بيان للناس و هدى و موعظه للمتقين) آل عمران: ١٣٨.

٣- (٣). تفسير الأمل: ٣٦٤/٨.

٤- (٤). البيان و فن الخطابه: ١٩٧.

الموعظه الخاليه من أى نقص أو عيب، فهى القادره على إدخال الناس فى دين الله وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وأحاطتهم بهاله الإنسانيه، وقد أفلح رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فى دعوته فى ظل مواعظه الحسنه.

فإذا أراد المبلِّغ الإسلامى الذى يتَّبَع خطى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أن يدعو الناس إلى الطريق الحقِّ بواسطه الموعظه، فعليه أن يتكلَّم بما أمر به الله ويتَّبَع سلوكك رسول الله صَلَّى الله عليه و آله، وأن تكون مواعظه حسنه خالصه ليتمكَّن من أن يترك أثراً طيباً فى مستمعه ويهديه إلى الصراط المستقيم وهو طريق الحقِّ الذى لا عوج فيه.

ويقول العلامة الطباطبائى، فى خصوص تقييد الموعظه بالحسنه:

ولعل ما فى ذيل الآيه من التعليل بقوله: (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) ، يوضح وجه التقييد، فمعناه أنه سبحانه أعلم بحال أهل الضلال فى دينه الحقِّ، وهو أعلم بحال المهتدين فيه، فهو يعلم أن الذى ينفع فى هذا السبيل هو الحكمه و الموعظه الحسنه و الجدل الأحسن، لا غير.

ومن هنا، يظهر أن حُسن الموعظه إنّما هو من حيث حُسن أثره فى الحقِّ الذى يراد به بأن يكون الواعظ نفسه متعظاً بما يعظ ويستعمل فيها من الخلق الحسن ما يزيد فى وقوعها من قلب السامع موقع القبول، فيرق القلب ويقشعر به الجلد ويعيه السمع ويخشع له البصر. (١)

وقال آخر:

إن تقييد (الموعظه) بقيد (الحسنه) لعلّه إشاره إلى أن النصيحه و الموعظه أنّما تؤدى فعلها على الطرف المقابل إذا خليت من أى خشونه، أو استعلاء و تحقير، التى تثير فيه حس العناد و اللجاجه وما شابه ذلك.

فكم من موعظه أعطت عكس ما كان يؤمل بها بسبب أسلوب طرحها الذى يشعر الطرف المقابل بالحقاره والاهانه؟ كأن تكون الموعظه أمام الآخريين ومقرونه بالتحقير، أو يستشم منها رائحه الاستعلاء فى الواعظ، فتأخذ الطرف المقابل العزه بالإثم، ولا يتجاوب مع تلك الموعظه.

وهكذا يترتب الأثر الايجابى العميق للموعظه إذا كانت (الحسنه). (٢)

ص: ١٤٧

١- (١). الميزان فى تفسير القرآن: ٣٧٢/١٢.

٢- (٢). تفسير الأمثل: ٣٦٥/٨.

ج) شروط أخرى لتأثير الموعظه

لقد خلق الله الإنسان بشكل جعله يتأثر بالإيحاء الخارجى ويتقبله، سواء أكان هذا الإيحاء صالحاً نافعاً له أو مضرراً به، والموعظه هي نوع من الإيحاء الذى يلقيه الواعظ فى المستمع. (١)

والموعظه ذات تأثير كبير فى تغيير أفكار الناس، وتبديل بناءهم العقائدى و الفكرى، لذلك جعلها الله أحد أهم طرق وأساليب التبليغ، وجعل لها-لكى تؤثر-شروطاً وضوابط، ومن أهمها:

أولاً: أن يتوفّر فى فحوى كلام الواعظ عنصر التوعيه و التنبيه. (٢)

قال أمير المؤمنين عليه السلام فى أحد وصاياه: «الموعظه كهف لمن وعاهها». (٣) ومن هذا المنطلق نحن مأمورون بالالتزام بالموعظه الحسنه و الكلمه الطيبه إذا أدركناها حتى، و إن لم يعمل بها صاحبها، يقول الإمام الباقر عليه السلام: «خذوا الكلمه الطيبه ممن قالها و إن لم يعمل بها». (٤)

ثانياً: أن يقرن الواعظ موعظته الحسنه بالإخلاص:

قال الإمام الصادق عليه السلام:

<< أحسن الموعظه ما لا- تجاوز القول حدّ الصدق، والفعل حدّ الإخلاص، فأن مثل الواعظ و المتعظ كاليقظان و الراقد فمن استيقظ عن رقدته غفلته و مخالفته و معاصيه صلح أن يوقظ غيره من ذلك الرقاد...». (٥)

فالواعظ المؤمن الذى يتحدّث بنيه مخلصه، هدفه هدايه الناس إلى الصراط المستقيم بالموعظه الحسنه و تأمين السعاده لهم، هذا المبلّغ الواعظ يترك- ممّا لا لبس فيه- أثراً فى نفوس المتزهرين عن العناد من مستمعيه و يهدى بهم إلى سبيل الفلاح

ص: ١٤٨

١- (١). البيان و فن الخطابه: ١٩٦.

٢- (٢). البيان و فن الخطابه: ١٩٨.

٣- (٣). من لا يحضره الفقيه: ٣٩٠/٤.

٤- (٤). بحار الأنوار: ١٥٩/١١٠.

٥- (٥). مصباح الشريعه: ١٦٠.

والصلاح؛ لأنّ الموعظه الحسنه هي أفضل هديه كما قيل: (نعم الهديه الموعظه)، (١) يقدّمها الإنسان المؤمن لأخيه المؤمن.

ثالثاً: الاقتصاد في الموعظه:

ومن الأمور التي ينبغي على المبلّغ أن يهتمّ بها في الموعظه، وذلك عندما يريد تحذير الناس من المعصيه و الرذيله، فلكي تكون مؤثره تؤثر في المستمعين، قادره على إيقاظ الغافلين، متمكنه من إحياء القلوب الميتة، أن يبدأ الحديث بذكر يوم القيامة وجزائه و العقاب الإلهي، ويورد بعض الآيات و الأحاديث التي تناسب البحث. وللتوضيح اذكر ما قاله وما وعظ به مؤمن من آل فرعون قومه حينما خاطبهم بأسلوب زاخر بالمراره و العاطفه، ومملوء بالموعظه و النصيحه، يبصرهم بالحياه و فنائها، والآخره و خلودها، وذلك ما حكاه الله في قوله تعالى (وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ) (٢):

و هو الإيمان بالله، و توحيده، و إخلاص العباده له، و الإقرار بموسى عليه السلام، وقال لهم أيضاً على وجه الوعظ لهم و الزجر عن المعاصي (يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ)، يعنى: انتفاع قليل، ثم يزول بأجمعه، ويبقى وزره و آثامه: (وَ إِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ) (٣) أى: دار المقام. (٤)

هكذا ينبغي للمبلّغ أن يشرحها للمستمع و يوضح معانيها له و يدعوه إلى التدبر فيها و يشجعه على ذلك، عندها يستطيع الواعظ أن يؤثر في المستمع النقي السريه و يردعه عن ارتكاب المعاصي.

ولكن الأمر الجدير بالذكر والاهتمام هنا هو أن يتجنب المبلّغ الإسهاب في الكلام

ص: ١٤٩

١- (١). عيون الحكم و المواعظ: ٣١.

٢- (٢). غافر: ٣٨.

٣- (٣). غافر: ٣٩.

٤- (٤). التبيان في تفسير القرآن: ٧٩/٩ وسميت دار قرار لاستقرار الجنه بأهلها واستقرار النار بأهلها.

والموعظه، وذكر العذاب و النار؛ لأنه يؤدي إلى يأس المستمع وقنوطه، وقد جاءت الكثير من الروايات بهذا الشأن:

فعن الإمام على عليه السلام أنه قال:

<< الفقيه كلّ الفقيه من لم يقنّط الناس من رحمه الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله. (١)

إذاً: يجب الاقتصاد في الموعظه، وهو على قسمين:

الأول: الاقتصاد في عددها، وكثرتها، فلا- يكثر من الموعظ، فيتحول تبليغه كلّ إلى موعظ، وإنما يتخول الناس بها بين الفينه و الفينه، حتّى يشتاق الناس إليه ولا يملون حديثه، كما جاء عن النبي صلّى الله عليه و آله:

<< أنه كان يتخوّل أصحابه بالموعظه كراهيه السآمه عليهم. (٢)

الثاني: الاقتصاد في وقتها، فتكون الموعظه قصداً عدلاً، فإن كثره الكلام ينسى بعضه بعضاً، فينبغي البعد عن الشرثه وتجنب الحشو وتكرار الأفكار، وإطاله المقدمات، والاسترسال في سرد الأدله و التفاصيل الممله ممّا يفقد الموعظه الكثير من فوائدها وآثارها الايجابية.

إذاً: فالموعظه الحسنه هي طريقه من طرق التبليغ، وأسلوب في الدّعوه، يحببها ولا ينفر عنها، ويقرب إليها ولا يبعدها عنها، ويسرها ولا يعسرها، وهو الأسلوب الذي يشعر المخاطب أن دور المخاطب معه دور الرفيق به، الباحث عمّا ينفعه ويسعده، الناصح له، كما قيل: «إنّ الموعظه نصيحه شافيه». (٣)

٣. أسلوب الجدل

إشاره

الطريق و الأسلوب الثالث الذي وضعه الله تبارك و تعالى أمام الأنبياء عليهم السلام و المبلغين،

ص: ١٥٠

١- (١). بحار الأنوار: ٥٦/٢.

٢- (٢). بدر الدين، العيني، عمدته القارئ: ٢٢/٢٩٩.

٣- (٣). عيون الحكم و الموعظ: ٣١.

لتبليغ الرساله و الدين هو الجدل بالتى هى أحسن، و ذلك حسب الترتيب فى قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ). (١)

والجدل هو:

المفاوضه على سبيل المنازعه و المغالبه وأصله جدلت الحبل، أى أحكمت فتله... و منه الجدل فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، و قيل الأصل فى الجدل الصراع و إسقاط الإنسان صاحبه على الجداله وهى الأرض الصلبة. (٢)

و قد يكون هذا الصراع عسكرياً، أو فكرياً، أو علمياً، أو عقائدياً، فيسعى الإنسان المجادل إلى إظهار واثبات حجته ورأيه، كما قيل أن: «الجدل هو مقابله الحجة بالحجة». (٣)

(أ) فرق الجدل عن غيره

وقال الشيخ الطبرسى:

الفرق بين الحجاج و الجدل، أن الحجاج يتضمّن أما حجّه، أو شبهه فى صورته الحجّه، والجدل هو قتل الخصم إلى المذهب بحجّه، أو شبهه، أو إيهام فى الحقيقة؛ لأن أصله من الجدل و هو شدّه القتل، والحجّه فى البيان الذى شهد بصحة المقال، و هو و الدلاله بمعنى واحد. (٤)

ص: ١٥١

١- (١). النحل: ١٢٥.

٢- (٢). مفردات غريب القرآن: ٨٩.

٣- (٣). مجمع البحرين: ٣٥١/١؛ النهايه فى غريب الحديث: ٢٤٨/١.

٤- (٤). تفسير مجمع البيان: ٣١٥/٢، فى تفسير قوله تعالى: (يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ مَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَ الْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) * ها أَنْتُمْ هُوَ لَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) آل عمران: ٦٥-٦٦.

فرق الجدل عن قسيمه الحكمة و الموعظه الحسنه:

وقال الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) :

اعلم أنه تعالى لما أمر محمد صلى الله عليه و آله بأتباع إبراهيم عليه السلام بين الشىء الذى أمر بمتابعته فيه، فقال: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

واعلم أنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه و آله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهى الحكمة، والموعظه الحسنه، والمجادله بالطريق الأحسن، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل فى آيه أخرى، فقال: (وَ لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ، (١)ولما ذكر الله تعالى هذه الطرق الثلاثة وعطف بعضها على بعض، ووجب أن تكون طرقاً متغايرة متباينه، وما رأيت للمفسرين فيه كلاماً ملخصاً يتسم بالدقه.

وأعلم: أن الدَّعْوَةَ إِلَى المذهب لا بدّ وأن تكون مبنية على حجّه وبينه، والمقصود من ذكر الحجّه، إما تقرير هذا المذهب وذلك الاعتقاد فى قلوب المستمعين، و إما أن يكون القصد إلزام الخصم وإفحامه.

أما القسم الأول: فينقسم أيضاً إلى قسمين: لأنّ الحجّه إما أن تكون حجّه حقيقه يقينه قطعيه مبرأه عن احتمال النقيض، و إما أن لا تكون كذلك، بل تكون حجّه تفيد الظنّ الظاهر و الإقناع الكامل، فظهر بهذا التقسيم انحصار الحجج فى هذه الأقسام الثلاثة.

أولها: الحجّه القطعيه المفيده للعقائد اليقنيه، وذلك هو المسمّى بالحكمه، و هذه أشرف الدرجات وأعلى المقامات، وهى التى قال الله فى صفتها: (وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) . (٢)

ص: ١٥٢

١- (١). العنكبوت: ٤٦.

٢- (٢). البقره: ٢٦٩.

وثانيها: الأمارات الظنيّة و الدلائل الاقناعية، وهي: الموعظه الحسنه.

وثالثها: الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم، وذلك هو الجدل، ثمّ هذا الجدل على قسمين:

القسم الأوّل: أن يكون دليلاً مركباً من مقدمات مسلمه في المشهور عند الجمهور، أو من مقدمات مسلمه عند ذلك القائل، وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن.

القسم الثاني: أن يكون ذلك الدليل مركباً من مقدمات باطله فاسده إلّا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهه و الشغب، والحيل الباطله، والطرق الفاسده، وهذا القسم لا- يليق بأهل الفضل وإنما اللائق بهم هو القسم الأوّل، وذلك هو المراد بقوله تعالى: (وَ جَادِلْهُمْ بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).

فثبت بما ذكرنا انحصار الدلائل و الحجج في هذه الأقسام الثلاثه المذكوره في هذه الآيه.

إذا عرفت هذا، فنقول: أهل العلم ثلاث طوائف: الكاملون الطالبون للمعارف الحقيقيه و العلوم اليقينيّه، والحديث مع هؤلاء لا يمكن إلّا بالدلائل القطعيه اليقينيّه، وهي: الحكمه.

والقسم الثاني: الذي تغلب على طباعهم المشاغبه و المخاصمه لا طلب المعرفه الحقيقيه و العلوم اليقينيّه، والمكالمه اللائقه بهؤلاء المجادله التي تفيد الإفحام و الإلزام، و هذان القسمان هما الطرفان.

فالأول: هو طرف الكمال.

والثاني: هو طرف النقصان.

و أما القسم الثالث: فهو الواسطه، وهم الذين ما بلغوا في الكمال إلى حدّ الحكماء المحققين، وفي النقصان و الرذاله إلى حدّ المشاغبين المخاصمين، بل هم أقوام بقوا على الفطره الأصليه و السلامه الخلقيه، وما بلغوا إلى درجه الاستعداد لفهم الدلائل

اليقينيّه و المعارف الحكميه،والمكالمه مع هؤلاء لا تمكن إلّا بالموعظه الحسنه،وأدناها المجادله،وأعلى مراتب الخلائق الحكماء المحققون،وأوسطهم عامه الخلق،وهم أرباب السلامه وفيهم الكثره و الغلبه). (١)

(ب) فرق وتقسيم

جاء في تفسير الأمثل تحت عنوان:الجدال من وجهه النظر القرآنيه.

أن الجدال، و المرء موضوعان وردا كثيراً في الآيات القرآنيه،وفي الأحاديث و الروايات الإسلاميه أيضاً.

وكتوطئه للبحث ينبغي أولاً أن نميز أقسام الجدال:

الجدال الإيجابي و الجدال السلبي وما هو المقصود من كلّ واحد منهما،وعلائم كلّ واحد منهما،وأخيراً:أضرار الجدال السلبي،وكذلك عوامل الغلبه في الجدال الإيجابي.

وفي هذا الصدد سنتناول البحث ضمن العناوين الآتيه:

أولاً:مفهوم الجدال و المرء:

الجدال،والمراء،والخصام ثلاث مفردات متقاربه من حيث المعنى،وفي نفس الوقت يوجد ثمه اختلاف بينها.

الجدال،يعنى في الأصل اللغوي:لفّ الجبل،ثم أخذ يطلق بعد ذلك على لفّ الطرف المقابل و النقاش الذي يتضمّن الغلبه.

والمراء،على وزن:حجاب،ونعنى:الكلام في شيء ما،فيه مريه أو شكّ.

أما الخصومه و المخاصمه،فتعنى في الأصل:إمساك شخصين كلّ منهما للآخر من جانبه،ثم أطلقت بعد ذلك على التشاجر اللفظي و الأخذ و الرّد في الكلام،وكما يقول علامه المجلسي:

ص: ١٥٤

إنَّ الجدال و المراء أكثر ما يستخدمان في القضايا العلميه،في حين تستخدم المخاصمه في الأمور و المعاملات الدنيويه....

وقالوا أيضاً في الفرق بينهما:أن الجدال في القضايا العلميه،والمراء أعمّ من ذلك.

وقالوا أخيراً:أن المراء ذو طابع دفاعى فى قبال هجوم الخصم،بينما الجدال أعمّ من الدفاع و الهجوم. (١)

ثانياً:الجدال السلبي و الإيجابى:

يظهر من الآيات القرآنيه أنّ للفظ الجدال معان:واسعه،ويشمل كلّ أنواع الحديث و الكلام الحاصل بين الطرفين،سواء كان ايجابياً أم سلبياً،ففى الآيه(١٢٥)من سوره النحل نقرأ أمر الخالق تبارك و تعالى لرسوله صلّى الله عليه و آله فى قوله تعالى: (وَ جَادِلْهُمْ بِلَاتِي هِيَ أَحْسَنُ) ،ونقرأ عن إبراهيم عليه السلام: (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَ جَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) (٢) تشير إلى النوع الإيجابى من المجادله.

ولكن أغلب الإشارات القرآنيه حول المجادله تشير إلى النوع السلبي منها، كما نرى ذلك واضحاً فى سوره غافر،التي نحن بصددھا،حيث أشارت إلى المجادله بمعناها السلبي خمس مرّات،قوله تعالى: (ما يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ) (٣)وكذلك الآيات ٥، و٣٥، و٥٦، و٦٩ وفى كلّ الأحوال يتبين أن البحث و الكلام والاستدلال و المناقشه لأقوال الآخريين،إذا كان لإحقاق الحق وإبانه الطريق وإرشاد الجاهل،فهو عمل مطلوب يستحق التقدير،و قد يندرج أحياناً فى الواجبات. (٤)

ص: ١٥٥

١- (١). قال أمير المؤمنين عليه السلام:«إياكم و المراء و الخصومه فأنهما يمرضان القلوب على الإخوان،وينبت عليهما النفاق».

(الكافى: ٣٠٠/٢)قال الراغب:الامتراء و الممارات المحاجه فيما فيه مريه،وهى التردد فى الأمر.(مفردات غريب القرآن: ١٤٩)

٢- (٢). هود: ٧٤.

٣- (٣). غافر: ٤.

٤- (٤). تفسير الأمثل: ١٥/١٨٨-١٨٩.

قال الفخر الرازى:

من الناس من عاب الاستدلال و البحث و النظر و الجدال و أحتج بوجوه:

أحدها: أنه تعالى قال: (وَ لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) (١)و هذا يقتضى نفى جميع أنواع الجدال،ولو كان الجدال فى الدّين طاعه و سبيلاً إلى معرفه الله تعالى لما نهى عنه فى الحج،بل على ذلك التقدير كان الاشتغال بالجدال فى الحج ضمّ طاعه إلى طاعه فكان أولى فى الترغيب فيه.

وثانيها:قوله تعالى: (وَ قَالُوا أَلَيْهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جِدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) . (٢)

عابهم كونهم من أهل الجدال،وذلك يدل على أن الجدال مذموم.

وثالثها:قوله تعالى: (وَ لَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَ تَذَهَبَ رِيحُكُمْ) (٣)نهى عن المنازعه.

و أما جمهور المتكلمين،فأنهم قالوا:الجدال فى الدّين طاعه عظيمه،واحتجوا عليه بقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ،وبقوله تعالى حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح: (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) (٤)ومعلوم أنه ما كان ذلك الجدال إلّا لتقرير أصول الدّين.

إذا ثبت هذا فنقول:

لا بدّ من التوفيق بين هذه النصوص،فنحمل الجدال المذموم على الجدال فى تقرير الباطل،وطلب المال و الجاه،والجدال الممدوح على الجدال فى تقرير الحقّ ودعوه الخلق إلى سبيل الله،والذبّ عن دين الله تعالى. (٥)

ص: ١٥٦

١- (١). البقره: ١٩٧.

٢- (٢). الزخرف: ٥٨.

٣- (٣). الأنفال: ٤٦.

٤- (٤). النحل: ١٢٥، هود: ٣٢.

٥- (٥). التفسير الكبير: ١٨٣/٥.

إن من الضروري على المبلِّغ أن يكسب الآخريين من الخصوم و المعاندين إلى الإيمان برسالته، ويقربهم إلى عقيدته، لا- أن يحطمهم ويغلبهم، فليست مهمّة المبلِّغ هي مهمّة من ينشد الغلبه على خصمه لإشباع نزوعه إلى التفوق وإحساسه بالعظمه، بل هي مهمّة الإنسان الذي يمارس إنسانيته بإعانه خصمه على التحرّر من روايب كفه وظلاله، والأخذ بيده نحو الصلاح.

ولهذا كان الجدل بالتى هي أحسن هو الأسلوب و الطريقه المثلى للوصول إلى ذلك الهدف وبلوغ تلك الغايه، ولذا نلاحظ أن طرق الجدل التى تعتمد التماس نقاط ضعف الآخر واستغلالها فى توجيه الضربات المتلاحقه إليه، بأسلوب عنيف لا يحترم ذات الآخر وفكره، ولا- تملك أن تقدم للعقيده- أى: عقيدته كانت- مؤمناً يعيش الإيمان بروحه وعقله؛ وذلك لأنّ هذه الطرق تطعن كبرياء الإنسان وكرامته فى الصميم وتوحى له بأنه يقف موقف المغلوب فى فكره وعقيدته، وموقف المهزوم فى ميدان الصراع، ومن الطّبيعى جداً أن يتغلب كبرياء الإنسان وعناده فى كثير من الأحيان، على رغبته فى الوصول إلى الحقّ، وهنا لا يمكن للموقف أن يقدم لنا سوى مزيد من المناقشات اللفظيه و الهامشيه التى لا تقدم ولا تؤخر شيئاً فى الموضوع.

ومن هنا، نجد أنه لا بدّ من أسلوب وطريقه- فى الجدل- تشعر المخاطب بأنه رفيق فى رحله الوصول إلى الحقّ، وأنه محترم فى ذاته وتفكيره، حينئذٍ لا تقف الكبرياء عقبه فى الطريق؛ لأنّ الإنسان لا يشعر فى هذا الجو بالذل، والانكسار، والخسران، وإنما يشعر- بدلاً من ذلك- بالعزه و الكرامه؛ لأنه على طريق كشف الحقيقه و الوصول إلى سبيل أفضل، دون أن يكون فى السبيل مهزوم ومنتصر، أو غالب ومغلوب، وإنما هو الهدف المشترك و السبيل الوحيد.

ومن هنا نقول: لكى يؤثر الطرف المجادل معنوياً على الطرف الآخر، عليه الاستفاده من الأساليب الآتيه التى أشار إليها القرآن الكريم بشكل جميل، وهى:

١. ينبغي عدم الإصرار على الطرف المقابل بقبول الكلام على أنه هو الحق، بل على المجادل إذا استطاع أن يجعل الطرف المقابل يعتقد بأنه هو الذى توصل إلى هذه النتيجة، وهذا الأسلوب سيكون أكثر تأثيراً، وبعبارة أخرى: من المفيد للطرف المقابل أن يعتقد أن النتيجة أو الفكره نابعه من أعماقه، وهى جزء من روحه، كى يتمسك بها أكثر ويدعن لها بشكل كامل.

و قد يكون هذا الأمر هو سرّ ذكر القرآن للحقائق المهمّه كالتوحيد ونفى الشرك، وغير ذلك على شكل استفهام، كما أنه سبحانه وتعالى بعد أن ينتهى من استعراض وذكر أدله التوحيد يقول: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ خَفِيَّاتٍ) (١).

٢. يجب الامتناع عن كلّ ما يشير صفه العناد و اللجاجه لدى الطرف الآخر؛ إذ يقول القرآن الكريم: (وَلَا تَسْتَبْهُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَمَسَّبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ، (٢) كى لا يصر هؤلاء على عنادهم ويهينوا الخالق جلّ وعلا بتفاهه كلامهم.

٣. يجب مراعاة منتهى الإيضاح فى النقاش مع أى شخص، أو أى مجموعه، كى يشعر الطرف المقابل بأن المتحدث إليه يبنى حقاً توضيح الحقائق لا غير، فعندما يتحدث القرآن عن مساوى الخمر و القمار، فهو لا يتجاهل المنافع الثانويه الماديه والاقتصاديه، التى يمكن أن يحصل عليها البعض منهما، فيقول تعالى: (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا) (٣) إن هذا الطراز من الحديث يحمل آثاراً إيجابيه كبيره على المستمع.

٤. يجب عدم الردّ بالمثل حيال المساوى و الأحقاد التى قد تطفح من الخصم، بل

ص: ١٥٨

١- (١). النمل: ٦٢.

٢- (٢). الأنعام: ١٠٨.

٣- (٣). البقره: ٢١٩.

سلوك طريق الرفاه و الحب و العفو ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلاً؛ إذ إن الردّ بهذا الأسلوب الودود يؤثر كثيراً في تليين قلوب الأعداء المعاندين، كما يقول القرآن الكريم ويحثّ على ذلك: (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ). (١)

والخلاصه:

إننا عندما ندقق في أسلوب نقاشات الأنبياء عليهم السلام مع الأعداء و الظالمين و الجبارين، كما يعكسها القرآن الكريم، أو كما تعكسها تلك المناظرات العقائديه بين رسول الله صلى الله عليه و آله [والأنبياء عليهم السلام] وبين أعدائهم وخصومهم، ننتهي إلى دروس تربويه في هذا المجال تطوى في تضاعيفها أدق الأساليب و الوسائل النفسيه و الفنيه التي تسهل النفوذ إلى أعماق الآخرين. (٢)

هـ) أمثله من الجدل الأحسن

في التاريخ و الروايات الإسلاميه آثار كثيره و قيمه عن مناظرات و جدال الأنبياء عليهم السلام مع المعارضين، و قد قام العلامة الشيخ الطبرسي بجمع بعضها في كتابه: الاحتجاج، و ممّا جاء فيه:

قال أبو محمّد العسكري: قال الصادق عليه السلام: < و أما الجدل بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله تعالى به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت وإحياءه له، فقال الله حاكياً عنه: (وَ ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ) (٣) فقال الله في الردّ عليه: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ) (٤) فأراد الله من نبيه أن يجادل المبطل الذي قال: كيف يجوز أن يبعث هذه العظام و هي رميم؟ قال: (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ).

ص: ١٥٩

١- (١). فصلت: ٣٤.

٢- (٢). تفسير الأمل: ١٥/١٩٤ و ١٩٥.

٣- (٣). يس: ٧٨.

٤- (٤). يس: ٧٩ و ٨٠.

أفيعجز من أبتدأ به لا من شىء، أن يعيده بعد أن يبلى؟!

بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته! ثم قال: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا)، أى: إذا أكمُن النار الحاره فى الشجر الأخضر الرطب، ثم يستخرجها، فعزفكم أنهم على أعاده من بلى أقدر.

ثم قال: (أَوْ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)، (١) أى: إذا كان خلق السموات والأرض أعظم وأبعد فى أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادته البالى، فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم، ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادته البالى؟!

قال الصادق عليه السلام:

«فهذا الجدل بالتي هي أحسن؛ لأن فيها قطع عذر الكافرين، وإزاله شبههم.

و أما الجدل بغير التي هي أحسن، فإن تجحد حقاً لا- يمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله وإنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق، فهذا هو المحزوم؛ لأنك مثله جحد هو حقاً، وجحدت أنت حقاً آخر».

قال أبو محمد عليه السلام: «فقام إليه رجل آخر، فقال: يا ابن رسول الله، أفجادل رسول الله؟». قال الإمام الصادق عليه السلام:

<< مهمما ظننت برسول الله صلى الله عليه وآله من شىء، فلا تظنن به مخالفه الله تعالى، أليس الله قد قال: (وَ جَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) (٢) لمن ضرب الله مثلاً؟! أفظن أن رسول الله صلى الله عليه وآله خالف ما أمر الله بن، فلم يجادل بما أمره الله به، ولم يخبر عن أمر الله بما أمره أن يخبر به؟! (٣)

وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه ذكرنا عنده الجدل فى الدين، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام قد نهوا عنه، فقال عليه السلام: << لم ينه عنه مطلقاً، ولكنه نهى عن الجدل بغير التي هي أحسن، أما تسمعون الله عز وجل يقول (وَلَا تُجَادِلُوا

ص: ١٦٠

١- (١). يس: ٨١.

٢- (٢). يس: ٦٩.

٣- (٣). الاحتجاج: ١٤/١.

أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) وقوله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) .

فالجِدال بالتي هي أحسن قد قرنه العلماء بالدين، والجِدال بغير التي هي أحسن محرّم، حرّمه الله تعالى على شيعتنا، وكيف يحرم الله الجِدال جملة، وهو يقول: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى) (١) وقال الله تعالى: (تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ، (٢) فجعل علم الصدق والإيمان بالبرهان، وهل يؤتى بالبرهان إلّا بالجِدال بالتي هي أحسن. (٣)

إشكال ورد:

ذكر بعضهم، أن المجادله بالتي هي أحسن ليست من الدّعوة في شيء، بل الغرض منها شيء آخر مغاير لها وهو الإلزام والإفحام.

قال: ولذلك لم يعطف الجِدال في الآية على ما تقدمه بل غير السياق وقيل: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) . (٤)

وفيه:

غفله عن حقيقة القياس الجدلي، فالإفحام وإن كان غايه للقياس الجدلي، لكنه ليس غايه دائميّه، فكثيراً ما يتألف قياس من مقدّمات مقبولة أو مسلّمه وخاصه في الأمور العمليه و العلوم غير اليقينيّه، كالفقه و الأصول، والأخلاق، والفنون الأدبيه ولا يراد به الإلزام و الإفحام.

على أن في الإلزام و الإفحام دعوه كما أن في الموعظه دعوه و إن اختلفت صورتها باختلاف الطرق، نعم تغيير السياق لما في الجِدال من معنى المنازعه و المغالبه. (٥)

ص: ١٤١

١- (١). البقره: ١١١.

٢- (٢). البقره: ١١١.

٣- (٣). بحار الأنوار: ١٢٥/٢.

٤- (٤). التفسير الكبير: ١٤٠/٢٠.

٥- (٥). الميزان في تفسير القرآن: ٣٧٤/١٢.

فالحكمه،والموعظه الحسنه،والمجادله بالتى هى أحسن من طرق التكليم و المفاوضه،فقد أمر بالدعوه بأحد هذه الأمور،فهى من أنحاء الدّعوه وطرقها.... (١)

(و)الأحسن شعار المبلّغ

إنّ الدّعوه إلى سلوك الأسلوب و الطريقه الأحسن فى مقام الجدل و الصراع الفكرى،ليست بدعاً من القرآن الكريم،وليست دعوه تقتصر على بعض المجالات دون بعض،بل هى دعوه قرآنيه تخاطب كلّ مجال من مجالات الصراع فى الحياه وتتصل بكلّ علاقته من علاقات الإنسان بأخيه الإنسان،فنحن نشاهد هذه الدّعوه بوضوح فى قوله تعالى: (ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عِدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) وقوله تعالى: (وَ إِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّهِ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا) وقوله تعالى: (وَ اتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) وقوله تعالى: (وَ قُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) . (٢)

و قد جاء فى بعض التفاسير:

معناه،قل لعبادى:يقبل بعضهم لبعض أحسن ما يقال،مثل رحمك الله ويغفر الله لك. (٣)

وجاء فى بعضها:

المقاله و الكلمه التى هى أحسن من سائر المقالات و الكلمات،وهى فى الاعتقادات كلمه الشهادتين،وفى الاجتماعيات كلمه الإصلاح،وهكذا.... (٤)

ص: ١٦٢

١- (١). المصدر: ٣٧١.

٢- (٢). الآيات بترتيب: فصلت: ٣٤؛ النساء: ٨٦؛ الزمر: ٥٥؛ الإسراء: ٥٣.

٣- (٣). التبيان فى تفسير القرآن: ٤٩٠/٦.

٤- (٤). تقريب القرآن إلى الأذهان: ٣٢٠/٣.

وجاء فى تفسير الأحسن:

الأحسن من حيث المحتوى و البيان، والأحسن من حيث التلازم بين الدليل ومكارم الأخلاق و الأساليب الإنسانيه، ولكن لماذا يستعمل هذا الأسلوب مع المعارضين؟

الجواب: إذا ترك الناس القول الأحسن و أتبعوا الخشونه فى الكلام و المجادله ف- (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ) ويشير بينهم الفتنة و الفساد، فلا تنسوا: (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا) .

ثانياً: كلمه (عبادى) خطاب للمؤمنين، حيث تعلمهم الآيه أسلوب النقاش مع الأعداء، فقد يحدث فى بعض الأحيان أن يتعامل المؤمنون الجدد بخشونه مع معارضى عقيدتهم ويقولون لهم بأنهم من أهل النار و العذاب، وأنهم ضالون، ويعتبرون أنفسهم من الناجين، قد يكون هذا الموقف سبباً فى أن يقف المعارضون موقفاً سلبياً إزاء دعوه الرسول صلى الله عليه و آله. (١)

إذاً: هذه هى الفائدة من الأمر باعتماد الأحسن، وهى ما تبه عليها تعالى بقوله: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ)، جامعاً للفريقين، أى متى صارت الحجّه مرّه ممزوجه بالبذاءه صارت سبباً لثوران الفتنة. (٢)

فهى ممّا يقضى على دواعى الفتنة، ويجنبنا التباغض و التباعد، لأنه هو السبيل لتركيز المجتمع فى علاقاته العمليه، على أساس الألفه و المحبه و الخير و الرحمه، ولأبعاده عن التناحر والاختلاف و التباغض و التحاقد؛ لأنّ الشيطان قد يدخل فى خلفيات الكلمه وفى مداليلها، وفى ايحاءاتها وحساسياتها، ليشير العداوه و البغضاء بين الناس.

فالأحسن هو الطريق الذى سار عليه جميع الأنبياء عليهم السلام يقول السيد الطباطبائى:

كان تمهيد لقوله تعالى: (وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا) ، (٣) والجمله تذكر فضل داود عليه السلام بكتابه الذى هو زبور وفيه أحسن الكلمات فى تسبيحه وحمده تعالى، وفيه

ص: ١٤٣

١- (١). تفسير الأمل: ٢٩/٩.

٢- (٢). التفسير الكبير: ٣٥٥/٧.

٣- (٣). الإسراء: ١٥٥.

تحريض للمؤمنين أن يرغبوا في أحسن القول ويتأدبوا بالأدب الجميل في المحاوره و الكلام. (١)

ومن الجميل في هذا الصدد ما جاء في تفسير الأمثل، في تفسير قوله تعالى: (ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، حيث قال: (تشير هذه الآية إلى فلسفه وعمق هذا البرنامج [اختيار الأحسن] في تعبير قصير، فنقول: إن هذا التعامل سيقود إلى (فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ). (٢)

إن ما بينه القرآن هنا مضافاً إلى ما يشبهه في الآية ٩٦ من سورة المؤمنين في قوله تعالى: (ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، يعتبر من أهم وأبرز أساليب الدّعوة، خصوصاً حيال الأعداء و الجهلاء و المعاندين، ويؤيد ذلك آخر ما توصلت إليه البحوث و الدراسات في علم النفس؛ لأن كل من يقوم بالسيئه ينتظر الرد بالمثل، خاصه أولئك الذين هم من هذا النمط، وأحياناً يكون جواب السيئه الواحده عدّه سيئات.

أما عندما يرى المسيء أن من أساء إليه لا- يرد السيئه بالسيئه و حسب، وإنما يقابلها بالحسنه، عندها سيحدث التغيير في وجوده، وسيؤثر ذلك على ضميره بشده فيوقظه، وستحدث ثوره في أعماقه، سيخجل ويحس بالحقاره و ينظر بعين التقدير و الإكبار إلى من أساء إليه.

وهنا ستزول الأحقاد و العداوات من الداخل و تترك مكانها للحب و المودّه.

ومن الضروري، أن نشير هنا إلى أن هذا الأمر لا- يمثّل قانوناً دائماً، وإنما هو صفة غالبة؛ لأن هناك أقلية تحاول أن تسيء الاستفاده من هذا الأسلوب، فما لم ينزل بها ما تستحق من عقاب فأنها لا تترك أعمالها الخاطئه.

ص: ١٦٤

١- (١). الميزان في تفسير القرآن: ١٣/١٢٠، في تفسير قوله تعالى: (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ) الإسراء: ١٥٥.

٢- (٢). فصلت: ٣٤.

ولكن فى نفس الوقت الذى نستخدم العقوبه و الشده ضد هذه الأقلية،علينا أن لا نغفل عن أن القانون المتحكم بالأكثرية هو قانون: (ادْفَعِ بِالتى هِىَ أَحْسَنُ) .

لذلك رأينا أن رسول الإسلام صلى الله عليه و آله،والقاده من أئمه أهل البيت عليهم السلام كانوا يستفيدون دائماً من هذا الأسلوب القرآنى العظيم،ففى فتح مكّه مثلاً كان الأعداء-وحتى الأصدقاء-ينتظرون أن تسفك الدماء،وتؤخذ الثارات من الكفار و المشركين و المنافقين الذين أذاقوا المؤمنين ألوان الأذى و العذاب فى مكّه و خارجها،من هنا رفع بعض قاده الفتح شعار:اليوم يوم الملحمه،اليوم تستحلّ الحرمه،اليوم أذلّ الله قريشاً. (١)

لكن ما كان من رسول الله صلى الله عليه و آله وتنفيذاً لأخلاقه: (ادْفَعِ بِالتى هِىَ أَحْسَنُ) ألا أن عفا عن الجميع وأطلق كلمته المشهوره: << اذهبوا فأنتم الطلقاء>>. (٢)

ثم أمر صلى الله عليه و آله أن يستبدل الشعار الانتقامى بشعار آخر يفيض إحساناً وكرماً و هو:

<< اليوم يوم المرحمه،اليوم أعز الله فيه قريشاً>>. (٣)

لقد أحدث هذا الموقف النبوى الكريم عاصفه فى أرض مشركى مكّه،حتى أنه-على حدّ وصف كتاب الله تعالى: (وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً) (٤). (٥)

إذاً:فاختيار التى هى أحسن شعار كلّ المبلّغين السائرين على نهج الأنبياء عليهم السلام،حيث أنه:جامع يشمل الأساليب و الطرق الصحيحه،والمناسبه للتباحث،أجمع،سواء كان ذلك فى الألفاظ،أو المحتوى،وسواء كان فى طريقه الكلام،أو الحركات و الإشارات المصاحبه له.

فعلى هذا،يكون مفهوم الجملة المتقدمه[التى هى أحسن]:أن ألفاظكم ينبغى أن

ص:١٦٥

١- (١). السيره الحلبيه: ٢٢/٣.

٢- (٢). الكامل فى التاريخ: ٢٥٢/٢.

٣- (٣). السيره الحلبيه: ٢٢/٣.

٤- (٤). النصر: ٢.

٥- (٥). تفسير الأمثل: ٤٠٦/١٥ و ٤٠٧.

تكون بطريقه مؤدبه، والكلام ذا مؤدّه، والمحتوى مستدلاً، وصوتكم هادئاً غير خشن، ولا- متجاوزاً لحدود الأخلاق، أو لهتك الحرمه. وكذلك بالنسبه لحركات الأيدي و العيون و الحواجب التي تكمل البيان، ينبغي أن تكون هذه الحركات ضمن هذه الطريقه المؤدبه...وكم هو جميل هذا التعبير القرآني؛ إذ أوجز عالماً من المعاني الدقيقه فى جمله قصيره؟

كلّ هذه الأمور لأجل أن الهدف من وراء النقاش و البحث ليس هو طلب التفوق ودحر الطرف الآخر، بل الهدف أن يكون الكلام نافذاً فى القلب، وفى أعماق الطرف الآخر.... وخير السبل للوصول إلى هذا الهدف هو هذا الأسلوب القرآني. (١)

وعلى ضوء هذا، نجد أن سلوك الأسلوب الأحسن فى مجالات التبليغ، هو جزء من الأسلوب العام للسلوك الإنساني الذى شرعه الإسلام فى الحياه الاجتماعيه، وبشّر أتباعه وحامليه بقوله تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ). (٢)

٤. أسلوب اللين و اللطف

من أهمّ الأساليب التى ينبغى أن يتسلح بها المبلّغ هو أسلوب الرفق و اللين و اللطف و المحبه مع مخاطبيه؛ لأنّ التبليغ الممزوج بالعاطفه و الرأفه و اللين و المحبه للناس هو أسلوب تبليغ الأنبياء عليهم السلام على مرّ العصور.

فلا- بدّ لنا هنا من دراسته أفضل أساليب اللطف و اللين من أجل تحقيق اتصال هادئ و موفق، ينفذ إلى القلوب بمرونه؛ لأنّ الأسلوب هو العنصر الحيوى فى تحريك الفكر و الشعور، نحو الارتباط بالقناعات الرساليه ولهذا القرآن الكريم يدعو المبلّغين أن يلتزموا أسلوب اللين و التلطف فى الكلام، واختيار أفضل الكلمات فى أسلوب التخاطب، و هذا ما أمر الله تعالى به نبيه موسى عليه السلام حينما أمره بالذهاب إلى فرعون،

ص: ١٦٦

١- (١). تفسير الأمثل: ١٢/١٤١٤.

٢- (٢). الزمر: ١٧ و ١٨.

ودعوته إلى طريق الحق، فقال تعالى: (اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ) ، (١) فالقول اللين: «هو القول الذي لا خشونه فيه». (٢)

وجاء في التفسير:

أن المراد بقوله تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) ،المنع من أن يكلماه بخشونه وعنف و هو من أوجب آداب الدّعوة. (٣)
سؤالان:

يقول الفخر الرازى فى قوله تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) :

فيه سؤالان:السؤال الأول:لم أمر الله تعالى موسى عليه السلام باللين مع الكافر الجاحد؟

والجواب:إن من عادة الجابره إذا غلظ لهم فى الوعظ أن يزدادوا عتواً وتكبراً،والمقصود من البعته حصول النفع لا حصول زياده الضرر؛فلهذا أمر الله تعالى بالرفق.

السؤال الثانى:كيف كان ذلك الكلام اللين؟

ذكروا فيه وجوهاً:

أحدها:ما حكا الله تعالى بعضه فقال: (فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ * وَ أَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ) ، (٤)وذكر أيضاً فى هذه السوره بعض ذلك،فقال: (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ...) إلى قوله: (وَ السَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ) . (٥)

وثانيها:أن تعداه شاباباً لا يهرم بعده،وملكاً لا ينزع منه إلّا بالموت،ويبقى له لذه المطعم و المشرب،والمنكح إلى حين موته.

وثالثها:كنايه و هو من ذوى الكنى الثلاث،أبو العباس،وأبو الوليد،وأبو مرّه.[و هذا مروى عن إمامنا الكاظم عليهم السلام يقول فى تفسير قوله تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا

ص:١٦٧

١- (١) .طه:٤٣ و ٤٤.

٢- (٢) .تفسير المنير:٢٢٠/١٦.

٣- (٣) .الميزان فى تفسير القرآن:١٤/١٥٥.

٤- (٤) .النازعات:١٨ و ١٩.

٥- (٥) .طه:٤٧.

لَيْتًا): أى كُنْيَاه. (١) ومن الواضح أن المناداه بالكنيه عند العرب هو احترام وتكريم لشخصيه المنادى.]

ورابعها: حكى عن عمرو بن دينار قال:

بلغنى أن فرعون عمّر أربعمائيه سنه وتسع سنين، فقال له موسى عليه السلام: «إن أظعتنى عمرت مثل ما عمرت فإذا مت فلك الجنة... واعلم أنّ أحوال القلب ثلاثه:

أحدها: الإصرار على الحقّ.

وثانيها: الإصرار على الباطل.

وثالثها: التوقّف فى الأمرين.

و أنّ فرعون كان مصرّاً على الباطل و هذا القسم أردأ الأقسام، فقال تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) فيرجع من إنكاره إلى الإقرار بالحق، وان لم ينتقل من الإنكار إلى الإقرار لكنه يحصل فى قلبه الخوف فيترك الإنكار، وإن كان لا ينتقل من الإنكار إلى الإقرار فأن هذا خير من الإصرار على الإنكار. (٢)

وفيه (قَوْلًا لَّيْنَا) دلالة على وجوب الرفق فى الدّعاء إلى الله، وفى الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، ليكون أسرع إلى القبول، وأبعد من النفور. (٣)

إذاً: هكذا راح موسى عليه السلام إلى فرعون لكى يدعوّه بلين ورفق ولطف، وأسلوب جميل مرغّب فى القبول و الطاعة:

فابتدأ أسلوب دعوته بالهدايه العاطفيه، ثمّ تدرج إلى الهدايه العقليه و المنطقيه حتّى أرى فرعون الآيه الكبرى، وقد بين لنا القرآن الكريم أفضل طرق الدّعوه و الإرشاد، حيث ينبغى إحاطه من يراد هدايته بالرعايه و العطف، وتحسيسه بحسن نيه الداعى أو المرشد، ومن ثمّ تأتى مرحله الدليل المنطقى و الحوار العلمى. (٤)

ومن روائع أسلوب اللين:

ص: ١٦٨

١- (١). بحار الأنوار: ١٣/١٣٤.

٢- (٢). التفسير الكبير: ٥٢/٨ و ٥٣.

٣- (٣). زبده التفاسير: ٢٤٢/٤.

٤- (٤). تفسير الأمثل: ٣٨٣/١٩.

ومن أروع ما يدخل تحت أسلوب اللين و اللطف هو أن:

يدعو المبلِّغ مخاطبيه بما يثير فيهم الرغبة في الإصغاء إليه، ويلين قلوبهم ويفتحها لسماع قوله، كأن يناديهم برابطه الأبوه فيقول له: (يا أَبَتِ) أو يناديه أو يناديهم برابطه أخوه النسب، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام في مخاطبته لأبيه و هو يدعوهُ إلى الإيمان ونبذ عباده غير الله: (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا). (١)

ووجه الدلالة في سياق هذه الآيات المباركة، هو أن إبراهيم عليه السلام حين أراد أن ينصح أباه، ويعظه ويدعوه إلى الإيمان بالله وعبادته وحده، تَلَطَّفَ معه بالقول مع المجادله معه برفق و لين وأدب، ودعوته إلى الحق مترفقاً به، متلطفاً معه، فلم يصف أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي الموصل إلى الله تعالى ورضوانه وثوابه، فاتبعني ولا تستنكف من متابعتي ففيها الخير و النجاه لك.... (٢)

كما أن إبراهيم عليه السلام كان يخاطبه بكلمه (يا أَبَتِ) وظلَّ يكرّر هذه الكلمه في كلِّ عباره يوجهها إليه، زياده في التلطف مع أبيه و زياده في لين القول معه.

وكذلك كان رسل الله يخاطبون أقوامهم بعبارته: (يا قومي و إبراز علاقته-النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله-بهم حينما يصف نفسه، ويصفه القرآن الكريم بأنه (أَخُوهُمْ)، قال تعالى عن هود عليه السلام: (وَ إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)، (٣) أي: وأرسلنا إلى عَادٍ (أَخَاهُمْ هُودًا) أي: أخاهم في النسب؛ لأنه منهم في قول النساين.

ص: ١٦٩

١- (١). مريم: ٤١-٤٥.

٢- (٢). الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأفاويل: ١٩/٣.

٣- (٣). الأعراف: ٦٥.

وقيل: الناس كلهم أخوه في النسب؛ لأنهم ولد آدم وحواء. (١) ثم في مخاطبه هود لهم بكلمه (يا قوم) نوع من التلطف و اللين بالقول؛ لأن هذا النداء أدعى إلى استجابتهم و الى تحسيسهم بأن الذى يخاطبهم هو واحد منهم فى النسب، وأنه لذلك يريد الخير لهم. (٢)

ومن طريف ذلك ما وصى الله تعالى به نبيه موسى عليه السلام وهارون حيث قال تعالى: (فَأْتِيَاهُ فَقُولَا- إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ) ، (٣) والجميل هنا أنهما بدلاً أن يقولوا: (ربنا) فأنهما قالوا: (رَبِّكَ) ليثيروا عواطف فرعون وإحساساته تجاه هذه النقطة بأن له رباً، وأنهما رسولا، ويكونان قد أفهماه بصوره ضمنيه أن ادعاء الربويه لا يصح من أى أحد، فهى مختصه بالله. (٤)

وكذلك فى قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسِّرْ تَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (٥):

ففيه أحسن بيان لما أشتمل عليه من المضمون، وأرق أسلوب وأجمله، فقد وضع أساسه على التكلم وحده دون الغيبة ونحوها، وفيه دلالة على كمال العناية بالأمر، ثم قوله: (عِبَادِي) ولم يقل: الناس وما أشبهه يزيد فى هذه العناية، ثم حذف الواسطه فى الجواب حيث قال: (فَأِنِّي قَرِيبٌ) ولم يقل: فقل إنه قريب.... (٦)

و أما نبينا الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله:

لقد أعد الله سبحانه وتعالى نبينا الأكرم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إعداداً طيباً يتناسب مع مهمته الرسالة وسياسه التبليغ، وصلاح الناس، وترغيبهم فى الإسلام، وذلك بتليين قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وغرس خصله الرحمه فى قلبه، ومشاوره أصحابه، ومحبته الخير لهم،

ص: ١٧٠

١- (١). جمال الدين، القاسمى، محاسن التأويل: ١٦٧/٧.

٢- (٢). د. عبد الكريم، زيدان، المستفاد من قصص القرآن: ٥٢.

٣- (٣). طه: ٤٧.

٤- (٤). تفسير الأمثل: ٧/١٠.

٥- (٥). البقره: ١٨٦.

٦- (٦). الميزان فى تفسير القرآن: ٣٠/٢.

وإظهاره بالدعاء والاستغفار لهم، والعفو عنهم و التوكل على الله وطلب المعونه و النصر منه سبحانه وتعالى.

فقال تعالى واصفاً آياه: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شاورْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ). (١)

فكما هو واضح أن هذه الآيه الشريفه تشير إلى واحده من المزايا الأخلاقية لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، ألا وهى اللين مع الناس و الرحمه بهم، وخلقوه من الفظاظه و الخشونه.

فبين سبحانه وتعالى أن مساهله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إياهم ومجاوزه عنهم من رحمته تعالى، حيث جعله لين العطف حسن الخلق، (فَبِمَا رَحْمَةٍ) أى فبرحمه، (مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ) معناه أن لينك لهم مما يوجب دخولهم فى الدين؛ لأنك تأتيمهم مع سماحه أخلاقك، وكرم سجيتك، بالحجج و البراهين. (وَ لَوْ كُنْتَ) يا محمد، (فَظًّا)، أى: جافياً سىء، [أو كرهه] الخلق، (٢) (غَلِيظَ الْقَلْبِ) أى: قاسى الفؤاد غير ذى رحمه ولا رأفه: (لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) أى: لتفرق أصحابك عنك ونفروا منك.

وقيل:

إنما جمع بين الفظاظه و الغلظه وان كانتا متقاربتين [حيث كلتاهما يشير إلى معنى واحده و هو الخشونه، إلا أن الغالب استعمال الأولى فى الخشونه الكلاميه، واستعمال الثانيه فى الخشونه العمليه و السلوكيه] (٣) فنفى الجفاء عن لسانه، والقسوه عن قلبه، (فَاعْفُ عَنْهُمْ) ما بينك وبينهم. (٤)

ص: ١٧١

١- (١). آل عمران: ١٥٩.

٢- (٢). مفردات غريب القرآن: ٣٨٢.

٣- (٣). تفسير الأمثل: ٧٤٧/٢.

٤- (٤). وقيل فى الفرق بينهما: الفظ، وغلظ القلب، أن الفظ: هو الذى يكون سىء الخلق. وغلظ القلب: هو الذى لا يتأثر قلبه عن شىء، فقد لا يكون الإنسان سىء الخلق، ولا يؤذى أحداً، ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم، فظهر الفرق من هذا الوجه. انظر: التفسير الكبير: ٤٠٧/٣.

وفى الآيه أيضاً ترغيب للمؤمنين فى العفو عن المسيء، ونهيهم عن الفظاظه فى القول و الغلظه و الجفاء فى الفعل، وفيها أيضاً دلاله على أن ما نقوله فى اللطف؛ لأنه سبحانه نبه على أنه لولا- رحمته لم يقع اللين و التواضع ولو لم يكن كذلك لما أجابوه، فبين أن الأمور المنفره منفيه عنه وعن سائر الأنبياء عليهم السلام ومن يجرى مجراهم فى أنه حجّه على الخلق. (١)

إضافه إلى ذلك فأن:

فى هذه الآيه إشاره صريحه إلى إحدى أهم الصفات التى يجب توفرها فى أيه قياده، ألا- وهى العفو و اللين تجاه المتخلفين التائبين، والعصاه النادمين، والمتمردين العائدين، ومن البديهي أن الذى يتصدى للقياده، لو حُلّي عن هذه الخصله الهامه، وأفتقر إلى روح السماح، وأفتقد صفه اللين، وعامل من حوله بالخشونه و العنف و الفظاظه فسرعان ما يواجه الهزيمه، وسرعان ما تصاب مشاريعه وبرامجه بنكسات ماحقه، تُجدد جهوده، وتُدري مساعيه أدراج الرياح؛ إذ يتفرق الناس من حوله، فلا يمكنه القيام بمهام القياده ومسؤولياتها الجسيمه. (٢)

إذاً: فلا بد أن يتحلّى المبلّغ الرسالى بما يريده الإسلام من سمات فى حركه المبلّغ أو الداعيه، فتتعمق فى داخل ذاته رحمه ومحبه، ولطف و لين، ورأفه على الناس، ووعياً للظروف الموضوعيه المحيطه بهم، ليكون التعامل معهم من موقع الفهم الواعى لمشاكلهم الحقيقيه ولنوازعهم الذاتيه، فتتحرك الرحمه فى نفس المبلّغ و الداعيه، فى ممارسته لأسلوب رسالته، فى دراسه كلّ المؤثرات، فيما يختاره من الكلمات اللطيفه و الأساليب الحكيمه، لتصل الدّعوه إلى قلوب الناس فى الوقت الذى تصل فيه إلى عقولهم؛ لأنّ قيمه رساله فى حركه الشخصيه الإسلاميه، تتمثل فى تحولها إلى وعى للفكره فى عمق الذات، والانتظام مع كلّ آفاقها وأفكارها.

ص: ١٧٢

١- (١). تفسير مجمع البيان: ٨٦٩/٢.

٢- (٢). تفسير الأمثل: ٧٤٨/٢.

وهكذا كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَسْلُوبِ رِسَالَتِهِ، الَّذِي يُمَثِّلُ أَسْلُوبَ شَخْصِيَّتِهِ فِي خُلُقِهِ الْعَظِيمِ وَقَلْبِهِ الْكَبِيرِ، فَاسْتَطَاعَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ أَنْ يَدْخُلَ الرِّسَالَةَ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ وَأَنْ يُطَلِّقَ صَوْتَهَا فِي كُلِّ فَمٍ، وَأَنْ يَحْرَكَ شَرِيعَتَهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مَسَاحَةٍ مِنْ مَسَاحَاتِ الْحَيَاةِ... وَهَذَا هُوَ أَحَدُ أَسْرَارِ نَجَاحِ الْمُبَلِّغِ فِي تَبْلِيغِهِ، فَلَيْسَ أَنْ يَسْتَسَلِمَ لِنَوَازِعِهِ الذَّاتِيَّةِ لِيَفْرُضَهَا عَلَى التَّبْلِيغِ، بَلْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصُوغَ شَخْصِيَّتَهُ صِيَاغَةً إِسْلَامِيَّةً، تَنْبَعُ مِنْ رُوحِ الْإِسْلَامِ وَخُلُقِهِ، كَمَا تَتَحَرَّكُ مَعَ فِكْرِهِ، وَيَتْرَكَ مَزَاجَهُ الشَّخْصِيَّ لِأَجْوَاءِ الْفَرْدِيَّةِ الَّتِي تَبْتَعِدُ عَنِ جَوِّ التَّبْلِيغِ وَالْعَمَلِ.

سؤال وجواب:

قد يسأل البعض: ألا يجزنا اللين إلى التنازل عن مبادئ الرسالة؟

والجواب: إنَّ اللين في الكلام لا يعني الابتعاد عن الخطَّ الأصيل للرسالة، ولا تنازل عن مبادئها الأساسية، بل يعني مواجهه الإنسان بالفكره والطريقه التي لا تثير حساسيته وعدوانيته، وذلك بالأسلوب الذي جرت عليه الآيات الشريفة ومسيرة الأنبياء عليهم السلام، وهذا هو معنى القول اللين، ألا تتنازل عن الفكره بكلِّ عناصرها الحيه، ولكن بشرط أن تعالجها بالأسلوب الذي يجعلها تدخل الفكره، والروح، والشعور من أوسع أبوابه.

ولذلك نقول إن:

اللين والرفق إنما يجوز إذا لم يفض إلى إهمال حق من حقوق الله، أما إذا أدى إلى ذلك لم يجز، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) (١) وقال للمؤمنين في إقامه حدِّ الزنا: (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ). (٢)

وهاهنا دقيقه أخرى:

وهي أنه تعالى منعه من الغلظه في هذه الآيه (... وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا

ص: ١٧٣

١- (١). التوبه: ٧٣.

٢- (٢). التور: ٢.

مِنْ حَوْلِكَ) ، (١) وأمره بالغلظه فى قوله تعالى: (وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ) ، فههنا نهاه عن الغلظه على المؤمنىن، وهنالك أمره بالغلظه مع الكافرىن، فهو كقوله تعالى: (أَذِلَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ) . (٢) وقوله: (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) . (٣)

وتحقىق القول فىه، أن طرفى الإفراط و التفرىط مذمومان، والفضىله فى الوسط، فورود الأمر بالتغلىط تاره، وأخرى بالنهى عنه، إنما كان لأجل أن يتباعده عن الإفراط و التفرىط، فىبقى على الوسط الذى هو الصراط المستقىم، فلهذا السّر مدح الله الوسط فقال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (٤) . (٥)

إذاً: فعلى المبالغ أن يتمرس و يتمرن على اللىونه فى الكلام حتى تصبىح فىه هذه السمه ملكه نفسىه، وىتطبىع على التلطف فى الحدىث حتى لا ىستطبىع بعده معاكسه هذه الصفه إلا بعسر.

ىقول الإمام على علیه السلام: <<عود لسانك لىن الكلام>>. (٤)

ومن جمىل وصاىاه هى ما وصى به ابنه الإمام الحسن علىه السلام، حىث قال علىه السلام:

<<ولن لمن غالظك فإنه ىوشك أن ىلىن لك>>. (٧)

٥. أسلوب التذكىر

أشاره

ثمّ من أهم الأسالىب التى ىنبغى للمبلىغ اعتمادها هو أسلوب التذكىر؛ وذلك لما له من استعاده الذكرىات واستىحاء العبر فىها، و هو من أفضل أسالىب وطرق التربىه و التبلىغ

ص: ١٧٤

١- (١) . آل عمران: ١٥٩.

٢- (٢) . المائده: ٥٤.

٣- (٣) . الفتح: ٢٩.

٤- (٤) . البقره: ١٤٣.

٥- (٥) . التفسىر الكبىر: ٣/٤٠٨.

٦- (٦) . غرر الحكم ودرر الكلم: ٣٣٤.

٧- (٧) . بحار الأنوار: ١٦٨/٧٤.

التي اعتمدها الأنبياء عليهم السلام و القرآن الكريم، فهو يذكر بالنعمة العامة تارة كالصحة، والحياه، والعمل، والإيمان... والنعمة الخاصة تارة أخرى كالعين، والفم، والعقل... وهكذا مئات بل ما لا يحصى من النعم، وذلك لكي تبقى عظمة الله حيه في قلوب الناس فيندفعوا ذاتياً لامثال أوامره تعالى وترك نواهيه عز وجل.

والذكر، كما يقول الراغب:

تارة يقال ويراد به هيئته للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ ألا- أن الحفظ يقال اعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول.

ولذلك قيل الذكر ذكران:

ذكر بالقلب، وذكر باللسان، وكل واحد منهما ضربان، ذكر عن نسيان، وذكر لا عن نسيان، بل عن إدامه الحفظ.

وفى اللغة كل قول يقال له: ذكر، فمن الذكر باللسان قوله تعالى: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) ، وقوله تعالى: (وَ هَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ) ، وقوله تعالى: (هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي) ، وقوله تعالى: (أَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا) ، أى القرآن، وقوله تعالى: (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) ، وقوله تعالى: (وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ)ومن الذكر عن النسيان قوله تعالى: (فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَ مَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ) ، ومن الذكر بالقلب و اللسان معاً قوله تعالى: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا) ، وقوله تعالى: (فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) . (١)

وقوله تعالى: (أ وَ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ) ، (٢)أى: أولاً يذكر الجاحد للبعث أول خلقه فيستدل بذلك على إعادته.

ص: ١٧٥

١- (١). الآيات بترتيب: الأنبياء: ١٠؛ الأنبياء: ٥٠؛ الأنبياء: ٢٤؛ ص: ٨؛ ص: ١؛ الزخرف: ٤٤؛ الكهف: ٦٣؛ البقرة: ٢٠٠؛ البقرة: ١٩٨.

٢- (٢). مريم: ٦٧.

والذكرى: كثره الذكر، وهو أبلغ من الذكر، قال تعالى: (رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ) (١) وقوله تعالى: (فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ). (٢)

والتذكرة: ما يتذكر به الشيء وهو أعم من الدلالة والأما، قال تعالى: (فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ)، وقوله تعالى: (كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ)، أى القرآن، وذكرته كذا قال تعالى: (وَذَكَّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ)، وقوله تعالى: (فَتَذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى)، (٣) قيل معناه تعيد ذكره.

قال بعض العلماء فى الفرق بين قوله تعالى: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)، (٤) وبين قوله تعالى: (اذْكُرُوا نِعْمَتِي)، (٥) أن قوله اذكروني مخاطبه لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله الذين حصل لهم فضل قوه بمعرفته تعالى فأمرهم بأن يذكروه بغير واسطه، وقوله تعالى: (اذْكُرُوا نِعْمَتِي)، مخاطبه لبنى إسرائيل الذين لم يعرفوا الله إلا بآلائه، فأمرهم أن يتبصروا نعمته فيتوصلوا بها إلى معرفته. (٦)

أ) الفرق بين التذكير و التنبيه

وجاء فى الفرق بين التذكير و التنبيه:

إن قولك ذكر الشيء يقتضى أنه كان عالماً به ثم نسيه فردّه إلى ذكره ببعض الأسباب وذلك أن الذكر هو العلم الحادث بعد النسيان على ما ذكرنا، ويجوز أن ينبه الرجل على شيء لم يعرفه قط، ألا ترى أن الله تعالى ينبه على معرفته بالزلزل، والصواعق، وفهم من لم يعرفه البتة فيكون ذلك تنبيهاً له كما يكون تنبيهاً لغيره، ولا يجوز أن يذكره ما لم يعلمه قط. (٧)

وقال الطبرسى فى قوله تعالى:

ص: ١٧٦

١- (١). ص: ٤٣.

٢- (٢). الذاريات: ٥٥.

٣- (٣). الآيات بترتيب: المدثر: ٤٩؛ المدثر: ٥٤؛ إبراهيم: ٥؛ البقره: ٢٨٢.

٤- (٤). البقره: ١٥٢.

٥- (٥). البقره: ٤٠.

٦- (٦). مفردات غريب القرآن: ١٧٩-١٨٠.

٧- (٧). العسكرى، الفروق اللغويه: ١٢١ و ١٢٢.

(إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) ، (١)أى: تذكيراً للعالمين بما يلزمهم إتيانه واجتنابه. (٢)وجاء في الفرقان في معنى (إِلَّا ذِكْرٌ) قال: ذكرى لهم عن غفوتهم فطرياً، وعقلياً، فأن مواد الهدى مرتكزه في الفطر والعقول، ولا- يعنى بعث الرسول كأصل إلَّا << ذكرى >> لمن استغفلوا عن دلائل الإيمان، ايقاضاً لأصول الهدى، ثم الفروع تتبناها وارده على قضايا الفطر والعقول. (٣)

(ب) الذكرى تنفع المؤمنين

لقد خصَّص الله عز وجل نفع التذكير بالمؤمنين حين قال تعالى: (وَ ذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) ، (٤)وتخصيص الذكرى بالمؤمنين دليل على أن الإنذار يعمهم وغيرهم، فالمعنى: أنزل إليك الكتاب لتنذر به الناس، وهو ذكرى للمؤمنين خاصة؛ لأنهم يتذكرون بالآيات، والمعارف الإلهية المذكورة فيها مقام ربهم، فيزيد بذلك إيمانهم وتقر بها أعينهم، أما عامه الناس فإن هذا الكتاب يؤثر فيهم أثر الإنذار بما يشتمل عليه من ذكر سخط الله وعقابه للظالمين في الدار الآخرة، وفي الدنيا بعذاب الاستئصال كما تشرحه قصص الامم السالفه. (٥)

يقول الفخر الرازى:

فإن قيل: لم قيد هذه الذكرى بالمؤمنين؟ قلنا: هو نظير قوله تعالى: (هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) . (٦)

والبحت العقلى فيه أن النفوس البشريه على قسمين: نفوس بليده جاهليه بعيده عن عالم الغيب غريقه فى طلب اللذات الجسمانيه و الشهوات الجسدانيه، و نفوس شريفه مشرقه بالانوار الإلهيه مستعدّه بالحوادث الروحانيه، فبعثه الأنبياء

ص: ١٧٧

١- (١). الأنعام: ٩٠.

٢- (٢). تفسير مجمع البيان: ٥١٣/٤.

٣- (٣). الفرقان في تفسير القرآن: ١١/٢٢.

٤- (٤). الذاريات: ٥٥.

٥- (٥). الميزان في تفسير القرآن: ٨/٨؛ تفسير مجمع البيان: ٥١٣/٤، ومعنى التذكير أن يأخذ فى الذكر شيئاً بعد شىء مثل التفقه و التعلم. (المصدر: ٦١١).

٦- (٦). البقره: ٢.

والرسل عليهم السلام فى حق القسم الأول إنذار وتخويف، فأُنهم لما غرقوا فى نوم الغفلة ورقده الجهاله احتاجوا إلى موقظ يوقظهم، وإلى منبه ينبههم.

و أما فى حق القسم الثانى فتذكير وتنبيه؛ وذلك لأن هذه النفوس بمقتضى جواهرها الأصلية مستعدّه للانجذاب إلى عالم القدس والاتصال بالحضرة الصمديه، إلّا أنه ربّما غشيها غَواش من عالم الجسم فيعرض لها نوع ذهول وغفله، فإذا سمعت دعوه الأنبياء وأتصل بها أنوار أرواح رسل الله تعالى تذكرت مركزها وأبصرت منشأها، واشتأقت إلى ما حصل هناك من الروح، والراحه و الريحان، فثبت أنه تعالى أنما أنزل هذا الكتاب على رسوله ليكون إنذارا فى حق طائفه وذكرى فى حق طائفه أخرى. (١)

وهنا يأتى سؤال: كيف ينتفع المؤمنون من الذكرى؟

والجواب يحتمل وجوه:

أحدها: أن يراد قوه يقينهم كما قال تعالى: (لِيَزِدُوا إِيمَانًا) ، (٢) وقال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادُ نُفُسِهِمْ إِيْمَانًا) ، (٣) وقال تعالى: (زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) . (٤)

ثانيها: تنفع المؤمنين الذين بعدك، فكأنك إذا أكثر التذكير بالتكرير نقل عنك ذلك بالتواتر، فينتفع به من يجىء بعدك من المؤمنين.

ثالثها: هو أن الذكرى إن أفاد إيمان كافر فقد نفع مؤمنًا؛ لأنه صار مؤمنًا، وإن لم يفسد يوجد حسنه ويزاد فى حسنه المؤمنين فينتفعوا. (٥)

ج) نماذج من التذكير بالنعمة

أولاً: النعمة السياسيّه والاجتماعيه

نستطيع أن نشاهد النعمة السياسيّه والاجتماعيه فى قول الله تعالى: (وَإِذْ كُفِرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّشْتَصِفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ

ص: ١٧٨

١- (١). التفسير الكبير: ١٩٦/٥.

٢- (٢). الفتح: ٤.

٣- (٣). التوبه: ١٢٤.

٤- (٤). محمد: ١٧.

٥- (٥). الميزان فى تفسير القرآن: ٣٨٥/١٨.

الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، وأيضاً قوله تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، (١) وقوله تعالى: (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ) . (٢)

ولتكون الذكري أساساً للتفكير العملي الواعي الذي يدفعكم للسير في نهجه القويم وخطه المستقيم، كتعبير عن شكره، لما أولاكم من النعم السياسي والاجتماعية.

ثانياً:نعمه الإمداد الغيبي

وتتجلى هذه النعمة العظيمة في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) . (٣)

ثالثاً:نعمه الرزق

نلاحظ هذه النعمة بوضوح في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ) . (٤)

وكذلك نلاحظ ذلك في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ مَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) . (٥)

رابعاً:نعمه التفضيل على الآخرين

بإمكاننا أن نقف على هذه النعمة الإلهية في قوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي

ص: ١٧٩

١- (١). الأنفال: ٢٦؛ آل عمران: ١٢٣.

٢- (٢). الأعراف: ٧٤.

٣- (٣). الأحزاب: ٩.

٤- (٤). فاطر: ٣.

٥- (٥). يونس: ٣١.

الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْنِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ). (١)

وكما هو واضح أن الله تعالى حينما يذكر الناس بنعمه التفضيل على الآخرين، يريد تعالى أن يعمق في نفوسهم الشعور بمسئوليتهم الكبيرة المتمثلة بالسير على خطِّ ونهج الأنبياء عليهم السلام.

خامساً: نعمه الوحدة

هذه النعمة الإلهية من أهم النعم التي أنعم الله بها على المؤمنين، حيث أنها مصدر من مصادر قوتهم وعظمتهم، ولذلك أشار الله تعالى إليها في كثير من الآيات الشريفة، مثلاً قوله تعالى: (وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...). (٢)

نشاهد في هذه الآية الكريمة كيف يذكر المولى عز وجلّ بالنعمة العظمى التي أنعم بها على المؤمنين، وهي نعمه الوحدة و التجمع بعد التفرق، والألفة بعد العداوة و الخصام، وقتل بعضهم بعضاً، وتسلط القوى على الضعيف، فجعلهم أخوه في الإيمان، فقال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ). (٣)

فصاروا كالبدن الواحد، وكالبنيان المرصوص، بعدما كانوا يغورون في الكفر و الشرك، والإشراف على حافه النار و الهلاك بسبب الشرك و الوثنيه، فصاروا عندها سادة البشر وأساتذ العالم، وأنقذهم الله بالإسلام من الدمار و الهلاك و التشتت و التفرق.

سادساً: نعمه القيادة

وتتجلى هذه النعمة تماماً بقوله تعالى: (يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءً) (٤) وجاء في التفسير:

ص: ١٨٠

١- (١). البقره: ٤٧.

٢- (٢). آل عمران: ١٠٣.

٣- (٣). الحجرات: ١٠.

٤- (٤). المائده: ٢٠.

جاءت هذه الآيات لتشير لدى اليهود دافع التوجه إلى الحقّ والسعى لمعرفة أولاً، وإيقاظ ضمائرهم حيال الأخطاء والآثام التي ارتكبوها ثانياً، ولكي تحفزهم إلى السعى لتلافى أخطائهم والتعويض عنها، ويذكرهم القرآن في الآية الأولى بما قاله النبي موسى عليه السلام لأصحابه حيث يقول: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ).

ولا يخفى أن عبارته: (نِعْمَتَ اللَّهِ) تشمل جميع الأنعم الإلهية، لكن الآية استطردت فبينت ثلاثاً من أهم هذه النعم وهي:

أولها: نعمه ظهور الأنبياء عليهم السلام وقاده كثيرين بين اليهود، والتي تعتبر أكبر نعمه وهبها الله لهم، فتقول الآية: (إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ) ، وقد نقل أن في زمن موسى بن عمران عليه السلام وحده كان يوجد بين اليهود سبعون نبياً، وأن السبعين رجلاً الذين ذهبوا مع موسى عليه السلام إلى جبل الطور كانوا كلهم بمنزلة الأنبياء.

وفي ظل هذه النعمة -نعمه وجود الأنبياء- نجا اليهود من هاوية الشريك والوثنية وعبادة العجل وتخلصوا من مختلف أنواع الخرافات والأوهام والقبائح والخبائث، لذلك أصبحت هذه النعمة أكبر النعم المعنوية التي أنعم الله بها على بني إسرائيل. (١)

هذا وتوجد في طيات القرآن الكريم إشارة أخرى إلى هذه النعمة العظيمة، كقوله تعالى: (أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضِيطَةً فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ). (٢)

وكذلك قوله تعالى: (وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ). (٣)

فيقول تعالى: (فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ) ونعمائه وعظمته (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) من خلال هذه الذكرى التي تنير قلوبكم، وتبصركم بكل خير ورحمه وإيمان، حيث أن الذكرى

ص: ١٨١

١- (١). تفسير الأمل: ٦٦٠/٣.

٢- (٢). الأعراف: ٦٩.

٣- (٣). الأعراف: ٧٤.

عنصر مهم وعامل من عوامل الوعي الذى يستثير فيهم العناصر الطيبه الأصيله التى يمكن أن تجعل منهم أناس طيبين، تنبض قلوبهم بالرحمه، وتعيش حياتهم للمسؤوليه، وتتحرك خطواتهم-من خلال الوعي و التذکر-فى اتجاه الله وكل خير.

هذا من ناحيه، ومن ناحيه أخرى نجد أن الله سبحانه وتعالى يأمر أنبياءه عليهم السلام أن يذكروا بأيامه تعالى التى داولها بين الناس بما فيها من خير و أمان، وعذاب وانتقام، كى يعوها ويتعظوا بها، ومن ذلك قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) ، (١) فنجد أن نبي الله موسى عليه السلام:

يذكر قومه أيام الله فى الأمم الماضيه ممن فئت أشخاصهم وخمدت أنفاسهم وعفت آثارهم وانقطعت أخبارهم، فلا يعلمهم بحقيقه حالهم تفصيلاً إلا الله كقوم نوح وعاد و ثمود و الذين من بعدهم. (٢)

فمن هذا التذكير نستلهم العظه و العبره، كما جاء فى التفسير:

أنه يمكننا أن نستفيد من الآيه الكريمه عده أمور:

١. على الناس الاعتبار و الإيقاظ بأيام الله تعالى-أى: الوقائع العظيمه التى وقعت فيها-وتذكر نعم الله عليهم.

وذلك جمع بين الترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد، فالترغيب و الوعد: أن يذكركم النبي موسى عليه السلام أو غيره ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسول، فى سائر ما سلف من الأيام.

والترهيب و الوعيد: أن يذكركم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل، ممن سلف من الأمم فيما سلف من الأيام، مثل ما نزل بعاد و ثمود وغيرهم من العذاب، ليرغبوا فى الوعد فيصدقوا، ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب.

٢. إن فى ذلك التذكير و التنبيه دلائل لمن كان صباراً شكوراً.

فى حاله المحنه و البليه يصبر، وفى حاله المنحه و العطيه يشكر. (٣)

ص: ١٨٢

١- (١). إبراهيم: ٥.

٢- (٢). الميزان فى تفسير القرآن: ٢٢/٢.

٣- (٣). تفسير المنير: ٢١٢/١٣.

لا- بدّ في نهايه هذا البحث-التذكير-أن نذكر الهدف الإلهي من ذكر نعمه الكبيره علينا،وما هي الغايه من تكرار التذكير بها،فنقول:

لا- حاجه للتنبيه على أن ذكر النعم الإلهيه الوارده في القرآن الكريم لا- يقصد منها إلقاء المنه أو كسب الوجاهه وما شابه ذلك،فشأن الباري أجل وأسمى من ذلك،و هو الغنى ولا غنى سواه ولكن ذكرها جاء ضمن أسلوب تربوي مبرمج يهدف لإيصال الإنسان إلى أرقى درجات الكمال الممكنه من الناحيتين الماديه و المعنويه.

وأقوى دليل على ذلك ما جاء في أواخر كثير من الآيات....من عبارات و التي تصبّ-مع كثرتها وتنوعها-في نفس الاتجاه التربوي المطلوب.

فبعد ذكر نعمه تسخير البحار،في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيًّا تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (١)يقول تعالى: (وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

وبعد أن قام بتبيين نعمه الجبال و الأنهار و السبل،كما في قوله تعالى: (وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ، (٢)يقول تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) .

وبعد تبين أعظم النعم المعنويه،نعمه نزول القرآن،في قوله تعالى: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (٣)يقول تعالى: (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

وبعد ذكر نعمه آلات المعرفه الإلهيه السمع و البصر و الفؤاد في قوله تعالى: (وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، (٤)يقول تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

١- (١). النحل: ١٤.

٢- (٢). النحل: ١٥.

٣- (٣). الحشر: ٢١.

٤- (٤). النحل: ٧٨.

وبعد الإشارة إلى إكمال النعمة الإلهية في قوله تعالى: (وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) (١) يقول تعالى: (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) .

وبعد ذكر جملة أمور في مجال العدل و الإحسان و محاربه الفحشاء و المنكر و الظلم، في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِتْيَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَ يُنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) . (٢) يقول تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

ويقول تعالى بعد نعمة النصر، في قوله تعالى: (وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) ، (٣) يقول تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

والحقيقه أن القرآن الكريم قد أشار إلى خمسة أهداف مما ذكر في الموارد أعلاه، وهي:

١. الهداية؛ ٢. التسليم للحق؛ ٣. الشكر؛ ٤. التفكير؛ ٥. التذكّر.

ومما لا شك فيه أن الأهداف الخمسة مترابطة فيما بينها ترابطاً وثيقاً فالإنسان يبدأ بالتفكير، و إذا نسي تذكّر، ثم يتحرك فيه حسن الشكر لوأهب النعم عليه، فيفتح الطريق إليه ليهتدى، وأخيراً يسلم لأوامر مولاه، وعليه فالأهداف الخمسة حلقات مترابطة في طريق التكامل، و إذا سلك السالك ضمن الضوابط المعطاه لحصل على نتائج مثمره وعاليه، و ثمه ملاحظه، هي أن ذكر النعم الإلهيه بشكليها الجمعي و الفردي إنما يراد بها بناء الإنسان الكامل. (٤)

إذاً: يجب على المبلّغ أن يلتزم بأسلوب التذكير في تبليغه، ليتذكر من يتذكر، ويرتدع عن غيه وإعراضه من شاء أن يرتدع.

ص: ١٨٤

١- (١). النحل: ٨١.

٢- (٢). النحل: ٩٠.

٣- (٣). آل عمران: ١٢٣.

٤- (٤). تفسير الأمثل: ٣٧٢/٨.

قال تعالى: (فَدَكَّرْ إِنَّ نَفَعَتِ الذُّكْرَى * سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى * وَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يُحْيَى). (١).

فالتذكير واجب رسالي لا يسقط القيام به وتأديته و إن تفاقمت أخطار المُعْرِضِينَ وازدحمت حشودهم وتزايدت قواهم الماديه وأحقادهم، بل هو الأسلوب الناجح- لو استعمل بدقه وذكاء- في تفتيت قوى الباطل وتمزيق شملهم وتغيير معادلات أعدادهم وقواهم.

٦. أسلوب القصص و التاريخ

إشارة

إن أسلوب القصص من أهم الأساليب التي استخدمها الأنبياء عليهم السلام في مجال التبليغ و الدعوة إلى الله، فخطبوا بها كلاً من العقل و الشعور الإنساني، فهي من أروع ما يعين على الإقناع، ويقرب الغرض إلى الأذهان، ويوضح المعنى المطلوب، وأصبحت القصص في العصور الأخرى أدباً و فناً قائماً برأسه، يستعين بها دعاه الأفكار الحديثه، لتلقين العامه وإقناعهم وان كانت من وضع الخيال، والتبرير أن في طبيعه الإنسان غريزه حب الاستماع إلى القصص فيلتذ بها؛ وذلك لإشباع غريزه حب الاطلاع، أو لغير ذلك من غرائزه، و قد يعتبرها شاهداً أو دليلاً باعتبارها تجربه واقعيه.

و قد جاءت القصص بصوره متسقه بديعه في سور القرآن الكريم على وجه من الشموليه له من الدلالات الموحيه ما يحفز الناظر في كتاب الله وحياه الأنبياء عليهم السلام إلى دراستها دراسه واعيه مستوعبه....

أ) القصة

أولاً: مفهوم القصة

قبل الدخول في التفاصيل لابد من الإشارة إلى معنى القصة.

ص: ١٨٥

تتبع الأثر، يقال: قصصت الشئ إذا تتبع أثره شيئاً بعد شئ، قال تعالى: (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا) ، (١) وقوله تعالى: (وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) ، (٢) وترد بمعنى: البيان و الخبر. ولذا يقال: القصص: الأخبار المتتابعة. قال تعالى: (لَهُوَ الْقَصِيُّ صُ الْحَقُّ) ، (فى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ) ، (وَ قَصَّ عَلَيْهِ الْقَصِيصَ) ، (نَقَّصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصِيصِ) ، (فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ) ، (يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) ، (فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ) . (٣)

على أن لكل من: القصة و النبأ، والخبر، والمثل، مفاهيم مختلفة فى السياق القرآنى، ربما تداخلت مدلولاتها، وأهم ما يميز بينها عنصرى: الزمن بين الماضى والاستقبال، ثم الواقعيه و التحقق.... (٤)

وفى الحقيقه كثيراً ما يرد النبأ بمعنى القصص، كما فى قوله تعالى: (وَ كَلَّا- نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ) ، (٥) وقوله تعالى: (تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ) . (٦)

وللقصة مفهوم عصرى مؤداه أنها:

حكاية نثرية طويله تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما، وتبنى على قواعد معينه من الفن الكتابى. (٧)

أما القصة فى المفهوم القرآنى، فلها من الخصائص و السمات العامه ما تتميز به عن القصص التى هى من وضع البشر.

ص: ١٨٦

١- (١). الكهف: ٦٤.

٢- (٢). القصص: ١١.

٣- (٣). مفردات غريب القرآن: ٤٠٤. لسان العرب: ٧/٧٤.

٤- (٤). انظر ماده الخبر، والنبأ، والمثل، فى مفردات الراغب.

٥- (٥). هود: ١٢٠.

٦- (٦). القصص: ٣.

٧- (٧). المعجم الوسيط: ٢/٩٠٣.

ولقد درس الباحثون القصص القرآنية من جوانبها المختلفه،الجانب اللغوى البلاغى،والجانب الفنى التصويرى،والجانب النفسى -
أى:السيكولوجى-والجانب التاريخى....

و هذه الجوانب وغيرها تنضوى جميعاً تحت المفهوم الدعوى الاشمل للقصه فى كتاب الله،وتمثل وجهاً من وجوه الإعجاز
القرآنى.

وقد حوى القصص القرآنى فى أطوائه جوانب عديده فى:العقيده،والشريع،والتاريخ،والسنن الربانيه،ومختلف العلوم وشتى
المعارف،مما تتطلبه الحياه الإنسانيه المثلى،وتنهض عليه الحضارات الراقية وتقيم عليه دعائمها وعناصر ازدهارها ونمائها.

والإنسان اجتماعى الطبع،توحشه الوحده ويستأنس بالجماعه،ولقد أعطى الذاكره التى تعى الأحداث ومجرياتها،وتحتفظ بالكثير
المفيد من صور الحياه ومشاهد الطبيعه،ثم منح العقل المميز الذى يستلهم العبر ويستخرج العلل ويقيس الأمور بأشباهاها،ويصل -
بهدياه الرسائل السماويه-إلى تجنب سبل الشر و الفساد....

ولئن كان الإنسان على هذا النمط الفريد فى مواهبه وقدراته وسجاياه،لم يكن غريباً أن يشتمل الكتاب العزيز على القصص التى
تستجيب لحاجات هذا المخلوق المكرّم،الفطريه،والعاطفيه،والعقليه،وتستثير فيه كوامن الحس ليصل إلى معرفه سر
الحياه،والهدف من الوجود من هذه الأرض،والى أين المصير بعد الموت....

والذى يتأمل من القصص القرآنى بوعى وتدبر يقف خاشعاً أمام كلام الله العليم الخبير،و هو يقص أخبار الدعاه من المرسلين
وأتباعهم،ويسطر الأساليب التى استخدموها و الوسائل التى انتقوها لمختلف حالات المدعوين،ويعرض فى أسلوب معجز كيف
وصلوا إلى تحقيق أهداف الدّعه من أقرب الطرق وبأسر السبل،كل ذلك عبر الأحقاب المتطاولة لتاريخ البشرى،وأنت إذا
أجلت بصيرتك فى القصص القرآنى،وقفت على جلال الموضوع،وكمال العرض،واتساق التركيب....

ومن أهم دلائل اهتمام القرآن بأسلوب القصه فى تبليغ الدّعه:

أ.ورودها منسوبة إلى ربّ العزه و الجلال فى قوله: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)، (١)وقوله تعالى: (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ)، (٢)وقوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ). (٣)

ب.أمر الله سبحانه نبيه أن يقصّ على الناس ما أوحى إليه، كما فى قوله عز وجلّ، بعد أن ذكر طرفاً من أخبار بنى إسرائيل: (فَأَقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)، (٤)أى:قصص الذين كفروا وكذبوا أنبياءهم. (٥)

و من هنا جعل بعض العلماء القصص من مرادفات كلمه:(الدّعوه)ومثلها الوعظ،والإرشاد،والتبليغ،والبيان؛ إذ أمر بها إمام المرسلين وقدوه الداعين محمّد صلّى الله عليه و آله.

ج.القصه معلّم بارز من معالم القرآن الكريم لتوضيح الحقائق وتبيين السبل، كما فى سورة النمل: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ). (٦)

د.القصّ -بالمفهوم العام- كان من مهمات الرسل عليهم السلام، ولذا قال تعالى: (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)، (٧)وقال تعالى: (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَ أَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ). (٨)

هـ.حياه الأنبياء عليهم السلام-والقصص وتصويرها-فى موضع القدوه و الأسوه، ولقد أمر

ص: ١٨٨

١- (١). يوسف: ٣.

٢- (٢). طه: ٩٩.

٣- (٣). الأنعام: ٥٧.

٤- (٤). الأعراف: ١٧٦.

٥- (٥). زاد المسير: ٢٩١/٣.

٦- (٦). النمل: ٧٦.

٧- (٧). الأنعام: ١٣٠.

٨- (٨). الأعراف: ٣٥.

الله خاتم المرسلين بالافتداء بهم، بعد أن سرد طرفاً من أخبارهم فقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (١). (٢).

وأحداث القصص القرآني تدور في محيط الدّعوة إلى الله، وإلى تحرير العقيدة وتصفيتها من العبودية لغير الله، وتوجيهها إلى عبادة الإله الواحد الخالق ربّ العالمين، ولذلك كانت دعوات الأنبياء هي الشخصية الغالبة في قصص القرآن. (٣).

وهنا يكمن الفرق بين القصص القرآني وغيره من القصص.

حيث يختلف القصص القرآني عن غيره من القصص في ناحيه أساسيه هي: ناحيه الهدف و الغرض الذي جاء من أجله؛ ذلك لأنّ القرآن الكريم لم يتناول القصّه؛ لأنها عمل (فتى) مستقل في موضوعه وطريقه التعبير فيه، كما أنّه لم يأتِ بالقصه من أجل التحدّث عن أخبار الماضين وتسجيل حياتهم وشؤونها فحسب- كما يفعل المؤرّخون- وإنما كان عرض القصّه في القرآن الكريم مساهمه في الأساليب العديده التي سلكها لتحقيق أهدافه وأغراضه الدينيه، التي جاء بها الكتاب الكريم، وبعث الأنبياء عليهم السلام من أجلها، بل يمكن أن نقول: إنّ القصّه هي من أهمّ هذه الأساليب.

فالقرآن الكريم رساله دينيه قبل كلّ شيء تهدف بصوره أساسيه إلى عمليه التغيير الاجتماعي بجوانبها المختلفه؛ لذا فلا بدّ لنا- حين نريد أن ندرس القصّه القرآنيه- أن نضع أمامنا هذا الهدف القرآني العام لتتعرّف من خلاله على الأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم في عرضه القصّه القرآنيه مساهمه منه في تحقيق هذا الهدف.

ثانياً: أهداف القصص القرآني

لقد وردت القصّه في القرآن الكريم لتساهم في عمليه الكمال الإنساني بجوانبها

ص: ١٨٩

١- (١). الأنعام: ٩٠.

٢- (٢). الدّعوة إلى الله تعالى: ١٤٣ و ١٤٤.

٣- (٣). عبد الكريم، الخطيب، القصص القرآني: ٤٣، بتصرف طفيف.

المتعدده فهي-بالإضافة إلى تحقيق أسس الدَّعوه، من توحيد الله، وتصحيح المفاهيم الخاطئه حول الإلوهيه و الربوبيه، والنبوه و متعلقاتها، وتقرير البعث و النشور، والحساب و الجزاء، وإقامه شرع الله بين الناس- ترمى إلى أهداف خاصه، تعنى بالمبلغين و الدعاه و المدعويين، ثم الإنسانية جمعاء.

و قد جمعت آيتان في كتاب الله أهداف القصص في القرآن الكريم، نوّهت الأولى عن أهداف وخصائص قصص المرسلين، وأوضحت الأخرى أهداف القصص بوجه عام، قال تعالى: (وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) ، (١) وقال بعد قصه يوسف عليه السلام و المجتمع المصري آنذاك: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَ لَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ، (٢) والآيتان مكيّتان تتحدد منهما أهداف القصص، وهي:

١. الدلاله على صدق رسول الله صلى الله عليه و آله: وأن ما جاء به كلام الله، وكان هذا من أكبر أهداف القصص، لا سيما الغيبه منها، كما قال تعالى: (وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعُرْبِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَ مَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَ لَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَ مَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَ لَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَ مَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَ لَكِن رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) . (٣)

٢. التثييت: وما أوحى [المبلغين] والدعاه إليه، وما أجدها، و قد تولاه ربّ العزه و الجلال، وقال أبو حيان في قوله تعالى: (وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) : (٤)

ص: ١٩٠

١- (١). هود: ١٢٠.

٢- (٢). يوسف: ١١١.

٣- (٣). القصص: ٤٥ و ٤٦.

٤- (٤). هود: ١٢٠.

أى: نقوى ونثبت الفؤاد، هو بما جرى للأنبياء عليهم السلام ولأتباعهم المؤمنين، وما لقوا من مكذبيهم من الأذى، ففي هذا كله أسوه بهم؛ إذ المشاركة في الأمور الصعبة تهون ما يلق الإنسان من الأذى، ثم الإعلام بما جرى على مكذبيهم من العقوبات المستأصلة بأنواع من العذاب... فيه طمأنينه للنفس وتأنس بأن يصيب الله من كذب الرسول صلى الله عليه وآله بالعذاب كما جرى لمكذبي الرسل، والتثيت هنا شامل للدعاه كلهم وهو ميثوث في قصص الرسل كلهم، يوحى بذلك لفظ [كُلاً] على اعتبار أنه مفعول به أو بدل أو خبر أو نكره، فعلى أى وجه حمل أدّى من الشموليه ما ذكرنا. (١)

وكان تكرار القصه الواحده فى سور مختلفه بصور متنوعه تسليه لرسول الله صلى الله عليه وآله وللدعاه من بعده.

٣. العبره: وهى الدلاله التى يعبر عنها بالعلم، (٢) وهى المقصد الأسمى لقصص القرآن، وليس ينتفع به إلا أولو الألباب.

والعبره كى تتحقق على أتم وجوها تستلزم:

أ. الحذر من الوقوع فيما وقع فيه المكذبون.

ب. الانتفاع من دراسه الأحداث بوعى، وتلافى السليبات و الحرص على الإيجابيات.

ج. استنباط الحكم و الأساليب الوارده فى القصه و التفریع عليها وفق متطلبات العصر، وكل هذا يحتويه قصص القرآن: (و لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ). (٣)

٤. إقامة المجتمع المسلم، وهو كذلك من أهداف القرآن العظيم، وقد وردت عوامل بناء شخصيه الإنسان مفصله فى القرآن المجيد نظرياً، وفى قصصه تطبيقياً، قال تعالى: (... وَ تَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ) ، (٤) وأنها لأرقى العوامل التى عرفها الإنسان وأصدقها

ص: ١٩١

١- (١). الصحاح: ٢٧٤/٥.

٢- (٢). الصحاح: ٣٥٦/٥.

٣- (٣). القمر: ٤.

٤- (٤). يوسف: ١١١.

وأبقاها لقوله عز وجل: (هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)، (١) وقوله: (وَ جَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ). (٢)

ولقد كانت قصص القرآن من روافد تصحيح المفاهيم فى الإلوهيه، والنبوه، والبعث، وتكوين فكره صحيحه، وتصور مستقيم عن الحياه الدنيا والآخره.

وثمّيه أهداف أخرى سوى ما تقدّم كتعليم أدب الحوار، وأدب الدّعوه، وعرض وتحليل أمراض أولى الأهواء و النزعات المنحرفه، وأساليب تربيته الأمم و الأفراد و الدعاه....

وعلى العموم، فالقصة فى القرآن جاءت:

لأجل الموعظه والاعتبار، لا لبيان التاريخ، ولا للحمل على الاعتقاد بجزئيات الأخبار عن الغابرين، وإنّه ليحكى من عقائدهم الحقّ و الباطل، ومن تقاليدهم الصادق و الكاذب، ومن عاداتهم النافع و الضار، لأجل الموعظه والاعتبار، فحكايه القرآن لا تعدّوا موضع العبره، ولا تتجاوز مواطن الهدايه، ولا بدّ أن يأتى فى العبارة أو السياق وأسلوب النظم ما يدل على استحسان الحسن واستهجان القبيح. (٣)

إذاً: نجد أن القصة القرآنيه تكاد تستوعب فى مضمونها وهدفها وأسلوبها جميع الأغراض الرئيسيه التى جاء من أجلها القرآن الكريم.

ثالثاً: القصة القرآنيه ومناهج الدّعوه

تخاطب مناهج الدّعوه الإنسان بكيانه كله، عواطفه، وأحاسيسه، ومشاعره، وعقله، ومداركه، وفطرته....

وموقع القصة القرآنيه من هذه المناهج موقع هام ذو أثر كبير؛ ذلك لأنّه القصة تخاطب كيان الإنسان مخاطبه المناهج إياه.

ص: ١٩٢

١- (١). الأعراف: ٥٢.

٢- (٢). هود: ١٢٠.

٣- (٣). تفسير المنار: ٣٩٩/١؛ الدّعوه إلى الله: ١٥٨-١٦٠.

ثم إن كانت القصه الصق بالمنهج العاطفى حتى عُدت من روافده وأساليبه؛ فذاك لأنها تعتمد على أسلوب الحكايه التى تتضمن أشخاصاً وحواراً أو مشكله ثم حلاً فليس ثم ما هو على وتيره واحده، بل تجد الأسلوب الخبرى ينقلب فجأه إلى إنشائى و العكس، ويرد نهى واستفهام، ثم تمنى وترج فتعجب... وكل أولئك يجعل النفس تستشرف فتتهياً لمعرفة النتائج ومرتبات الأمور، ومن ثم تعى فتستبصر.

هذا من جانب الأسلوب وتلونه وتنوع العرض واختلاف المؤثرات.

والقصه إضافه إلى هذا تصوير لمجتمع ما بكل خصائصه ومكوناته وخلقاته وتصورات... وهى بعد ذلك مخاطبه لمجتمع آخر يحمل نفس الملامح و السمات و الطبائع، ويتجه نفس الاتجاهات (فالمماثله) و(التطابق) نقطه إلتقاء بين المجتمعين وان فصل بينهما بون تاريخى، ولذا قال تعالى: (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ)، (١) ومثلاً، أى: شهباً من حالهم بحالكم أيها المكذبون. (٢)

إذاً: فأسلوب القصه هو أسلوب الإبلاغ غير المباشر، أو قل مخاطبه مجموعه بهدف إسماع غيرها من باب إياك أعنى واسمعى يا جاره، فقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

<< نزل القرآن بأياك أعنى وأسمعى يا جاره». (٣)

وعليه، فمن الطبعى أن يؤثر أسلوب القصه تأثيراً كبيراً فى المجتمع، بحيث أن كثير من الناس قد يرسم طريقه على وفقها، بسبب ما تثيره فيه من وعى وإحساس

ص: ١٩٣

١- (١). النور: ٣٤.

٢- (٢). زاد المسير: ٣٩/٦؛ الدعوه إلى الله تعالى: ١٥٤.

٣- (٣). أصول الكافى: ٦٣١/٢.

خاص في معرفه الحقّ و الخير و أهله، و تشخيص الباطل و الشر و أهله، و هذا ما نصت عليه كثير من الآيات الشريفه، كقوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ) ، (١) و قوله تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ) ، (٢) و قوله تعالى: (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ) . (٣)

رابعاً: نموذج من القصص القرآني

قصه الملكه بلقيس:

و كانت في تاريخ القرآن ألوان من القصص المثيره المحرّكه لمشاعر الإيمان، و التي تعدّ من حوافز العقيدة، لصلتها المباشرة بالفيض الإلهي، و الإراده الربانيه، و أحداث قصه الملكه بلقيس مثل يحتذى من الدبلوماسية الرشيده، و أعمال الفكر و الأناه، و الظفر بتحقيق النتائج السلميه، و صون البشريه من إراقه الدماء، و حفظ الأنفس؛ لأن البعد عن الأهواء و الشهوات و عن الغطرسه يؤدّي إلى اتخاذ موقف الحكمه و السداد.

و قد قال تعالى واصفاً قصه بلقيس مع سليمان عليه السلام: (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَ أَتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَ أَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ وَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَ جَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَ إِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَ تُمَدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَ لَنَخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَ هُمْ صَاغِرُونَ) ، (٤) ارجع أيها المبعوث إليهم بهديتهم، فأننا سنأتيهم بجنود أشداء لا طاقة لهم بقتالهم، ولنخرجهم

ص: ١٩٤

١- (١). الكهف: ١٣.

٢- (٢). آل عمران: ٦٢.

٣- (٣). الأنعام: ٥٧.

٤- (٤). النمل: ٢٩-٣٧ وفي سورة النمل قصص خمسة من الأنبياء عليهم السلام تمثل ثلثي السورة تقريباً.

من بلدتهم أذله، وهم مهانون مدحورون أن لم يأتوا مسلمين منقادين لرب العالمين.

إسلام بلقيس وزيارتها لسليمان عليه السلام:

حينما ردّ سليمان عليه السلام هدّيه بلقيس، أدركت أنّه نبي مرسل من الله، وليس ملكاً طامعاً بالسلطة و النفوذ وجمع الأموال، فبادرت لإعلان إسلامها، وقبولها دعوه سليمان عليه السلام، فأقبلت إليه مع حرسها، معظّمه سليمان، متابعه له في الإسلام، فأعلن سليمان بهجته وسروره بقدم بلقيس وأشراف قومها، ثمّ بادر إلى الاستعانه بالجنّ لرفده بأخبارهم وأحوال وفدهم. وكان إحضار سريرها من اليمن إلى بلاد الشام معجزه نبويه باهره، تدل على صدق نبوه سليمان عليه السلام، وتأييد الله له، ممّا أدهش بلقيس وتأكّدت مصداقيه النبوه، وصحه الموقف الذي اتخذته، قال الله تعالى واصفاً هذا الحدث العظيم في تاريخ الدعوات إلى الله تعالى: (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُو أَ تَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَ هَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صِرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، (١) هكذا استغاثت أولاً بربها بالاعتراف بالظلم؛ إذ لم تعبد الله من بدء أو من حين رأت هذه الآيات، ثمّ شهدت بالإسلام لله مع سليمان.

ونلاحظ في قوله تعالى: (وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ) ، التفات بالنسبه إليه تعالى من الخطاب إلى الغيبه ووجه الانتقال من إجمال الإيمان بالله. إذ قالت:

ص: ١٩٥

(رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) ، إلى التوحيد الصريح فإنها تشهد أن إسلامها لله مع سليمان، فهو على نهج إسلام سليمان و هو التوحيد، ثم تؤكد التصريح بتوصيفه تعالى برب العالمين، فلا رب غيره تعالى لشيء من العالمين، و هو توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد العبادة الذي لا يقول به مشرك. (١)

والذي يلفت النظر في هذه القصّة وغيرها من القصص القرآني أنها احتوت على كثير من الدروس، والمفاهيم، والعلوم، والعبر، وهي أعمق تأثيراً وأدعى للإستجابة و الإذعان، فهي بذلك أحسن القصص قال تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ...) ، (٢) ولذلك حدثت محاولات كثيرة للقضاء على القصص القرآني، وإبعاد الناس عن الاستماع إليه، ومن تلك المحاولات....

خامساً: الاستهزاء بالقصص القرآني

كان البعض يحاول حرف الناس عن القصص القرآني، باتباع أسلوب الاستهزاء بالقصص القرآني، فنزل قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ، (٣) وقال بعض المفسرين:

أن الآيه نزلت في النظر بن الحارث، فقد كان تاجر يسافر إلى إيران، وكان يحدث قريش بقصص الإيرانيين وأحاديثهم، وكان يقول: إذا كان محمد يحدثكم بقصص عاد و ثمود فإنني أحدثكم بقصص رستم، وأسفنديار، وأخبار كسرى، وسلاطين العجم، فكانوا يجتمعون حوله و يتركون استماع القرآن، ف (لَهْوَ الْحَدِيثِ) قد يكون المراد منه القصص الخرافية و الأساطير التي تؤدى إلى انحراف الناس عن الصراط المستقيم. (٤)

ص: ١٩٦

١- (١). الميزان في تفسير القرآن: ٣٦٧/١٥؛ التفسير الوسيط: ١٨٧٣/٢-١٨٧٦.

٢- (٢). يوسف: ٣.

٣- (٣). لقمان: ٦.

٤- (٤). تفسير الأمثل: ١٣/١٣.

بهذا الأسلوب كان يستهزئ بقصص القرآن ولكن سرعان ما تبددت جهودهم وخاب سعيهم وكانت العاقبه للمتقين.

وفى نهايه المطاف لا بدّ من قول أن الذى يُعْتَبَرُ فى القصص هم أصحاب العقول و البصائر، وفى هذا قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ). (١)

فهى مرآه يستطيعون من خلالها أن يروا عوامل النصر و الهزيمه، الهناء و الحرمان، السعاده و الشقاء، العز و الذله، والخلاصه كل ما له قيمه فى حياه الإنسان، وما ليس له قيمه.

وهى مرآه لكل تجارب المجتمعات السابقه و الرجال العظام، ومرآه نشاهد فيها ذلك العمر القصير للإنسان كيف يطول بمقدار عمر كل البشر، ولكن أولى الألباب وذوى البصائر فقط باستطاعتهم أن يشاهدوا العبر فى صفحه المرآه العجيبه هذه. (٢)

ب) التاريخ

اشاره

فى كثير من الأحيان يستخدم الأنبياء عليهم السلام أسلوب التذكير و الدعوه إلى النظر فى التاريخ، وضروره التسليح بمنظار تاريخى، يكشف القوانين الاجتماعيه التى وضعها الله للحياه، ومنها أن الحقّ ينتصر، وأن رسالات الله ما هى إلا توضيحات لتلك السنن، فيدعوهم للإيمان على هذا الأساس وبهذا الأسلوب ليفكروا ويتأملوا ويقتنعوا، فيهدى بها المتقون، ويتخذون منها، عبراً نافعه لأنفسهم.

ولذلك يذكرنا القرآن الكريم بهذه الحقائق على هذا الأسلوب فيقول تعالى: (فَدَخَلْتُ مِنْ قَيْلِكُمْ سُنَّةً فَيَسِّرُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ * هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ). (٣)

ص: ١٩٧

١- (١). يوسف: ١١١.

٢- (٢). تفسير الأمثل: ٣٢٠/٧.

٣- (٣). آل عمران: ١٣٧ و ١٣٨.

السُّنَنُ جمع: سنّه، وهى: الطريقه المجعوله ليقتدى بها، ومن ذلك سنّه رسول الله صلّى الله عليه و آله قال سليمان بن قبه:

أن الأولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسئوا للكرام التأسيا

وأصل السنه: الاستمرار فى جهه، يقال: سنّ الماء إذا صبّه. والسنان لاستمرار الطعن به، والسنن استمرار الطريقه و العاقبه). (١)

النظر فى تاريخ الماضين وآثارهم

يعتبر القرآن الكريم ربط الماضى بالحاضر، والحاضر بالماضى أمر ضرورى لفهم الحقائق؛ لأن الارتباط بين هذين الزمانين - الماضى و الحاضر - يكشف عن مسؤوليه الأجيال القادمه، ويوقفها على واجبها، ولهذا قال سبحانه: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)؛ وذلك لأنّ للتاريخ أهميه حيويه عند كل أمه من الأمم؛ لأن التاريخ يعكس الخصوصيات الأخلاقية و الأعمال الصالحه و غير الصالحه، والأفكار التى كانت سائده فى الأجيال السابقه، كما يكشف عن علل سقوط المجتمعات أو سعادتها، ونجاحها و فشلها فى العصور الغابره المختلفه.

ومجمل القول: أن التاريخ مرآه الحياه الروحيه و المعنويه للمجتمعات البشريه، و هو لذلك خير مرشد محذر للأجيال القادمه.

ولهذا نجد القرآن الكريم يدعو المسلمين إلى السير فى الأرض، والنظر بإمعان وتدبر فى آثار الأمم و الشعوب التى سادت ثم بادت؛ إذ يقول: (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ)، إن آثار الماضى خير عبره للقادمين، وبالنظر فيها والاعتبار بها يمكن للناس أن يعرفوا المسير الصحيح للسلوك و الحياه.

إن الآثار المتبقية فى مختلف بلدان العالم من الأمم و العهود السابقه ما هى - فى الحقيقه - إلّا وثائق التاريخ الحيه و الناطقه، بل هى قادره على أن تُعطينا

ص: ١٩٨

من الحقائق و الأسرار أكثر ممّا يعطينا التاريخ المدوّن.

أجل، إنّ خرائب قصور الطغاه وبقايا آثار عظيمه مثل الأهرام، و برج بابل، و قصور كسرى، و آثار الحضاره المندثره لقوم سبأ، و مئآت من نظائرها الأخرى من هذه الآثار المنتشره فى شتى أنحاء هذا الكوكب تنطوى -رغم صمتها- على ألف حديث و حديث، و ألف كلمه و كلمه.

ولقد لخصّ أحد الأدباء هذه الحقيقه فى بيت شعري؛ إذ قال:

إنّ آثارنا تدلّ علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

إنّ مطالعه سطر واحد من هذه التواريخ الحيه الناطقه تعادل -فى الحقيقه- مطالعه كتاب ضخّم فى مجال التاريخ، و أنّ ما تبعثه تلك المطالعه فى النفس و الروح البشرى لا -يقاس به شىء مهمما عظم أمره؛ ذلك لأننا عندما نقف أمام آثار الماضين تتمثل أمامنا تلك الآثار، و كأنّها قد استعادت حياتها، و دبّ فيها الروح، و كأنّ العظام النخره قد خرجت من تحت الأرض حيه، و كأنّ كلّ شىء قد عاد إلى سيرته الأولى، و كأنّ جميع الأشياء تنطق و تتحدّث، ثمّ إذا أعدنا النظر وجدناها صامته ميتة منسيه، و هذه المقايسه بين هاتين الحالتين ترينا غباء أولئك المستبدون الذين يرتكبون آلاف الجرائم، و أفطع الجنائيات للوصول إلى الشهوات العابره، و اللذائذ الخاطفه.

ولهذا يحثّ القرآن المسلمين على السير فى الأرض، و النظر إلى آثار الماضين المدفونه تحت التراب أو الباقيه تحت الأرض بأمّ أعينهم، و أن يتخذوا من كلّ ذلك العظه و العبره و ما أكثر العبر.

و هذا هو ما يسميه القرآن الكريم بالسير فى الأرض، و الذى تأمر به الآيات العديده و من ذلك قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) ، (1) و قوله

ص: ١٩٩

١- (١). النمل: ٦٩.

تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) ، (١) وقوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) ، (٢) وغيرها من الآيات الشريفة.

إنّ هذه الآية تقول بأنّ السير في الأرض و النظر في آثار الماضين يفتح العقول و العيون، وينير القلوب و الأفئدة، ويخلص الإنسان من الجمود و الركود.

و قد أشار الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذه الحقيقة في كلمات وخطب عديدة منها قوله عليه السلام:

فاعتبروا بما أصاب الأمم المستكبرين من قبلكم من بأس الله و صولاته، ووقائعه و مثلاته، و اتعضوا بمثاوى خدودهم، و مصارع جنوبهم و استعيذوا بالله من لواقع الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر....

واحدروا! منازل بالأمم قبلكم من المثلات بسوء الأفعال، و ذميم الأعمال، فتذكروا في الخير و الشر أحوالهم، و احذروا! أن تكونوا أمثالهم فإذا تفكرتم في تفاوت حالهم فألزموا كل أمر لزمته الغرّه به شأنهم و زاحت الأعداء لهم عنهم، و مدت العافية به عليهم، و انقادت النعمة له معهم، و وصلت الكرامة عليه جبلهم من الأجتنب للفرقة و اللزوم للمآلفة و التحاض عليها، و التواصي بها، و اجتنبوا كل أمر كسر فقرتهم و أوهن منتهم، من تضاعن القلوب، و تشاحن الصدور و تدابر النفوس، و تخاذل الأيدي.... (٣)

و من كلّ هذا نعرف أن القرآن الكريم يضع التاريخ في موضعه التربوي الذي يستطيع الإنسان من خلاله أن يعرف الأسس التي كانت تركز عليها حركته، و القوانين الطبيعية التي تحكم أحداثه و ظواهره في المحاولات الاجتماعية و السياسيّة و الحربيّة.... و بذلك لا يعود التاريخ قصّة للمتعة و اللهو و قتل أوقات الفراغ؛ لأنّ الله جعل حركته مظهرًا لفكره في مفرداته و أسلوبه و حركته في الواقع.

ص: ٢٠٠

١- (١). الحج: ٤٦.

٢- (٢). العنكبوت: ٢٠.

٣- (٣). نهج البلاغة: خطبه: ١٩٢؛ تفسير الأمثل: ٧٠٣/٢-٧٠٦.

إشارة

إنَّ أسلوب ضرب المثل و التشبيه من أهم الأساليب التي يتمكن المبلِّغ من خلالها أن يقرب الموضوع إلى ذهن المستمع ويصوِّر له هدفه، فضرب المثل أسلوباً حياً من أساليب تمثّل الفكره بطريقه حيه موحيه؛ لأنَّ الناس يتمثلون المحسوسات أكثر مما يتمثلون المعقولات، الأمر الذي يجعل تشبيه مدلول المعقول بالمحسوس سبيلاً لتقديم المعقول إلى الذهن. و هذا ما درج القرآن على استعماله في تقديم أكثر من فكره في أكثر من موقع، بأوضح الأساليب وأقربها إلى الوعي، بهدف إيصالها:

فما أكثر المواضيع و المفاهيم المشكله و المعقده التي لا يمكن حلها كما هو مطلوب بطول الكلام، والشرح و التوضيح، إلا أنها تتضح للمستمع تماماً حتّى لا يبقى فيها مجال للغموض و الإبهام بمثال واحد فقط. (١)

وضرب المثل:

هو من ضرب الدارهم، و هو ذكر شيء أثره يظهر في غيره، قال تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) ، (وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا) ، (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ) ، (٢) والتمثيل أكثر من التشبيه؛ لأن كل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيل. (٣)

(أ) الهدف من ضرب الأمثال و التشبيهات

يهدف المثل القرآني إلى إيصال الإنسان إلى ساحه الخير من خلال ربطه بصور الخير، وسوق خياله إلى صور الخير فيستمرّ تحريكها مع واقعه الحى، و هو ما نجده في الآيات الشريفه، قال تعالى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (٤)

ص: ٢٠١

١- (١). البيان و فن الخطابه: ٢١٤.

٢- (٢). مفردات غريب القرآن: ٢٩٥.

٣- (٣). المصدر: ٤٤٥.

٤- (٤). العنكبوت: ٤٣.

أى: هذا المثل ونظائره نجىء به لتقريب ما هو بعيد عن الإفهام، ولمعرفه قبح ما هم عليه من الأوثان، وحسن معرفه الله وتوحيدده: (وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)، المتدبرون فى حقائق الأشياء على ما ينبغى، فإن الأمثال و التشبيهات دلائل و طرق إلى المعانى المحتجبه لإيرازها و كشف أسرارها حيث أنها بغير الأمثال لا تبرز ولا تظهر ولا تتصور من غير العالم و الجهله لا يصلون إلى فهمها. (١)

وجاء فى التفسير:

إن الأمثال و التشبيهات، وبخاصه تشبيه المعقول بالمحسوس، فيها ذكرى و عظه و عبره، وإفهام وإيقاظ للمشاعر و الضمائر، و لفت الأنظار، و شد الانتباه إليه. (٢)

إذاً: أسلوب ضرب المثل من الأساليب العامه التى يتداولها المبلّغون فى الإقناع، والهدايه، والإرشاد، والتوجيه للناس.

(ب) أهميه المثل فى التبليغ و بيان الحقائق

لمعرفه أهميه أسلوب التمثيل فى التبليغ لا بدّ من التعرف عليه عند العقلاء، يقول الرازى:

أعلم أنّ ضرب الأمثال من الأمور المستحسنه فى العقول و يدل عليه وجوه:

أحدها: إطباق العرب و العجم على ذلك أما العرب فذلك مشهور عندهم و قد تمثلوا بأحقر الأشياء [فقالوا] فى التمثيل فى الذباب: أجزأ من الذباب و...، و أما العجم فيدل عليه كتاب كليله و دمنه، و أمثاله.

وثانيها: أن ضرب الأمثال فى أنجيل عيسى عليه السلام بالأشياء المستحقره، قال: لا تثيروا الزنابير فتلدغكم ولا تخاطبوا السفهاء فيشتموكم، فظهر أن الله تعالى ضرب الأمثال بهذه الأشياء الحقيره؛ و أما العقل، فلأن من طبع الخيال المحاكاه و التشبه فإذا ذكر المعنى وحده أدركه العقل ولكن مع منازعه الخيال، و إذا ذكر معه الشبه أدركه العقل مع معاونه الخيال، ولا شك أن الثانى يكون أكمل و أيضاً فنحن نرى الإنسان يذكر معنى ولا يلوح له كما ينبغى فإذا ذكر المثل اتضح

ص: ٢٠٢

١- (١). الجديد فى تفسير القرآن: ٣٣٢/٥.

٢- (٢). المنير: ٢٤٧/١٣.

وصار مبيناً مكشوفاً، وإن كان التمثيل يفيد زياده البيان و الوضوح، ووجب ذكره في الكتاب الذي لا يراد منه إلا الإيضاح و البيان. [\(١\)](#)

وجاء في التفسير:

إنّ الأمثله المناسبه لها دور حساس: وعظيم في التوضيح والافتتاح و الإفهام. المثل المناسب قد يقرب طريق الفهم إلى الأذهان بحيث نستعيز به عن الاقتحام في الاستدلالات الفلسفيه المعقده، وأهم من ذلك، نحن لا نستطيع أن نستغنى عن الأمثله المناسبه في تعميم ونشر الموضوعات العلميه الصعبه بين عامه الناس، ولا- يمكننا أن ننكر دور المثل في إسكات الأفراد المعاندين اللجوجين المتعنتين.

على كلّ حال، تشبيه المعقول ب- المحسوس أحد الطرق المؤثره في تفهيم المسائل العقليه، على أن يكون المثل مناسباً، وإلا، فهو مضلّ وخطر. [\(٢\)](#)

قد أشكل على ضرب الأمثال في القرآن الكريم بالأمر البسيطه:

قال الكافرون كيف يضرب خالق الأرض و السموات الأمثال بالهوام و الحشرات، كالبعوض و الذباب و العنكبوت؟ [\(٣\)](#)

والرد يأتي من نفس القرآن الكريم، بقوله تعالى: (وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ). [\(٤\)](#)

فأهميه المثل و ظرافته لا تكمن في كبره و صغره، بل تظهر أهميته في انطباق المثل على المقصود، فقد يكون صغر الشيء الممثل به أكبر نقطه في قوته. [\(٥\)](#)

فليس الكبير أولى بأن يضرب مثلاً كالقيل و البعير، إذا كان الأليق بحال الممثل له تمثيله بالحقير كالذباب و العنكبوت.

فإذا كان المراد تقييح عباده الكفره للأصنام وعدولهم عن عباده الرحمن

ص: ٢٠٣

١- (١). التفسير الكبير: ٣٦٢/١ و ٣٦٣.

٢- (٢). تفسير الأمثل: ١٣٧/١.

٣- (٣). التفسير الكبير: ٥٨/٩.

٤- (٤). العنكبوت: ٤٣.

٥- (٥). تفسير الأمثل: ٣٩٧/١٢.

صلح أن يضرب المثل بالذباب في عدم اقتدارهم على دفع المضرة عنهم، وفي بيت العنكبوت في وهن عقائدهم الباطله، وضعف أصولهم الفاسده وفي هذا المقام كلما كان المضروب به المثل أضعف كان المثل أقوى وأحكم. (١)

ولكن تلك الأمثال التي ضربها الحق تعالى للناس تحتاج إلى فكر يتعرف طبيعتها، وإلى عقل يكتشف آفاقها، لتتسع الفكره في وعى الإنسان، ليرتفع إلى مواطن السمو في رحاب العقيدة الصافيه، (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) ،الذين يتعدون عن الفهم السطحي الساذج للقضايا، وينفذون إلى عمقها، فيفهمون منها مالا يفهمه العامه من الناس،الذين يأخذون منها شيئاً يأخذ أهل العلم منها أشياء كثيرة.

و هذه حقيقه بلاغيه من أساليب التعبير الفنى فى اللغة العربيه، فإن كل شخص يأخذ المعنى من الخصائص التى تتصل بدائره ثقافته:

فالأمثال المضروبه فى القرآن الكريم عامه تفرع أسماع عامه الناس، لكن الإشراف على حقيقه معانيها ولب مقاصدها خاصه لأهل العلم ممن يعقل حقائق الأمور ولا يتجمد على ظواهرها و الدليل على هذا المعنى قوله تعالى: (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) دون أن يقول: وما يؤمن بها أو ما فى معناه. (٢)

ج) من أمثال القرآن

اعتمد القرآن الكريم فى كثير من الحالات-لتقريب الحقائق إلى الأذهان وخصوصاً المعنويه-على أسلوب التمثيل و التشبيه، وذلك التمثيل و التشبيه المقصود بشىء محسوس ومقبول لدى المستمعين، فمثلاً- حينما أراد تعالى أن يبين حاله أفول الإنسان وسيره نحو الموت مثل له وشبهه بحياه النبات، فقال تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ

ص: ٢٠٤

١- (١). تفسير ملاً صدرا: ١٩٥/٢.

٢- (٢). الميزان فى تفسير القرآن: ١٣٢/١٦.

اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) ، (١) فهذا المثل القرآنى:

«ضرب لتمثيل الحياه الدنيا بما يقارنها من الزينه السريعه الزوال».

والهشيم فعيل بمعنى مفعول من الهشم، وهو على ما قال الراغب كسر الشىء الرخوه كالنبات، وذرا يذرو ذرواً أى فرق، وقيل: أى جاء به وذهب.

والمعنى: واضرب لهؤلاء المتولّيين بزينه الدنيا المعرضين عن ذكر ربهم مثل الحياه الدنيا كماء أنزلناه من السماء وهو المطر فاختلط به نبات الأرض فرف نضاره وبهجه، وظهر بأجمل حليه، فصار بعد ذلك هشيماً مكسراً متقطعاً تعبث به الرياح تفرقه وتجى به وتذهب وكان الله على كل شىء مقتدراً. (٢)

نعم فهكذا يصور القرآن حياه الإنسان ويشبهها بحياه النبات؛ فإن دوره حياه النبات وموته تتكرّر أمام أعيننا فى كل سنه مرّه، فإذا كان عمر الإنسان (٦٠) سنه، فإن هذا المشهد يتكرّر (٦٠) مره.

فلو ذهبنا فى الربيع إلى البساتين و المزارع نشاهد تلك المناظر الجميله التى يدل كل ما فيها على الحياه، ولكن لو ذهبنا فى الخريف إلى نفس تلك الأماكن فسوف نرى الموت قد نشب أظفاره فى كل مكان، وهكذا مثل حياه الإنسان، كما مثلها وشبهها القرآن الكريم من أجل توضيح الصوره، وتحويلها فى وعى الإنسان إلى حاله حسيه وجدانيه، وذلك خلال تحريك تفاصيل الفكره مع حركه تفاصيل الصوره فى الواقع الخارجى.

وهكذا لما أراد المولى سبحانه وتعالى أن يشجّع الناس ويحفزهم على الإنفاق فى سبيل الله، وأراد أن يبين لهم ما فى هذا الأنفاق من بركه ونماء، وشبه لهم ذلك بحبه الحنطه التى يزرعها الفلاح فتنبت سبع سنابل، وكلّ سنبله تحوى على مائه حبه أو أكثر، أى: أن الحبه الواحده تضاعفت إلى (٧٠٠) حبه، قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِي يَنْفُقُونَ

ص: ٢٠٥

١- (١). الكهف: ٤٥.

٢- (٢). الميزان فى تفسير القرآن: ٣١٨/١٣.

أَمْوَالُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا تَلَّ اللَّهُ حَبَّهٖ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُئُلِهِ مِائَةٌ حَبَّهٖ وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . (١)

وكذلك نبينا الأكرم صَلَّى الله عليه و آله حينما أراد أن يبين للناس موقع أهل بيته عليهم السلام من الدين، والهداياه إلى الحقّ شبههم بسفينه نوح عليه السلام التي انحصرت النجاه فيها يؤمئذ، فقال صَلَّى الله عليه و آله:

<< مثل أهل بيتي مثل سفينه نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. >> (٢)

وهكذا في الحديث المروى عن ابن مسعود قال:

خط النبي صَلَّى الله عليه و آله خطأً مربعاً، وخط خطأً في الوسط خارجاً منه، وخط خطأً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال صَلَّى الله عليه و آله: << هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به- أو قد أحاط به- وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض فأن أخطأه هذا نهشه هذا وأن أخطأه هذا نهشه هذا. >> (٣)

وكذلك قوله صَلَّى الله عليه و آله في مجال التريه:

<< مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى. >>

(٤)

فيكشف هذا التمثيل عن أسمى درجات الارتباط و التعاضد في المجتمع الإسلامي.

٨. أسلوب المقارنه و المقايسه

إشاره

أسلوب المقارنه و المقايسه من أهم الأساليب التوضيحيه الأقتناعيه، التي تكشف عن الحقيقه و تبين القيم، ولذلك ينبغي للمبلِّغ أن يتسلح به، فإذا أراد أن يذكر شيء أو شخص أو حاله معينه-ينبغي- أن يذكر (ضدّه) حتى يتبين الحسن من القبيح، والخير من الشر، والحق من الباطل....

ص: ٢٠٦

١- (١). البقره: ٢٦١.

٢- (٢). الحدائق الناظره: ٣٦٠/٩.

٣- (٣). صحيح البخارى: ١٧١/٧.

٤- (٤). صحيح مسلم: ٢٠/٨.

فالمقارنه هى اجتماع شيئين فى معنى معين وتمييز الفرق بينهما، قال الراغب:

قرن: الاقتران كالازدواج فى كونه اجتماع شيئين أو أشياء فى معنى من المعانى، قال تعالى: (أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ) ،
(١)يقال قرنت البعير بالبعير جمعت بينهما. (٢)

أو كما جاء فى تاج العروس:

قارن الشيء مقارنه وقرآنًا:أقترن به وصاحبه،وقارنته قرآنًا صاحبه. (٣)

فالمقارنه إذاً هى:أجراء موازنه بين شيئين أو شخصين أو أشياء أو أشخاص.

كما جاء فى المعجم الوسيط:

قارن الشيء بالشيء:وازن به،وقارن بين الشيئين أو الأشياء وازن بينها ويقال الأدب المقارن أو التشريع المقارن وهى محدثه. (٤)

وفى عصرنا الحاضر أصبح أسلوب المقارنه من الأساليب المتبعه لمعرفة الأفضل من الأشياء و الأشخاص و الفنون و العلوم.

فالأشياء تعرف بنظائرها،وتتميز بأضدادها،قال أمير المؤمنين عليه السلام:

<<وأعلموا أنكم لن تعرفوا الرشده حتى تعرفوا الذى تركه،ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه،ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه». (٥)

فيمكن من خلال استخدام أسلوب المقارنه فى جميع القضايا الدينيه والاجتماعيه،والاقتصاديه،والثقافيه،وغيرها-فمثلاً عندما يذكر العدل وحسنه يذكر مقابله الجور وقبحه،وعندما يذكر فوائد ومحاسن الصدق و الأمانه و الوفاء يذكر مقابله أضرار ومساوئ الكذب و الخيانه و الغدر،وعندما يريد أن يدافع عن أحد ويحمده يذكر

ص:٢٠٧

١- (١). الزخرف:٥٣.

٢- (٢). مفردات الراغب القرآن:٤٠١.

٣- (٣). تاج العروس:١٨/٤٥٠.

٤- (٤). المعجم الوسيط:٧٣٠.

٥- (٥). نهج البلاغه،خطبه ١٤٧.

محاسنه، ثم يذكر مقابله مساوئ أعدائه، وإذا أراد أن يرغب في العمل الصالح فمن المستحسن أن يذكر نتيجة ذلك العمل وعاقبته، ثم يذكر ما يقابله، وقد استعمل القرآن الكريم هذا الأسلوب مراراً وتكراراً في آيات عديده.

منها قوله تعالى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَّ لَهُ لِلْعُسْرَى) . (١)

وقوله تعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، (٢) وكذلك قوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) (٣) وقوله تعالى: (أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) . (٤)

المقارنه الواعيه بين الماضى والحاضر

يأمكن المبلِّغ أن يوصل رسالته و الفكره التي يحملها من خلال المقارنه بين الماضى و الحاضر، كأن يقارن-مثلاً-بين حاله الناس قبل ظهور الإسلام وبعده، فيقارن بين الحياه التي كانوا يحيونها، حيث كانت علاقاتهم خاضعه للعوامل الذاتيه المنطلقه من المصالح و الأنانيات و النوازع الشريره، التي تؤدى بالإنسان إلى أن يعيش روح العداوه و البغضاء تجاه إخوانه إذا اصطدمت مصالحه بمصالحهم، أو مشاعره بمشاعرهم، فيتحرّك نحو التقاتل و التباغض، و...وبين الحياه التي يعيشونها بعد الإسلام، حيث بدئوا يشعرون بالرابطه الوثيقه التي تحكم علاقاتهم الروحيه والاجتماعيه من خلال العقيدته الواحده و المصالح المشتركه، والهدف الواحد، والمسيره الواحده، وهذا ما بينه القرآن الكريم بقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ

ص: ٢٠٨

١- (١). الليل: ٥-١٠.

٢- (٢). الزلزله: ٧ و ٨.

٣- (٣). الرعد: ١٦.

٤- (٤). يوسف: ٣٩.

عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ). (١)

قال المفسرون: (فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ):

أى فى عصر جاهليتكم حيث كان الغزو و القتل و السلب و النزاع الدائم فجمع قلوبكم على ما أنعم به عليكم من الإسلام وعلى نبي الرحمة و المحبه محمد صلى الله عليه و آله: (فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)؛ إذ جمع الله بينكم بالأخوه فيه، (وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا) (٢) فى جاهليتكم التى كانت تؤدى بكم إلى النار لولا تخليص الله لكم منها بأن من عليكم بدينه و نبيه و كتابه: (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)، (٣) أى: مثل [هذه المقارنه و المقايسه و] هذا البيان الذى تلاه عليكم فهو يظهر لكم الدلائل و الحجج الساطعه حتى تهتدوا إلى طريق الحق و الثواب. (٤)

وقال الشيخ الطوسى:

معناه ما كان بين الأوس و الخزرج من الحروب التى تطاولت مائه و عشرين سنه إلى أن ألفت بين قلوبهم بالإسلام، وزالت الأحقاد. (٥)

إذاً فالآيه الكريمة تدعوا الواعين من الأئمه إلى الدخول فى عمله مقارنه واعيه بين علاقات الماضى و الحاضر، ليعرفوا النتائج الإيجابيه و السلبيه، فيعمقوا الإيجابيات التى تفرضها العلاقات الجديده، ويخففوا السلبيات المتحركه فى حياتهم من خلال علاقات الماضى.... هذا ما أراه الله تعالى للأئمه أن تعيه جيداً لتفهم أن الحاله الماضيه كانت تضع المجتمع على حافه الهاويه التى تشتعل وتتأجج بالنار التى

ص: ٢٠٩

١- (١). آل عمران: ١٠٣.

٢- (٢). آل عمران: ١٠٣.

٣- (٣). آل عمران: ١٠٣.

٤- (٤). إرشاد الأذهان فى تفسير القرآن: ٦٨/١.

٥- (٥). التبيان فى تفسير القرآن: ٥٤٦/٢.

تحرقتهم في الدنيا والآخرة، وأن المسيره الجديده في خطه العقيدته الجديده تعتبر عمليه إنقاذ من ذلك كله، ليعيش الناس روحيه الأخوه في علاقاتهم، والسعاده في مصيرهم وآخرتهم.

وجاء في معنى قوله تعالى: (وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ لَمَّا جَزُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (١)

إن القرآن الكريم يستخدم أسلوب المقايسه و المقارنه كأهم أسلوب للتربيه و التوجيه، فما يريد الله أن يعرضه للناس يطرح معه ما يقابله لتشخص الفروق ويستوعب الناس معناه بشكل أكثر وضوحاً.

فنى في الآيات السابقه الحديث عن المشركين ومنكرى يوم القيامه فى قوله تعالى: (وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمِينِ يَمُوتُ بَلَى وَ وَعِيداً عَلَيْهِ حَقًّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)، (٢) وينقل الحديث فى الآيات مورد البحث إلى المهاجرين المخلصين، ليقارن بين المجموعتين ويبين طبيعتهما.

فيقول تعالى: (وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ لَمَّا جَزُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ). (٣)

وكذلك فى قوله تعالى: (إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشَّرَهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ). (٤)

كان الحديث فى الآيات السابقه عن مجموعه لا تملك أى استعداد لتقبل الإنذارات الإلهيه ويتساوى عندهم الإنذار وعدمه، أما هذه الآيات فتحدث عن فئه أخرى هى على النقيض من تلك الفئه، وذلك لكى يتضح المطلب بالمقارنه بين الفئتين كما هو أسلوب القرآن. (٥)

ص: ٢١٠

١- (١). النحل: ٤١.

٢- (٢). النحل: ٣٨.

٣- (٣). تفسير الأمل: ١٩٣/٨.

٤- (٤). يس: ١١.

٥- (٥). تفسير الأمل: ١٤٠/١٤.

وفى قوله تعالى: (هذا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتٍ عِدْنٍ مُمْتَحَنَةٍ لَهُمْ فِيهَا الْأَنْبُاطُ * مُتَّكِنِينَ فِيهَا يُدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ الْأَثْرَابُ * هذا ما تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ): (١)

آيات هذه السوره انتقلت بنا إلى شكل آخر من الحديث؛ إذ أخذت تقارن بين المتقين و العصاه المتجبرين، وتشرح مصير كل منها يوم القيامة.... (٢)

ثم يقول تعالى: (هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصِيلُونَهَا فَيَنْسِفُهَا إِلَى الْيَمِّ وَمَا يَصِلُونَ إِلَّا فِي لَهْدٍ عَالٍ * هذا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ * وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ * هذا فَوْجٌ مُفْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَمَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَيَنْسِفُوا الْآيَاتِ * قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ذَلِيلًا فِي النَّارِ). (٣)

الآيات السابقة استعرضت النعم السبعة وغيرها من النعم التي يغدقها البارئ عز وجل على عباده المتقين؛ أما آيات بحثنا فإنها تستخدم أسلوب المقارنه الذي كثيراً ما استخدمه القرآن الكريم، لتوضح المصير المشؤم والعقوبات المختلفه التي ستنال الطغاه والعاصين، وفي هذا قال تعالى: (هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * فالمتقون لهم (حُسْنُ مَآبٍ) ولهؤلاء العاصين الطغاه (لَشَرَّ مَآبٍ) . (٤)

وهكذا فى قوله تعالى: (وَ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ * أَلَمْ نَحَقِّقْ عَلَيْهِ كَلِمَةَ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّفَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ). (٥)

استخدم القرآن الكريم مره أخرى أسلوب المقارنه فى هذه الآيات، إذ قارن بين

ص: ٢١١

١- (١). ص: ٤٩-٥٤.

٢- (٢). تفسير الأمل: ١٤/٥٣٥.

٣- (٣). ص: ٥٥-٦١.

٤- (٤). تفسير الأمل: ٤/٥٤٣.

٥- (٥). الزمر: ١٧-٢٠.

عباد الله الحقيقيين و المشركين المعاندين الذين لا مصير لهم سوى نار جهنم. (١)

فالهدف هو إثارة هذا النموذج- أصحاب النار- في مقابل النموذج الآخر، وهو-عباد الله-الآمن الذي استطاع بتقواه أن يدفع عن نفسه العذاب بعمله المتحرك في خط إيمانه، ليعيش الإنسان-دائماً-في هاجس المقارنه بين هؤلاء وهؤلاء، كعنصر أساس من عناصر التصور الواعي للمستقبل الذي يحدد للإنسان موقفه في الحاضر.

٩. أسلوب التركيز على المسلمّات و المشتركات

إشاره

في الحقيقة أسلوب التركيز على الحقائق المسلمه و النقاط المشتركه هو من الأساليب المستمدّه من المنهج العام للأسلوب الإسلامى الذى يؤكّد على نقاط اللقاء فى رحله الوصول إلى الحقيقة، ولا يؤكّد على نقاط الخلاف إلّا فى نهايه المطاف.

وعليه، فلا بدّ للمبلّغين و الدعاة إلى الله فى حركتهم نحو الهدف الكبير، أن يتلمسوا المجالات المتفقّه و المشتركه فى العقيدته و الأسلوب و الحياه التى تربط المسلم بالآخرين و تربطهم به، لتقريبهم إليه، ولتوحى لهم بأن هناك مرحله من الطريق يمكن أن تمثل وحده السبل، و ذلك كفيل بإلغاء الكثير من التعقيدات، و تجميد الكثير من الحساسيات، و تقريب الكثير من الأفكار....

فيمكن للمبلّغ أن يتحرك بهذا الأسلوب و يمارسه مع اختلاف الأديان الموجوده فى الساحة الدينيه، و اختلاف المذاهب التى تعيش فى الساحة الإسلاميه، و اختلاف المبادئ و الأفكار السياسيه و الاجتماعيه و الفلسفيه فى الساحة الفكرية العامه، ليصل إلى النتائج الحاسمه بأفضل طريق و أروع أسلوب....

و قد أمر القرآن الكريم بذلك من خلال قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ

ص: ٢١٢

دُونَ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) ، (١) يقول الفخر الرازى إن:

القرآن الكريم عدل فى هذا المقام إلى الكلام المبني على رعايه الإنصاف، وترك المجادله، وطلب الإفحام و الإلزام، ومما يدل عليه، أنه خاطبهم هاهنا بقوله تعالى: (يا أَهْلَ الْكِتَابِ) وهذا الاسم من أحسن الأسماء وأكمل الألقاب، حيث جعلهم أهلاً لكتاب الله، ونظيره، ما يقال لحافظ القرآن يا حامل كتاب الله، وللمفسر يا مفسر كلام الله، فأن هذا اللقب يدل على أن قائله أراد المبالغه فى تعظيم المخاطب وفى تطيب قلبه؛ وذلك إنما يقال عند نزول الإنسان مع خصمه عن طريقه اللجاجة إلى طريقه طلب الأنصاف.

أما قوله تعالى: (إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنِنَا) فالمعنى: هلموا إلى كلمه فيها إنصاف من بعضنا البعض، لا- ميل فيه لأحد على صاحبه، والسواء هو العدل و الإنصاف؛ وذلك لأن حقيقه الإنصاف، إعطاء النصف، فأن الواجب فى العقول ترك الظلم على النفس وعلى الغير، وذلك لا- يحصل إلما بإعطاء النصف، فإذا أنصف وترك ظلمه أعطاه النصف فقد سوى بين نفسه وبين غيره وحصل الاعتدال، وإذا ظلم وأخذ أكثر مما أعطى زال الاعتدال فلما كان من لوازم العدل و الأنصاف التسويه جعل لفظ التسويه عباره عن العدل.

ثم قال الزجاج: (سواءٍ) نعت للكلمه يريد: ذات سواء، فعلى هذا قوله (كَلِمَةٍ سَوَاءٍ) ، أى: كلمه عادله مستقيمه مستويه، فإذا آمننا بها نحن وأنتم كنا على السواء والاستقامه. (٢)

فالمبلغ هنا يتجه:

إلى النقاط المشتركه بين الإسلام وأهل الكتاب، وبهذا يعلمنا القرآن درساً، مفاده: أنكم إذا لم توفقوا فى حمل الآخرين على التعاون معكم فى جميع أهدافكم، فلا- ينبغى أن يقعد بكم اليأس عن العمل، بل اسعوا لإفناعهم بالتعاون معكم فى تحقيق الأهداف المشتركه بينكم، كقاعده للانطلاق إلى تحقيق سائر

ص: ٢١٣

١- (١). آل عمران: ٦٤.

٢- (٢). التفسير الكبير: ٣/٢٥١ و ٢٥٢.

أهدافكم المقدسه (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا) .

والملفت للنظر أن الآيه الشريفه تؤكد موضوع التوحيد في ثلاث تعابير مختلفه، فأولاً ذكرت (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ)، وفي الجملة الثانيه (وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا)، وفي المره الثالثه قالت: (وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) . (١)

فهى تدعو إلى اللقاء على قاعده وأرضيه فكريه عقيديه مشتركه نلتزمها معاً، وعلى أساس واقعى للتفاهم، وعلى وحده المبدأ من دون الدخول فى التفاصيل التى تثير النزاع فى الجزئيات هنا وهناك؛ لأنّ القضايا المسلّمه لدى كل فريق يمكن أن تتدخل لتحسم الخلاف فى القضايا المتنازع فيها، فهى تدعونا إلى (إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا)، فنحن نؤمن بالوحدانيه كما تؤمنون، وبذلك نلتقى معاً فى نطاق عباده الله الواحد فلا نشرك فى العقيدته ولا نشرك فى العباده.

قال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) . (٢)

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله فى رحله التبليغ والدعوه، وهكذا خاطب العالم.

رسائل النبى إلى رؤساء العالم

إشاره

لقد ورد فى التاريخ: عندما استقر الإسلام نسبياً فى أرض الحجاز، أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله رسائل إلى عدد من كبار رؤساء العالم فى ذلك العصر، وفى بعض هذه الرسائل استند إلى هذه الآيه الداعيه إلى التوحيد-المبدأ المشترك بين الأديان السماويه-ولأهميه الموضوع ندرج بعضاً من تلك الرسائل:

ص: ٢١٤

١- (١). تفسير الأمل: ٥٣٧/٢.

٢- (٢). العنكبوت: ٤٦.

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله، إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإنني أدعوك بدعايه الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرک مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط: (٢) (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

(٣)

ثانياً: رساله إلى قيصر الروم

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإنني أدعوك بدعايه الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرک مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين: (٤) (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ). (٥)

١٠. أسلوب التدرج

إشاره

نهج القرآن الكريم و الأنبياء عليهم السلام أسلوب التدرج في عمليه الإصلاح، والقضاء على الانحرافات و المنكرات الموجوده في الأمه، و هو أفضل أسلوب للقضاء على تلك العادات و الانحرافات المستحكمه في المجتمعات.

والتدرج، وكما قال الراغب درج:

الدرجه نحو المنزله، لكن يقال للمنزله درجه إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد

ص: ٢١٥

١- (١). المقوقس: حاكم مصر قبل هرقل ملك الروم، وكان نصرانياً.

٢- (٢). الأقباط: أقوام كانت تقطن مصر.

٣- (٣). مكاتيب الرسول: ٩٧/١.

٤- (٤). الأريسيون: هم العنصر الروحي و العمال.

٥- (٥). تاريخ مدينه دمشق: ٩٣/٢.

على البسيط كدرجة السطح و السلم، ويقال: فلان يتدرج في كذا، أى: يتصعد فيه درجة درجة. (١)

و هذا ما أعتمده الأنبياء عليهم السلام و القرآن الكريم، فقد:

جاءت الشريعة الإسلامية الغراء محققة لمصالح الناس، متمشية مع تطاول الزمن، صالحه لكل زمان ومكان، وكان من رحمه الله تبارك وتعالى بعباده أن سنّ لهم سنّه التدرج في الأحكام، لتبقى النفس على أتم الاستعداد لتقبل تلك التكليف الشرعيه، فلا تشعر بملل أو ضجر، لا- تحس بمشقه أو شده، ولتظلّ الشريعة الغراء- كما أرادها الله- شريعه سمحه سهله، ولا عسر فيها، ولا تعقيد، ولا شطط فيها، ولا إرهاق.... (٢)

وحكمه التدرج معجزه من معجزات القرآن و الإسلام، فإذا كان علماء النفس و الطب و الصحه يبنون معالجاتهم للأمراض و المشكلات متدرجين في ذلك و مراعين استعداد الإنسان و ظروفه، فالإسلام سبق العلم الحديث بما يزيد على أربعة عشر قرناً في معالجه النفس البشريه من أمراضها.... (٣)

أمثله التدرج

إشاره

لو تتبعنا سيره الأنبياء عليهم السلام و القرآن الكريم نجد أمثله كثيره و واضحه على اعتمادهم أسلوب التدرج في إصلاح المجتمع، و من تلك الأمثله:

أولاً: مراحل بيان تحريم الخمر

إنّ الإسلام استخدم لتطبيق الكثير من أحكامه أسلوب التغيير التدريجي-، فليس هناك من سبيل لتطهير المجتمع من جذور مفسده اجتماعيه، أو خلقه متجذره في أعماق المجتمع واقتلاعها من الجذور أفضل من هذا الأسلوب، وأجدى من

ص: ٢١٤

١- (١). غريب مفردات القرآن: ١٦٧.

٢- (٢). تفسير آيات الأحكام: ١٠٩/١.

٣- (٣). د. بسام، الصباغ، الدعوه و الدعاه بين الواقع و الهدف: ٦٠.

هذا الطريق، وهو أن يهيا الأفراد تدريجاً، ثم يتم الإعلان عن الحكم النهائي. (١)

ومن الأمور المتأصلة بالمجتمع هي شرب الخمر، لذلك عالجها القرآن تدريجاً:

ويستفاد من بعض الروايات، أنه حتى بعد تحريم الخمر فإن الإقلاع عنها كان شاقاً على بعض المسلمين، حتى قالوا: (ما حرم علينا شيء أشد من الخمر). (٢)

ومن الواضح أن الإسلام لو أراد أن يحارب هذا البلاء الكبير الشامل بغير أن يأخذ الأوضاع النفسية والاجتماعية بنظر الاعتبار لتعذر الأمر وشق تطبيق التحريم، لذلك اتخذ أسلوب التدرج في بيان وإثبات الحرمة، بهدف إعداد الأفكار والأذهان والنفوس للابتعاد عن هذه الآفة، واستئصالها من جذورها، جاء في الكافي والتهديب بإسنادهما عن أبي جعفر -محمد الباقر عليه السلام:

<< ما بعث الله نبياً قط إلا وفي علم الله أنه إذا أكمل دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمر حراماً وإنما ينقلون من خصله إلى خصله، ولو حمل ذلك عليهم حملة لقطع بهم دون الدين، قال: وقال أبو جعفر عليه السلام: ليس أحد أرفق من الله عز وجل، فمن رفقته تبارك وتعالى، أنه نقلهم من خصله إلى خصله، ولو حمل عليهم حملة لهلكوا. (٣)

فهى العاده التى كانت قد تأصلت فى نفوسهم، وعروقهم، وفى أول الأمر وردت إشارات فى الآيات المكيه تستقيح شرب الخمر، كما فى قوله تعالى: (وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فى ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ). (٤)

فهنا، تعنى: الشراب المسكر الذى كانوا يستخرجونه من التمر و العنب، قد وضع حيال الرزق الحسن، فاعتبره شراباً غير طيب بخلاف الرزق الحسن، إلا أن تلك العاده الخبيثه -عاده معاقرة الخمره- كانت أعمق من أن تستأصل بهذه الإشارات، ثم أن

ص: ٢١٧

١- (١). تفسير الأمل: ٢٤٥/٣.

٢- (٢). الدر المنثور: ٣١٥/٢.

٣- (٣). الكافي: ٣٩٥/٦.

٤- (٤). النحل: ٦٧.

الخمير كانت تؤلف جانباً من دخلهم الاقتصادي؛ لذلك عندما هاجر المسلمون إلى المدينة وأسسوا أولى الحكومات الإسلامية، نزلت آية ثانية أشد في تحريم الخمير من الأولى، لكي تهيأ الأذهان أكثر إلى التحريم النهائي، تلك الآية هي قوله تعالى: (يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...)، (١) فها هنا إشارة إلى منافع الخمير الاقتصادي له بعض المجتمعات، كالمجتمع الجاهلي، مصحوبه بإشاره إلى أخطارها الكبيره ومضارها التي تفوق كثيراً منافعها الاقتصاديه.

ثم يقول تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...)، (٢) يأمر الله المسلمين أمراً صريحاً بأن لا يقيموا الصلاة وهم سكارى حتى يدرکوا ما يقولونه أمام الله.

واضح أن هذا لم يكن يعني أن شرب الخمير في غير الصلاة جائز، بل هي مسألة التدرج في تحريم الخمير مرحله مرحله - أي: أن هذه الآية كأنها تلتزم الصمت ولا تقول شيئاً صراحة في غير مواقع الصلاة.

إن تقدم المسلمين في التعرف على أحكام الإسلام واستعدادهم الفكري لاستئصال هذه المفسده الاجتماعيه الكبيره التي كانت متعمقه في نفوسهم، أصبحت سبباً في نزول آية صريحه تماماً في تحريم الخمير حتى سدت الطريق أمام الذين كانوا يتصيدون الأعذار والمسوغات، وهذه الآية هي موضوع البحث. وهي قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٣) وان ما يلفت النظر أن تحريم الخمير يعبر عنه في هذه الآية بصوره متنوعه:

ص: ٢١٨

١- (١). البقره: ٢١٩.

٢- (٢). النساء: ٤٣.

٣- (٣). المائده: ٩٠.

١. الآيه تبدأ بمخاطبه المؤمنين: يا أيها الذين آمنوا أى إن عدم الصدع بهذا الأمر لا ينسجم مع روح الإيمان.

٢. استعمال (إِنَّمَا) التى تعنى الحصر و التوكيد.

٣. وضعت الخمر و القمار إلى جانب الأنصاب، وهى قطع أحجار لا صوره لها كانت تُتخذ كالأصنام، (١) للدلالة على أن الخمر و القمار لا يقلان ضرراً عن عباده الأصنام، ولهذا جاء فى الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: <<شارب الخمر كعابد الوثن>>. (٢)

٤. الخمر، والقمار، وعباده الأصنام، والأستقسام بالأزلام (ضرب من اليانصيب) كلها قد أعتبرها القرآن رجساً وخبثاً (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ).

فهذه الأعمال القبيحه تعدّ كلها من أعمال الشيطان، أى: من عمل الشيطان.

٥. وأخيراً يصدر الأمر القاطع الواجب الأتباع: فاجتنبوه، ولا بد من التنويه بأن تعبير فاجتنبوه، مفهوماً أبعد، إذ أن الاجتناب يعنى الابتعاد والانفصال وعدم الاقتراب، مما يكون أشد وأقطع من مجرد النهى عن شرب الخمر.

٦. وفى الختام يقول سبحانه و تعالى إِنَّ ذَلِكَ: (لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ)، أى: لا فلاح لكم بغير ذلك.

٧. وفى الآيه التاليه لها يعدد بعضاً من أضرار الخمر و القمار، التى يريد الشيطان أن يوقعها بهم: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يُضِدَّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلَاةِ). (٣)

٨. وفى ختام هذه الآيه يتقدم باستفهام تقريرى: فهل أنتم منتهون؟ أى: بعد هذا التوكيد و التوضيح، ثمه مكان لخلق المبررات أو للشك و التردد فى تجنب هذين الإثمين الكبيرين؟

ص: ٢١٩

١- (١). تفسير الأمثل: ١٤١/٤.

٢- (٢). تفسير نور الثقلين: ٦٩/١.

٣- (٣). المائدة: ٩١.

٩. فى الآيه الثالثه التى تؤكد هذا الحكم، يأمر الله تعالى المسلمين بقوله: (وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اخِذُوا). ثم يتوعد المخالفين بالعقاب، وأن مهمه رسول الله هى الإبلاغ: (فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (١). (٢).

ثانياً: تحريم الربا

ومن الأمثله القرآنيه الأخرى الدالّه على أسلوب التدرج هى تحريم الربا فى مراحل:

معروف أن أسلوب القرآن فى مكافحه الانحرافات الاجتماعيه المتجذره فى حياه الناس يعتمد معالجه الأمور خطوه بخطوه، فهو أولاً- يهيب الأراضيه المناسبه، ويطلع الرأى العام على مفسد ما يطلب محاربهه ومكافحته، ثم بعد أن تنهيا النفوس لتقبل التحريم النهائى يعلن عن التحريم فى صيغته الثانويه النهائيه [وينتج هذا الأسلوب خاصه إذا كان ذلك الأمر الفاسد مما استشرى فى المجتمع، وكانت رقعته انتشاره واسع].

وقد كان هذا الأمر مبعثاً للكثير من المآسى الاجتماعيه، ولهذا استخدم القرآن فى تحريم هذه الفعله النكراء أسلوب المراحل، فحرم الربا فى مراحل أربع:

١. يكتفى بتوجيه نصح أخلاقى حول الربا؛ إذ قال تعالى: (وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤَا عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ). (٣).

بهذا الأسلوب يكشف عن خطأ الذين يتصورون أنه الربا يزيد من ثروتهم، فى حين أن إعطاء الزكاه و الأنفاق فى سبيل الله هو الذى يضعف الثروه حقيقه.

٢. يشير ضمن انتقاد عادات اليهود وتقاليدهم الخاطئه الفاسده إلى الربا كعاده سيئه من تلك العادات؛ إذ يقول تعالى: (وَ أَخَذِهِمُ الرِّبَا وَ قَدْ نُهِوا عَنْهُ وَ أَكَلِهِمْ أَمْوَالٌ

ص: ٢٢٠

١- (١). المائده: ٩٢.

٢- (٢). تفسير الأمثل: ١٣٩/٤؛ الميزان فى تفسير القرآن: ١١٧/٦.

٣- (٣). الروم: ٣٩.

النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. (١)

٣. يذكر في الآية الحاضر، قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٢) حكم التحريم بصراحه، ولكنه يكتفى بالإشارة إلى نوع واحد من أنواع الربا، وهو النوع الشديد و الفاحش منه فقط.

٤. وأخيراً أعلن في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَ أَحْيَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَ مَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ... فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تُبْتِغُوا فَلَئِنْ رَأَيْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا تَحْتَسِبُونَ وَ لَا تَحْتَسِبُونَ) ، (٣) عن المنع الشامل و الشديد عن جميع أنواع الربا، واعتباره بمنزله إعلان الحرب على الله سبحانه و تعالى. (٤)

ثالثاً: التدرج في نزول القرآن

ومن الأمثلة اللطيفة و العميقة الأخرى التي ترد هو النزول التدريجي للقرآن الكريم، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: (وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نَزَّلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَ رَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) ، (٥) صحيح أنه كان للقرآن نزولان طبقاً للروايات، بل لظاهر بعض الآيات:

أحدهما: نزول دفعي، و هو يعني: نزول بالمرّة في ليلة القدر على قلب النبي صلّى الله عليه و آله.

والآخر: نزول تدريجي، هو يعني: نزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة.

ص: ٢٢١

١- (١). النساء: ١٦١.

٢- (٢). آل عمران: ١٣٠.

٣- (٣). البقرة: الآية ٢٧٥ و الآية ٢٧٩.

٤- (٤). تفسير الأمثل: ٦٨٧/٢-٦٨٨.

٥- (٥). الفرقان: ٣٢.

ولكن بلا- شك أن النزول المعترف به الذى كان النبى و الناس يتفاعلون معه دائماً هو: النزول التدريجى للقرآن. و هذا النزول بالذات صار سبباً استفهامات الأعداء، لماذا لم ينزل القرآن مره واحده ويجعل دفعه واحده بين أيدي الناس، حتى يكونوا أكثر إطلاعاً وتفهماً، فلا يبقى مكان للشك و الريبه.

ولكن- كما رأينا- فان القرآن أجابهم جواباً قصيراً وجامعاً وبلغاً من خلال جمله: (كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) ، فكلما تأملنا فيها أكثر تتجلى آثار النزول التدريجى للقرآن أوضح.

١. لا شك أن التشريعات إذا كانت تنزل بشكل تدريجى تبعاً للحاجات، ويكون لكل مسأله شاهد ومصداق عينى، فستكون مؤثره جداً من ناحيه (تلقى الوحي) وكذلك (إبلاغ الناس).

و قد أكدت مبادئ التربيه فى محلها أن الشخص الذى يراد تربيته ينبغى أن يؤخذ بيده خطوه خطوه، فينظم له لكل يوم برنامج، عليه أن يسلكه من المرحله الأدنى التى شرعها منها إلى المراحل الأعلى و البرامج التى تتدرج بهذه الكيفيه تكون أكثر مقبوليه وأعمق أثراً.

٢. أن هؤلاء المعترضين غافلون أساساً عن أن القرآن ليس كتاب عادى يبحث فى موضوع أو علم معين، بل هو منهج حياتى للأمة التى تغيرت به، واستلهمت منه فى جميع أبعاد الحياه ولا تزال.

فكثير من آيات القرآن الكريم نزلت فى مناسبات تاريخيه، مثل معركة بدر وأحد، والأحزاب وحنين، وبذلك سببت التشريعات والاستنتاجات من هذه الحوادث، وترى هل يصح أن تُكتب هذه مره واحده وتعرض على الناس؟

بعبارة أخرى: أن القرآن الكريم عبارته عن مجموعه من أوامر ونواهٍ، أحكام وقوانين، تاريخ وموعظه، ومجموعه من الخطط ذات المدى الطويل أو القصير فى مواجهه الأحداث التى كانت تبرز أمام مسير الأمة الإسلاميه، كتاب- كهذا- يبين

وينفذ جميع مناهجه حتى قوانينه الكليه عن طريق الحضور فى ميادين حياه الأممه، لا يمكن أن ينظّم ويدوّن دُفعه واحده.

لأن هذا من قبيل أن يقوم قائد عظيم بكتابه ونشر جميع بياناته وإعلاناته وأوامره ونواهيته-التي يصدرها فى المناسبات المختلفه- دفعه واحده من أجل تسيير الثوره، ترى هل يعتبر هذا العمل عقلاً؟

٣-لا شك، أنه إذا كان مقرر لمناهج الإسلام أن تنزل جميعها دفعه واحده، فقد كان من اللازم أن تطبق دفعه واحده أيضاً؛ لأن النزول بدون تطبيق يفقد النزول قيمته، ومن المعلوم أن تطبيق جميع المناهج أعمّ من العبادات كالزكاه، والجهاد، ورعايه جميع الواجبات، والامتناع عن المحرمات دفعه واحده عمل ثقيل جداً قد يؤدّى إلى فرار فئه كبيره من الإسلام، وبهذا يتبين أن النزول التدريجى وبالتالى التطبيق التدريجى أفضل، لاعتبارات وجهات كثيره.

وبعبارة أخرى: أنّ أى واحد من هذه التشريعات فى صوره النزول التدريجى سيتم هضمه واستيعابه بصوره جيده، وفى حاله تعرضه لبعض الاستفهامات يمكن طرحها والإجابة عنها. (١)

وإذا أردنا أن نطلق الآيه فى حركيه التبليغ والعمل فى سبيل الله، فنستطيع استبدال تدريجيه النزول للآيات بتدريجيه تحريك الآيات فى مواقع العمل والجهاد وفى منطلقات الدعوه بطريقه دقيقه، نوزع فيها الآيات على المسيره، فتكون هذه الآيه فى نقطه هنا، ونقطه هناك، وتكون هذه السوره فى هذه المرحله، وتلك السوره فى المرحله الأخرى، ليكون القرآن ثقافه الأممه فى كل مواقع السير، حتى يعرفوا الفكره فى مواقع الحركه، فلا تبتعد المسيره عن آفاق الإسلام فى فكره وشريعته.

وهناك أمثله كثيره فى القرآن الكريم ومنها ماجاء، بعد السؤال والجواب فى قوله

ص: ٢٢٣

١- (١). تفسير الأمثل: ١١/٢٤٧-٢٤٨.

تعالى: (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) ، (١) جاءت عبارته أفلا تذكرون، وبعد السؤال الثاني وإجابته، في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّنْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) . (٢)

جاءت عبارته: (أَفَلَا تَتَّقُونَ) ، وبعد السؤال الثالث وإجابته في قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ) . (٣)

جاءت عبارته: (فَأَنَّى تُشْحَرُونَ) ، وهذه عبارات تنبيه شديده للكفار واستنكار لما هم عليه من باطل بشكل متدرج ومرحله بعد أخرى، وهو أسلوب متعارف ينسجم مع الأساليب المعروفة في التعليم و التربيه المنطقيه، فإذا احتاج المرابي إلى إدانته شخص، يبدأ أولاً بتنبيهه بلطف، ثم بحزم، وبعد ذلك يعنفه!. (٤)

وقد استخدم هذا الأسلوب كل الأنبياء عليهم السلام في مسيراتهم التبليغيه، ولو أردنا ذكر كل الأمثله و النماذج لطال بنا المقام، فقد استخدمه الخليل إبراهيم عليه السلام مع قومه وأبيه، فيخاطب أبيه أولاً ب-: (لِمَ تَعْبُدُ) ، ثم يقول: (فَاتَّبِعْنِي) ، ثم يقول (لا- تَعْبُدِ) ، ثم يقول (إني أخشى أن تكون للشيطان وليا) وهكذا في بيان ربوبيه الله تدرج من الكوكب و النجم، إلى القمر، إلى الشمس، إلى ربوبيه الله، وهكذا، الحال بالنسبه إلى الكليم موسى عليه السلام مع فرعون و بنى إسرائيل، وهكذا:

أوصى النبي صلى الله عليه وآله أصحابه بالتدرج مع المدعوين في دعوتهم إلى الإسلام، فحين أرسل معاذ بن جبل إلى اليمن داعياً ووالياً وقاضياً أوصاه قائلاً: <<إنك ستأتى قوماً أهل كتاب فأدعهم إلى شهاده أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله فان هم

ص: ٢٢٤

١- (١). المؤمنون: ٨٤ و ٨٥.

٢- (٢). المؤمنون: ٨٦ و ٨٧.

٣- (٣). المؤمنون: ٨٨ و ٨٩.

٤- (٤). تفسير الأمثل: ١٠/٤٩٥.

أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليله،فأن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقه تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم،فأن هم أطاعوا لذلك فأياك وكرائم أموالهم،واتق دعوة المظلوم فأنها ليس بينها وبين الله حجاب»،فعلم الرسول صلى الله عليه وآله معاذاً أن يبدأ من العقيدة؛لأن العقيدة تدفع صاحبها إلى العبادات من صلاه وزكاه..ولو استعرضنا الكثير من عادات الجاهليه لوجدنا أن الإسلام لم يحرمها دفعه واحده. (١)

إذاً:فعلى المبلّغ أن يفقه أسلوب التدرج بأن يتدرج مع المدعويين،بإقامه الدلائل،وإلقاء الحجج،وأن يجعله شعاراً له،تأسيّاً واقتداءً وأتباعاً للأنبياء عليهم السلام وللقرآن الكريم.

١١.أسلوب الاستفهام

إشاره

من الأساليب التبليغيه المهمه هو أسلوب الاستفهام و السؤال و الجواب.

الاستفهام:يسأل به عن جنس ذات الشئ ونوعه،وعن جنس صفات الشئ ونوعه،وقد يسأل به عن الأشخاص و الأعيان في غير الناطقين. (٢)

ومن هذا المنطلق نجد أنّ القرآن الكريم يثير الكثير من المسائل على صورته:السؤال والاستفهام،لينتزع جوابه من داخل فكر المخاطب،فهو أسلوب تربوي قرآني مؤثر.فهناك كثير من المسائل و الحقائق المتعلقة و المرتبطه بالقضايا الدينيه،أو الاخلاقيه،أو الاجتماعيه،يطرحها القرآن الكريم في قالب التساؤل والاستفهام تاركاً للسامع أن يختار هو بمعونه من فكره،وانطلاقاً من تحليله وتقويمه.

إنّ لهذا الأسلوب الذي لا بدّ أن نسميه بالأسلوب التربوي غير المباشر أثراً بالغاً في تحقيق الأهداف المرجوه من البرامج التربويه وتأثيرها فيمن يراد توجيههم وتربيتهم؛وذلك

ص:٢٢٥

١- (١).الدعوه و الدعاه بين الواقع و الهدف:٦١ و ٦٢.

٢- (٢).مفردات غريب القرآن:٤٧٩.

لأنَّ الإنسانَ-فى الأغلِب-يَهتمُّ أكثَرُ بما توصل إليه بنفسه من النَّاتِجِ و الأَفكارِ و الأَراءِ وما أنتهى إليه بفكره من التَّفاسيرِ و التحاليل فى القضايا المختلفه، فإذا طُرِحَ عليه قضيه بصوره قطعيه وصبغه جازمه، قاومها أحياناً، ولعلَّه ينظر إليها كما ينظر إلى أى فكره غريبه، ولكن عندما يطرح عليه الأمر فى صورته التساؤل الذى يطلب منه الجواب عليه حسب قناعته الشخصيه، ثم يسمع ذلك الجواب من قراره فؤاده، فإنه لا يسعه حينئذٍ أن يقاوم هذا الجواب ويعاديه، بل ينظر إليه نظر العارف به، ولن تعود لديه-حينئذ- تلك الفكره الغريبه البعيده، بل تكون الفكره القريبه إلى قلبه، المأنوسه إلى فؤاده، إنَّ هذا الأسلوب من التوجيه و الإرشاد مؤثراً غايه التأثير، من هذا المنطلق استفاد القرآن الكريم من هذا الأسلوب التربوى الرائع المؤثر فى مواضع عديده، منها قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ) ، (١) وقوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ، (٢) وقوله تعالى: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ) . (٣)

وكذلك قوله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ، (٤) وقال تعالى حاكياً عن خليله إبراهيم: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ، (٥) (لما تفوهوا بقولهم: (ما هؤلاء ينطقون) وسمعه إبراهيم عليه السلام لم يشتغل بالدفاع فلم يكن قاصداً لذلك من أول، بل استفاد من كلامهم لدعوته الحقه فخصمهم بلازم قولهم وأتم الحجج عليهم فى كون أصنامهم غير مستحقه للعباده أى غير آلهه.

ص: ٢٢٤

١- (١). السجده: ١٨.

٢- (٢). الزمر: ٩.

٣- (٣). الرعد: ١٦.

٤- (٤). فصلت: ٣٣.

٥- (٥). الأنبياء: ٦٦ و ٦٧.

فما حصل تفريع قوله: (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ) ، إن لازم كونهم لا ينطقون أن لا يعلموا شيئاً ولا- يقدرّون على شيء، ولازم ذلك أن لا ينفعوكم شيئاً ولا يضرّوكم، ولازم ذلك أن تكون عبادتهم لغواً؛ إذ العبادة إما لرجاء خير أو لخوف شرّ، وليس عندهم شيء من ذلك فليسوا بألهه.

فأجابهم نبي الله إبراهيم عليه السلام جواباً أفحمهم، وجعلهم في دوّامه من حيره لم يجدوا منها مخرجاً قال: (قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَيَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) (١)، (٢) لقد هزت كلمات النبي إبراهيم عليه السلام الوثنيين وأيقظت ضمائرهم النائمه الغافله، وأزاح الرماد عن شعله النار فأضاءها، وأنار فطرتهم التوحيديه من خلف حجب التعصب و الجهل، في لحظه سريعه استيقظوا من هذا النوم العميق ورجعوا إلى فطرتهم ووجدانهم، [و] كما يقول القرآن: (فَرَجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) . (٣)

فقد ظلمتم أنفسكم ومجتمعكم الذي تنتمون إليه، وكذلك ساحة الله واهب النعم المقدسه. (٤)

ويوجد هناك استفهام إنكاري، كما في قوله تعالى: (أَنْ لَنْ نُرْمِئُكُمْ بِهَا وَ أَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) ، (٥) و هو استفهام بمعنى الإنكار. (٦)

وقوله تعالى: (أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ) ، (٧) و (أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بِالْعَهَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ، (٨) وقوله تعالى: (أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) . (٩)

ص: ٢٢٧

١- (١). الأنبياء: ٦٣.

٢- (٢). الميزان في تفسير القرآن: ٣٠١/١٤.

٣- (٣). الأنبياء: ٦٤.

٤- (٤). تفسير الأمثل: ١٠/١٩٢.

٥- (٥). هود: ٢٨.

٦- (٦). تفسير المنير: ٥٩/١٢.

٧- (٧). القلم: ٣٧.

٨- (٨). القلم: ٣٩.

٩- (٩). إبراهيم: ١٠.

و قد استخدم الأنبياء و القرآن الكريم أسلوب الاستفهام بعدّه طرق،ومن تلك الطرق و الأبواب،يمكن الإشارة إلى الموارد الآتية:

(أ) الاستفهام وإثارة العواطف

لقد استعمل القرآن الكريم إثارة العواطف عن طريق أسلوب الاستفهام لتربيته البشر فقال تعالى: (أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) . (١)

ولكى يجنب [الإنسان] الإنفاق رثاءً ومنه يستفيد القرآن الكريم من عاطفه الإنسان تجاه الأطفال الصغار و الضعاف،حيث يقول تعالى: (أَيُّوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَةٌ ضَعْفَاءٌ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ) . (٢)

إن هذا المعنى يبين حاله العجز،والطفولة،والضعف،والاحتراق،والفقر وهى مما يثير العواطف. (٣)

(ب) الاستفهام وإيقاظ الضمير

يؤمن الإنسان ببعض القضايا بصوره فطريه وطبيعيه دون أى تلقين أو تبليغ،وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحقيقه فى أواخر كثير من الآيات بقوله: (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)؛لذا فإن على المبلّغ أن يستمد من ضمير الناس واعتقاداتهم الباطنيه قال تعالى: (وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) ؛ (٤)لأن وجدانهم لا يسمح لهم بأن يجيبوا بغير ذلك كما قال تعالى: (وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) . (٥)

ص: ٢٢٨

١- (١) .الحجرات:١٢.

٢- (٢) .البقره:٢٦٦.

٣- (٣) .القرآن و التبليغ: ١٧٠.

٤- (٤) .العنكبوت:٦١.

٥- (٥) .العنكبوت:٦٣.

لاحظوا هذه الآيه الشريفه وكيف أن الله سبحانه يدعو الوجدان الإنساني إلى الحكم: (وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) ، (١) أي: هلا تجعلون وجدانكم حاكماً ليعترف بأن هذا عمل مذموم. (٢)

ج) الاستفهام وإيقاظ العقول و الفطره

العقلاء من كل مجتمع هم أهل الفكر ويبحثون عن الدليل المنطقي و العقلي في كل ظاهره، وقد بين القرآن الكريم طريقه العقلاء.... ودعا الناس إلى التفكير، قال تعالى: (أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) ، (٣) (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ) (٤) (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ) ، (٥) نعم يسأل القرآن الكريم أصحاب العقول بآيات كثيره لكي يوقعهم على المحك إذ لا مفر عن الإجابة بالإيجاب، فيسأل الله عز وجل عباده فيقول: (أَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) ، (٦) أي هل من الممكن عقلاً أن يخلق موجود غير الله عز وجل هذا الكون العظيم؟ فمن قال: نعم فإنه لا يملك عقلاً سليماً، ويسأل عن النبوه: (أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ) ، (٧) ويسأل عن المعاد: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبْنًا وَ أَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ) ، (٨) (أَفَعَبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ) ، (٩) ويسأل عن الإمامه: (أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي) ، (١٠) و أما نبى الله لوط عليه السلام فإنه خاطب

ص: ٢٢٩

- ١- (١). النساء: ٢١.
- ٢- (٢). القرآن و التبليغ: ص ١٧٢.
- ٣- (٣). الواقعة: ٦٣ و ٦٤.
- ٤- (٤). الواقعة: ٦٨ و ٦٩.
- ٥- (٥). الواقعة: ٧١ و ٧٢.
- ٦- (٦). النمل: ٦٠.
- ٧- (٧). الطور: ٣٢.
- ٨- (٨). المؤمنون: ١١٥.
- ٩- (٩). ق: ١٥.
- ١٠- (١٠). يونس: ٣٥.

قومه الذين اعتادوا العمل الجنسى الشنيع: (وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ). (١)

أى: أن هذا العمل لو كان عقلاً لفعلة مجموعته إنسانيه واحده قبلكم على الأقل.

إن بعض القضايا ينبغى إبلاغها على شكل سؤال يتوجه إلى الفطره الإنسانيه، وذلك بأن يقال: أن الفطره الإنسانيه لو لم تكن ميتة فأن الحكم صحيح يقيناً. (٢)

ومن أمثله ذلك ما خاطب به يوسف صاحبي السجن، ليثير تفكيرهم وتأملهم فقال لهم: (أَأَرْبَابٌ مُتَّفَقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ). (٣)

وهناك استفهام توبيخي في خطاب إبراهيم لقومه، قال: (أَفِ لَكُمْ وَ لِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ)، (٤) إلا أنه لم يلح في توبيخهم وتقريرهم لئلا يلجوا في عنادهم. (٥)

ويوجد هناك استفهام تقريري-لأخذ الإقرار من المقابل- وهو كما ورد في قوله تعالى: (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ). (٦)

فبالإشارة إلى مبدأ التوحيد يواصل القول عن المعاد بطريقه رائعه، هي طريقه السؤال و الجواب، والسائل و المجيب كلاهما واحد، وهو من الأساليب الأدبيه الجميله، يتكون الاستدلال هنا على المعاد من مقدمتين:

أولاً-يقول: (قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ). ثم يقول مباشرة: أجب أنت بلسان فطرتهم وروحهم (قُلْ لِلَّهِ) فبموجب هذه المقدمه يكون كل عالم الوجود ملكاً لله وبيده وتديره.

ص: ٢٣٠

١- (١). الأعراف: ٨٠.

٢- (٢). القرآن و التبليغ: ١٨٦ و ١٨٧.

٣- (٣). يوسف: ٣٩.

٤- (٤). الأنبياء: ٦٧.

٥- (٥). تفسير الأمثل: ١٩٣.

٦- (٦). الأنعام: ١٢.

ثانياً: إنَّ الله هو وحده مصدر كلِّ رحمه و هو الذى أوجب على نفسه الرحمه،أيمكن لرب هذا شأنه أن يقطع سلسله حياه البشر نهائياً بالموت فيوقف التكامل واستمرار الحياه؟

[بل] هذه الرحمه نفسها توجب أن يرتدى الإنسان لباس حياه جديده بعد موته فى عالم أوسع، لذلك يقول بعد هاتين المقدمتين: (لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ)، إن الآيه تبدأ بالاستفهام التقريرى الذى يراد به انتزاع الإقرار من السامع،ولما كان هذا الأمر مسلماً به بالفطره، كما كان المشركون يسلمون بأنَّ مالك عالم الوجود ليس الأصنام،بل الله،فإنَّ الجواب يرد مباشره،و هذا أسلوب جميل فى عرض مختلف المسائل.

وهكذا نجد إبراهيم عليه السلام لما أراد أن يدعو أباه دعاه بأسلوب الاستفهام فقال: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا) ، (١) فقد رأى أباه يعبد الأصنام التى يعبدها قومه،فأراد أن يثير التساؤل فى تفكير أبيه،وذلك بأن يطرح عليه الجانب اللامعقول فى هذه العباده بطريقه بسيطه لا تكلف الإنسان بذل أى جهد من أجل اكتشاف انحرافها عقيدياً،فحاول أن يهز جمود الموقف عنده،بطريقه الصدمه و الإثاره،من خلال أسلوب الاستفهام.

وبهذا الأسلوب البين يعرف المبلِّغ كيفيه الدخول إلى مختلف الأبواب و الأفكار،وكذلك كيفيه الحديث عنها،وتوجيه الحوار إليها،وذلك من خلال المفردات التى تثير الاهتمام البالغ حيث تدعو إلى إثاره كثير من علامات الاستفهام حول الركائز التى تركز عليها هذه الأمور؛ إذ قد لا يكون من الضرورى -دائماً- أن نثير القضايا بشكل مباشر.

١٢. أسلوب الحسم

الحسم فى اللغه كما عرفه الخليل:

ص: ٢٣١

١- (١). مريم: ٤٢.

أن تحسم عرقاً فتكويه لئلا يسيل دمه، وحسنت الأمر أى، قطعتة حتى لم يظفر منه شىء، ومنه سمي السيف حساماً؛ لأنه يحسم العدو عما يريد، أى يمنع. (١)

أو كما جاء فى معجم مقاييس اللغة:

أنه قطع الشىء عن آخره، فالحسم القطع، ولذلك يقال احسم عنك هذا الأمر أى اقطعه وأكفه نفسك. (٢)

و هو من أساليب التبليغ غير المباشر الذى استخدمه الأنبياء عليهم السلام من خلال إعلان مواقفهم الواضحة و القاطعه مقابل مواقف الرافضين لدعوتهم، وهذا الأسلوب هو أفضل أسلوب لمواجهة الكفر المتعنت المتصلب الذى لا يقبل حواراً بتاتاً، ولا يتحرّك فى موقف فكرى، ولا يستجيب لترغيب الله، ولا يخاف من ترهيبه. فمن واجب المبلّغ هنا أن لا يضعف ولا ييأس، ولا يشعر بالإحباط و السقوط، بل يزيد ذلك إصراراً على العمل، وتصميماً على الاستمرار فى خطّ التبليغ و الدعوه إلى الله تعالى.

فكثير من الأحيان يكون الموقف بحاجة إلى صدمه إعلانيه قويه، يقف فيها المبلّغ ليعلن موقفه الذاتى فى عمله الاختيارى، ليصدم بذلك تردّد المتردّدين و عناد المعاندين، فيكن هذا الأسلوب أكثر فاعليه وتأثيره من أسلوب الحوار وغيره من الأساليب التى يكون فيها ارتباط وأخذ ورد من كلا الطرفين؛ لأنه يتمثل فى عرض الفكره، بعيداً عن ردّ الفعل تجاه الآخرين، ممّا يعطى له شىء من القوه، وكثير من الحريه فى الحديث عن التفاصيل، فهو أسلوب من أساليب التأثير النفسى القوى الذى يوحى لهم أنه لن يتخذ غير هذا الموقف، فلا يفكروا بأن هناك اهتزاز فى قرار الموقف، ممّا يدعوهم إلى إعاده تفكيرهم بما طرحه عليهم من تعاليم الدعوه.

وهناك أمثله كثيره فى القرآن الكريم تبين هذا الأسلوب بوضوح:

ص: ٢٣٢

١- (١). كتاب العين: ١٥٣/٣.

٢- (٢). معجم مقاييس اللغة: ٥٧/٢.

منها قوله تعالى: (وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ). (١)

فقد علمت [هذه الآية] النبي صلى الله عليه وآله طريقه جديده فى مواجهه، فقالت: (وَإِنْ كَذَّبُوكَ...).

إن لإعلان الترفع وعدم الاهتمام هذا، والمقترن بالاعتماد والإيمان القاطع بالمذهب، أثراً نفسياً خاصاً، وبالذات على المنكرين المعاندين، فهو يفهمهم بعدم وجود أى إجبار وإصرار على قبولهم الدعوه الإسلاميه، بل إنهم بعدم تسليمهم أمام الحق سيحرمون أنفسهم، ولا يضررون إلا أنفسهم وقد ورد نظير هذا التعبير فى آيات أخرى من القرآن، كما نقرأ فى سوره الكافرون: (لكم دينكم ولي دين)، (٢) من هذا البيان يتضح أن محتوى مثل هذه الآيات لا ينافى مطلقاً الأمر بالتبليغ... بل أن هذا نوع من مواجهه المنطقيه عن طريق عدم الاكتراث لهؤلاء الأشخاص المعاندين. (٣)

ومنها قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ). (٤)

هاتان الآيتان قرار نهائى حاسم، خاطب الله بهما جميع الناس والجن إلى يوم القيامه أبد الدهر، والمعنى الواضح منهما، قل أيها الرسول للناس قاطبه، من حضر ومن يأتى، قد جاءكم الحق المبين من ربكم، يبين حقيقه هذا الدين، وكمال هذه الشريعه، على لسان رجل منكم، بلسان عربى مبين، فأمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وآله أن يخبر الناس أن الذى جاءهم به من عند الله تعالى هو الحق الذى لا شك، ولا شبهه، ولا ريب فيه، والحق هو القرآن والشرع الذى جاء

ص: ٢٣٣

١- (١). يونس: ٤١.

٢- (٢). الكافرون: ٦.

٣- (٣). تفسير الأمثل: ٣٦٤/٦ و ٣٦٥.

٤- (٤). يونس: ١٠٨-١٠٩.

به محمد صَلَّى اللهُ عليه و آله من عند ربه، فمن اهتدى أى اتبع الحق وأذعن له، وصدق بالقرآن ورسول الله، فإنما يهتدى لنفسه ويسعى لها، أى يعد نفع عمله وثواب اهتدائه وإتباعه على ذاته، ويوجد خير رشده فى مصيره وآخرته؛ لأنه يوجب لها رحمه الله ويدفع عذابه.

ومن ضلّ، أى حاد عن طريق الحق، ولم ينظر بعين الحقيقه، وحاد عن منهج الله، وكفر برّبّه عز وجلّ، فإنما يضلّ على نفسه أى: يرجع وبال عمله عليه.

ثم يؤكد القرآن عنصر الإرادة، والاختيار وترك الإجبار فى قوله تعالى لرسوله: (وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ). (١)

ومنها قوله تعالى: (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ)، (٢) [فيهما]:

نحو رجوع إلى قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ)، (٣) بداعى أن لا يؤيسهم من نفسه، فلا يطمعوا فيه أن يترك دعوتهم ويوافقهم على الإشراك بالله. (٤)

فلا بدّ إذًا: أن يرتكز التبليغ و الترييه الإسلاميه على قاعده الإصرار والالتزام بالخط المستقيم وعدم الانحراف عنه لقاء أى عرض للتنازل من أيه جهه كانت، وعليه ينبغى أن تكون الدعوه الإسلاميه متحركه فى خطّ الثوابت الاعتقاديّه و المصيريّه بكلّ استقامه وثبات.

هكذا يريد الله تعالى للمبلّغ أن ينطلق من قاعده المبدأ الذى لا يحتمل مساومه، أو مجامله، أو تنازلاً: (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَ أُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)، (٥) فهى حاله من الاقتحام لنفوس المعاندين، وهى الصراحه فى الإعلان عن الحق و الهدى، والإيحاء

ص: ٢٣٤

١- (١). التفسير الوسيط: ١٠١٧/٢ و ١٠١٨.

٢- (٢). الزمر: ١١ و ١٢.

٣- (٣). الزمر: ٢.

٤- (٤). الميزان فى تفسير القرآن: ٢٤٧/١٧.

٥- (٥). الأنعام: ٧١.

إلى الآخرين بأنه لا مجال لطريق غير طريق الله، ولا هدى غير هدى الله الذى يجب أن يتبع وحده، ليعرفوا أن الموقف حاسم لا مجال فيه للتراجع وللتنازل مهما كلف الأمر: (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)، (١) وقال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَ أَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ). (٢)

١٣. أسلوب الحوار

إشاره

إن أسلوب الحوار-اليوم-هو من أهم الأساليب الموصلة إلى نقطه اليقين فيما يسمع أو يقرأ أو كليهما معاً.

والحوار، كما يعرفه الراغب هو من:

الحوار التردد إما بالذات وإما بالفكر. وحوار الماء فى الغدير تردد فيه، والقوم فى حوار فى تردد، والمحاورة و الحوار المرداه فى الكلام، ومنه التحوار قال الله تعالى: (وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُما) (٣). (٤)

وقد بدأ أسلوب الحوار بيناً فى المسيره التبليغيه للأنبياء عليهم السلام، أما فى القرآن الكريم فأن:

عنصر الحوار واضح العبارة بادی القسمات، ووروده شائع مطرد فى [القرآن الكريم]، ويغلب مجيئه متصديراً بكلمه: (قال) أو مشتقاتها من الجمع أو التثنيه أو التذكير أو التأنيث، وهذا من شأنه أن يجعل الحوار حاضراً يشد الانتباه ويرهف الحسن ويدعو إلى متابعه الأحداث. (٥)

ص: ٢٣٥

١- (١). الأنعام: ١٣٥.

٢- (٢). يونس: ١٠٤.

٣- (٣). المجادله: ١.

٤- (٤). مفردات غريب القرآن: ١٣٥.

٥- (٥). الدعوه إلى الله تعالى: ١٤٨.

وقد ذكر المفسِّرون شروطاً وأصولاً وقواعد لطريقه البحث، وأسلوب الحوار الناجح، ومنها ما ذكره بعد قوله تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْئَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ) ، (١) حيث قالوا:

كثير ما يلاحظ أفراد وفضلاء على مستوى من العلم و المعرفة، لا يمكنهم النفوذ إلى أفكار الآخرين، لعدم اطلاعهم على الفنون الخاصة بالبحث والاستدلال، وعدم رعايتهم للجوانب النفسية، على العكس من البعض الآخر الذين ليسوا على وفره من العلم، إلا أنهم موفقين من ناحية جذب القلوب وتسخيرها و النفوذ في أفكار الآخرين.

والعلة الأساسية في ذلك هي أن طريقه البحث، وأسلوب التعامل مع الطرف المقابل يجب أن تكون مقرونة بأصول وقواعد تتسق مع الخلق و الروح، فلا تستثار الجوانب السلبية في الطرف المقابل، كي لا يندفع إلى العناد والإصرار؛ إذ أن مراعاة الجانب النفسي ستؤدي إلى إيقاظ وجدانه وإثارة روح البحث عن الحقيقة وأحيائها فيه.

والمهم هنا، أن نعلم أن الإنسان ليس فكراً وعقلاً صرفاً كي يستسلم أمام قدره الاستدلال، بل علاوه على ذلك فإن مجموعه من العواطف و الأحاسيس التي تشكل جانباً مهماً من روحه مطويه في وجوده، والتي يجب إشباعها بشكل صحيح ومعقول.

والقرآن الكريم علمنا كيفية مزج البحوث المنطقية بالأصول الأخلاقية في المحاوره، حتى تنفذ إلى أرواح الآخرين.

شرط التأثير و النفوذ في روح الطرف المقابل هو إحساس الطرف المقابل بأن المتحدث يتحلَّى بالصفات التاليه:

١. الإيمان بما يقول، وما يقوله صادر من أعماقه.

ص: ٢٣٦

٢. هدفه من البحث طلب الحق، وليس التفوق و التعالى.

٣. لا يقتصد بتحقير الطرف المقابل، وإعلاء شأن نفسه.

٤. ليس له مصلحة شخصية فيما يقول، بل إنما يقول نابع من الإخلاص.

٥. يَكُنُّ الاحترام للطرف المقابل، لذا فعليه أن يستخدم الأدب و الرقه فى تعبيراته.

٦. لا- يريد إثارة العناد لدى الطرف المقابل، ويكتفى بالبحث فى موضوع ما بالمقدار الكافى، دون الإصرار على إثبات أن الحق إلى جانبه، ليعرض حديثه.

٧. منصف لا يفرط بالإنصاف أبداً، حتى وأن لم يراع الطرف المقابل هذه الأصول.

٨. لا يقصد تحميل الآخرين أفكاره، بل يرغب فى إيجاد الدافع لدى الآخرين حتى يوصلهم إلى الحقيقه بمنتهى الحره.

الدقه المتناهيه فى هذه الآيات، وأسلوب تعامل الرسول صَلَّى الله عليه و آله- بأمر الله- مع المخالفين، المقترن بكثير من الفتات الجميله، تعتبر دليلاً حياً على ما ذكرناه، فهو أحياناً يصل إلى حد لا يشير بدقه إلى المهتدين أو المضلين فى أحد الفريقين، بل يقول: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)، حتى يثير فى الذهن التساؤل عن علامات الهدى أو الضلال فى أى الفريقين، أو يقول: (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ). (١)

ومن أروع المحاورات التى يمكن الإشارة إليها، هو ما حاور به شيخ الأنبياء عليهم السلام نوح عليه السلام قومه، حيث استوعبت كل مظاهر الأدب و اللطف. و قد تناول العلامة الطباطبائى هذا الموضوع فى وصفه لأخلاق الأنبياء عليهم السلام فقال: رعيتهم الأدب عن ربهم فيما حاورا قومهم، و هذا أيضاً باب واسع و هو ملحق بالأدب فى الثناء على الله سبحانه، و هو من جهه أخرى من أبواب التبليغ العملى الذى لا يقصر أو يزيد أثراً على التبليغ القولى.

و قد ورد فى القرآن الكريم الكثير، من هذا القبيل و منه فى محاوره جرت بين نوح و قومه: (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ

ص: ٢٣٧

إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ، (١) ينفي عليه السلام عن نفسه ما نسبوا إليه من إتيان الآيه ليعجزوه به، وينسبه إلى ربه ويبالغ في الأدب بقوله: (إِنْ شَاءَ) ثُمَّ بقوله: (وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) أى: الله، ولذلك نسبه إليه تعالى بلفظ (اللَّهُ) دون لفظ (ربى)؛ لأنَّ الله هو الذى ينتهى إليه كل جمال وجلال، ولم يكنف بنفى قدره على إتيان الآيه عن نفسه وإثباته حتى ثناه بنفى نفع نصحه لهم إن لم يرد الله أن ينتفعوا به، فأكمل بذلك نفي قدره عن نفسه وإثباته لربه، وعلل ذلك بقوله: (هُوَ رَبُّكُمْ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

فهذه محاوره غاصه بالأدب الجميل فى جنب الله سبحانه حاور بها نوح عليه السلام الطغاه من قومه محاجاً لهم، و هو أول نبي من الأنبياء عليهم السلام فتح باب الاحتجاج فى الدعوه إلى التوحيد، وانتفض على الوثنيه على ما يذكره القرآن الشريف.

و هذا أوسع هذه الأبواب مسرحاً لنظر الباحث فى أدب الأنبياء عليهم السلام يعثر على لطائف من سيرتهم المملوءه أدباً وكمالاً، و قد حكا الله تعالى فى كلامه محاورات كثيره عن: هود وصالح وإبراهيم، وموسى وشعيب، ويوسف وسليمان، وعيسى ومحمد صلى الله عليه و آله وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام فى حالات مختلفه ك: الشده و الرخاء، والحرب و السلم، والإعلان و الإسرار، والتبشير و الإنذار، وغير ذلك. (٢)

ومن أروع المحاورات المثيره تلك التى دارت بين أبى الأنبياء عليهم السلام إبراهيم الخليل وبين أبيه وقومه، حين استخدم أسلوب المحاوره لإثارة عقولهم وتفكيرهم ليتبينوا عجز الأصنام و الأوثان وعدم قدرتها على إجابة دعوتهم، وعدم قدرتها على النفع و الضر، لعله يوقظ عقولهم الغافله لعلها ترى الحق فتتهدى إليه وتمضى فى طريق الرشاد، ثم يعقب على ذلك بيان صفات الإله الحق الجدير بالعباده، والتوجه إليه سبحانه بقضاء ما يحتاجه العباد. وبذلك يقول الحق، تبارك وتعالى: (وَ أَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ

ص: ٢٣٨

١- (١). هود: ٣٢-٣٤.

٢- (٢). سنن النبى: ٧٩.

ما تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلَ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَادُوا لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . (١)

وكذلك قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ، وبهذا الأسلوب من المحاوره و المُحاجه يمكن أن تصل فكره النبي أو المبلِّغ إلى قلوب أكثر الناس وتؤثر فيهم.

١٤. أسلوب الترغيب و الترهيب

إشاره

للأنبياء عليهم السلام طريقتان وأسلوبان في تربيته وتعليم البشر:

أحدهما: الترهيب و الإنذار و التخويف من عدم تحمل المسؤوليه الملقاه عليهم.

والثانيه: الترغيب و التبشير وبعث الرجاء و الأمل في نفوسهم، لكي يفتحوا قلوبهم وعقولهم لاستيعاب وفهم الرساله السماويه الإلهيه.

و قد قال الراغب الأصفهاني:

الرغبه و الرغب و الرغبى السعه فى الأداء قال تعالى: (وَ يَدْعُونَنا رَغَبًا وَ رَهَبًا) (٣) فإذا قيل: رغب فيه وإليه يقتضى الحرص عليه. قال تعالى: (إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ) (٤). (٥)

ورغبه: أعطاه ما رغب، قال ساعده بن جويه:

ص: ٢٣٩

١- (١). الشعراء: ٦٩-٨١.

٢- (٢). البقره: ٢٥٨.

٣- (٣). الأنبياء: ٩٠.

٤- (٤). التوبه: ٥٩.

٥- (٥). مفردات غريب القرآن: ١٩٨.

لقلت لدهرى أنه هو غزوتى وإنى و إن رغبتنى غير فاعل (١)

أما الترهيب من: رهب، الرهبه و الرهب مخافه مع تحرز واضطراب، قال تعالى: (لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً) ، (٢) قال تعالى: (رَغَبًا وَ رَهَبًا) ، وقال تعالى: (تَزْهَيْيُونَ بِهِ عِيدُوَ اللَّهِ) ، (٣) وقوله تعالى (وَ اسِيْرَتُهُمْ) ، (٤) أى: حملوهم على أن يرهبوا (وَ إِيَّايَ فَمازَهُبُونَ) ، (٥) أى: فخافون. (٦)

وفى الحديث:

<< لا تجتمع الرغبه و الرهبه فى قلب إلا و جبت له الجنة». (٧)

ومن هذا المنطلق أكد القرآن الكريم على سببهما وهما التبشير و الإنذار فى كثير من الآيات الشريفه، وفى هذا قال تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) ، (٨) فهذا الكتاب بشيراً للصالحين نذيراً للمجرمين: بشيراً أو نذيراً إلا أن أكثرهم: (فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) .

فهاتان الصفتان تكشفان عن عمق التأثير التربوى للقرآن الكريم، عن طريق أسلوب الإنذار، والوعيد و التهديد و الترغيب، فأيه تقوم بتشويق الصالحين و المحسنين، بحيث أن النفس الإنسانيه تكاد تطير و تتماوج فى أشواق الملكوت و الرحمه، وأحياناً تقوم آيه بالتهديد و الإنذار بشكل تقشعر منه الأبدان لهول الصوره و عنف المشهد.

ص: ٢٤٠

١- (١). لسان العرب: ٤٢٢/١.

٢- (٢). الحشر: ١٣.

٣- (٣). الأنفال: ٦٠.

٤- (٤). الأعراف: ١١٦.

٥- (٥). البقره: ٤٠.

٦- (٦). مفردات غريب القرآن: ٢٠٤.

٧- (٧). من لا يحضره الفقيه: ١٣٥/١.

٨- (٨). فصلت: ٣ و ٤.

إن هذين الأصلين التربويين: الترغيب و التهديد [هما] متلازمان في الآيات القرآنيه و مترابطان في أسلوبه. (١)

أعلان تربويان

البشاره و الإنذار، أو التشجيع و التهديد، من أهم الأصول اللازمه للتربيه وللحركه الاجتماعيه.

ينبغي أن يلقى الفرد تشجيعاً على أعماله الصالحه، و توبيخاً على أعماله الطالحه، كي يواصل مسيره الأول، و يرتدع عن ارتياد المسير الثاني.

ثم يقول: (التشجيع) وحده لا يكفي لدفع الفرد و المجتمع على طريق التكامل؛ لأن الإنسان سوف يكون مطمئناً من عدم الخطر في حاله ارتكاب المعاصي، و هكذا من يعتقد أن التربيه ينبغي أن تقوم على أساس التخويف و التأييب لا غير.

الفريقان المذكوران خاطئان في فهم الإنسان؛ حيث أن الإنسان يتجاذبه كل من الخوف و الرجاء، حب الذات و كره الفناء، تحصيل المنفعه و دفع الضرر، و هل يمكن لموجود يحمل في ذاته هذين البعدين أن يربي وفق بعد واحد؟

والتعادل ضروري وفق هذين الجانبين، فلو تجاوز التشجيع حدّه لأدى إلى التجرؤ و الغفله، و لو تعدى التخويف حدّه لبعث على اليأس و القنوط و انطفأ شعله الشوق و التحرك في النفوس.

مما سبق نفهم سبب اقتران البشاره بالإنذار أو البشير، ب-النذير في القرآن الكريم، فتارة تقدم كلمه البشير على النذير كآليه التي نحن بصدددها: (مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا)، و تارة تقدم كلمه النذير كقوله تعالى: (إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ)، (٢) و أكثر الآيات القرآنيه في هذا المورد تتقدم فيه صفه البشير، و لعل ذلك يعود إلى أن رحمه الله من حيث المجموع سابقه على غضبه: يا من سبقت رحمته غضبه. (٣)

ولكن لا ينبغي غض الطرف عن كون الإنذار من أوائل الأوامر الربانيه

ص: ٢٤١

١- (١). تفسير الأمثل: ٣٤٩/١٥ و ٣٥٠.

٢- (٢). الأعراف: ١٨٨.

٣- (٣). تفسير الأمثل: ٣٥٨/١.

الموجهه إلى الأنبياء عليهم السلام بدليل عباره: (أَنْ أُنذِرُوا) [فى قوله تعالى: (يُنزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ) ؛ (١)] لأن طبيعه الإنذار أن يعقبه انتباه فهووض وحركه، صحيح أن الإنسان طالب للمنفعه ودافع للضرر، ولكن التجربه أظهرت أن للترغيب أثر بالغ لمن يتملكك أسس وشرائط قبول الهدايه، أما من أعمت بصيرتهم ملهيات الحياه الدنيا فلا ينفع معهم إلّا التهديد و الوعيد). (٢)

وقد أتضح الأسلوبان فى دعوه إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه، قال تعالى: (وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنَّى قَدْ جَاءَنِى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِى أَوْ يَهْدِكْ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنَّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا). (٣)

وهنا نرى [أن] إبراهيم عليه السلام قد استعمل المنهج العاطفى فى دعوته لأبيه وأسلوب الموعظه الحسنه فى شكلى الترغيب و الترهيب، فالترغيب فى قوله: (فَمَا تَبْغِىْ أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا)، والترهيب فى قوله: (إِنِّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا). (٤)

نعم، هكذا نجد القرآن يربى الأمه، فتاره يندرهم ويخوفهم كى يفتح قلوبهم لتلقى الإيمان فيقول تعالى: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِى بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ). (٥) فيعيشون الخوف من العذاب حين

ص: ٢٤٢

١- (١). النحل: ٢.

٢- (٢). تفسير الأمثل: ١٣٠/٨.

٣- (٣). مريم: ٤١-٤٥.

٤- (٤). تاريخ الدعوه: ٤٦.

٥- (٥). الزمر: ٢٢ و ٢٣.

يعيشون آيات القرآن التي تتحدث عن عظمه الله، فيستشعرون الرهبة منه في حاله عصيانه أو التمرد عليه، ويتفاعل هذا الخوف في الحس فيشبهه القشعريره التي تُصيب الجلد، فيما توحى به من حاله النفسيه القَلْبَه أمام تهاويل عذاب الله، ورهبه الوقوف بين يديه، وتتحوّل المسأله بعد ذلك إلى فكر يتأمل، وروح تنطلق وتطوف في رحاب الحق؛ لأن الخوف يثير الشعور بالمسؤوليه الذى يخرج الإنسان به عن أجواء اللامبالاه الفكرية، وبذلك يحصل على طمأنينه الفكر، وهدوء الروح الذى جرى التعبير عنه بالصوره الحسيه، (ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ)، (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ). (١)

وتاره أخرى يبشرهم ويرغبهم ويبعث فى قلوبهم الأمل، فيقول تعالى: (وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا). (٢)

وهى إشاره إلى أن مسأله تبشير النبي صلى الله عليه وآله لا يحد الثواب الإلهي بمقدار أعمال المؤمنين الصالحه، بل أن الله سبحانه يفيض عليهم من فضله بحيث تضطرب المعادله بين العمل و الجزاء تماماً كما تشهد بذلك الآيات القرآنيه، فتقول فى موضع: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا)، (٣) وتقول فى موضع آخر: (مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبِّهِ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ). (٤)

وقد تذهب إلى أبعد من ذلك، فتقول: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)، (٥) وبهذا يفهم أن أبعاد الفضل الإلهي الكبير أوسع وأسمى ممّا يخطر فى التصور و الأوهام. (٦)

ص: ٢٤٣

- ١- (١). فصلت: ١٣.
- ٢- (٢). الأحزاب: ٤٧.
- ٣- (٣). الأنعام: ١٦٠.
- ٤- (٤). البقره: ٢٤١.
- ٥- (٥). السجده: ١٧.
- ٦- (٦). تفسير الأمل: ١٣/٣٠٠.

ومنه الترغيب وبعث الأمل في قلوب العباد الذين أسرفوا على أنفسهم، قال تعالى:

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). (١)

ويلاحظ أنّ الآية الكريمة قد فتحت الأبواب أمام المذنبين وأعطتهم الأمل؛ لأن الهدف الرئيسي من كل هذه الأمور هو التريبه و الهدايه، وليس الانتقام و العنف، فبلهجه مملوءه باللفظ و المحبه يفتح الباري أبواب رحمته أمام الجميع ويضيء در أوامر العفو عنهم، عندما يقول: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا).

إنّ التدقيق في عبارات هذه الآية يبين أنها من أكثر آيات القرآن التي تُعطي الأمل للمذنبين، فشموليتها وسعتها وصلت إلى درجه قال بشأنها، أمير المؤمنين على ابن أبي طالب عليه السلام: << ما في القرآن آيه أوسع من (يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا) » والدليل على ذلك واضح من وجوه:

١. التعبير ب- (يا عِبَادِيَ) هي بدايه لطف الباري عز وجلّ.

٢. التعبير ب- (أَسْرَفُوا) بدلاً من (الظلم و الذنب و الجريمه) هو لطف آخر.

٣. التعبير ب- (عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) بين أن ذنوب الإنسان تعود كلّها عليه، و هذا التعبير هو علامه أخرى من علامات محبه الله لعباده، و هو يشبه خطاب الأب الحريص لولده، عندما يقول: لا تظلم نفسك أكثر من هذا!

٤. التعبير ب- (لا تَقْنَطُوا) مع الأخذ بنظر الاعتبار أن (القنوط)، يعنى: اليأس من الخير، فهذا دليل على أن المذنبين يجب أن لا يقنطوا من اللطف الإلهي بتاتا.

٥. عبارته (مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) التي وردت بعد عبارته (لا تَقْنَطُوا) تأكيد آخر على هذا الخير و المحبه.

ص: ٢٤٤

٦. عندما نصل إلى عبارته (إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ) التي بدأت بتأكيد، وكلمه (الذُّنُوبَ) التي جمعت بالألف و اللام تشمل كلّ الذنوب من دون أى استثناء، فإن الكلام يصل إلى أوجه عندما تتلاطم أمواج بحر الرحمه الإلهيه.

٧. أن ورود كلمه (جَمِيعاً) كتأكيد آخر للتأكيد السابق يوصل الإنسان إلى أقصى درجات الأمل.

٨ و ٩. وصف البارى عز وجلّ ب- (الْعَفُورُ الرَّحِيمُ) فى آخر الآيه، وهما وصفان من أوصاف الله الباعثه على الأمل، فلا يبقى عند الإنسان أدنى شعور باليأس أو فقدان الأمل.

نعم، لهذا السبب فإنّ الآيه المذكوره أعلاه من أوسع وأشمل آيات القرآن المجيد، حيث تُعطى الأمل بغفران كل أنواع الذنوب، ولهذا السبب فإنها تبعث الأمل فى النفوس أكثر من بقيه الآيات القرآنيه، وحقاً فإن الذى لا نهايه لبحر لطفه، وشعاع فيضه غير محدود، لا يتوقّع منه أقلّ من ذلك. (١)

١٥. أسلوب التلقين و التكرار

إشاره

من الأساليب التبليغيه و التربويه التى أعتمدها الأنبياء عليهم السلام هو أسلوب التلقين و التكرار.

والتلقين هو: التفهيم يقال:

لقنى فلان تلقيناً، أى: فهمنى كلاماً ولقنته وتلقنته، (٢) ولقنته تلقيناً فهمته، (٣) وفى حديث الهجره: <<وبيت عندها عبد الله بن أبى بكر و هو شاب ثقف لقن<> أى فهم حسن التلقن لما يسمعه. (٤)

وكذلك على المبلّغ أن يكرر دعوته ويركز عليها فى بدايه كلامه ووسطه ونهايته،

ص: ٢٤٥

١- (١). تفسير الأمثل: ١١٧/١٥ و ١١٨.

٢- (٢). كتاب العين: ١٦٢/٥.

٣- (٣). معجم مقاييس اللغه: ٢٦٠/٥.

٤- (٤). النهايه فى غريب الحديث: ٢٦٦/٤.

فيقوم بعملية الإيحاء المستمر وهي العملية التي يتكرر بها المعنى نفسه بعبارات مختلفه، وبطريقه فعّاله ومؤثره تجنباً للإملال وقصداً إلى تعميق التوعيه بالمعنى المقصود منه.

أنواع التلقين

١. تلقين قولي: هو تكرار لفظ ما مثل: (لا إله إلا الله) و(الصلاه)، حيث أوصى بهما كثيراً.

٢. تلقين عملي: (و هو تكرار عمل ما كما نقرأ في الروايه: «إن لم تكن حليماً فتحلم»). (١) وروى عن الإمام الصادق عليه السلام:

<< من كان كفته في بيته لم يكتب من الغافلين، وكان مأجوراً كلما نظر إليه». (٢)

فرؤيه الكفن هي تلقين بأن الموت حقّ.

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال:

<< لا تلقنوا أولادكم الكذب فتكذبوا؛ فإن بنى يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الإنسان حتى لقنهم أبوهم». (٣)

إذاً: اللازم هو تلقين وتكرار الحق والخير والقضايا الأخلاقية، والقضايا التي هي مورد الابتلاء والاعتبار في المجتمع؛ لأنه ثله قليله من الناس من يدرك الحق ويؤمن به من خلال أول بيان: (كسحره فرعون)، أما الأغلبيه فتحتاج إلى بيان وتلقين وتكرار بصور متنوعه ومختلفه، كي ينفذ إلى قلوبهم وعقولهم، ولذلك ركز القرآن الكريم على هذا الأسلوب وعلى سبيل المثال: تكررت قصه النبي موسى [١٣٦] مرّه وبنى إسرائيل [٣٤] مرّه وأن أكثر من [٩٠٠] آيه تتحدّث عن حياه موسى وقومه.

ص: ٢٤٦

١- (١). نهج البلاغه: كلمه ٢٠٧؛ القرآن و التبليغ: ١٨٤.

٢- (٢). أصول الكافي: ٣/٢٥٦.

٣- (٣). بحار الأنوار: ١٢/٢٢١.

وقضيه عدم الغفلة عن الله و الحضور بين يديه-مثلاً-تكررت حوالى[١٠٠]مره ويتعابير مختلفه نورد هنا نماذج منها:

قوله تعالى: (وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) ، (١)وقوله تعالى: (وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ، (٢)وقوله تعالى: (وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ، (٣)وقوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ لَبَلَمُرْصَادٍ) ، (٤)وقوله تعالى: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ) ، (٥)وقوله تعالى: (وَ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ) . (٦)

و قد تكرر قوله تعالى: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) ، ٣١ مره، وقوله تعالى: (فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ) ١١ مره، وقوله تعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا) ، ٧ مرّات، وقوله تعالى: (وَ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) ، [٥]مرّات، وهكذا تكرر قوله تعالى: (لَا أُعْجِبُ مَا تَعْبُدُونَ ... وَ لَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ...) الآيتان تكرران معنى واحد، وهكذا ولا أنتم عابدون ما أعبد، تكررّت أيضا لماذا؟

ومن هنا قد ذهب بعضهم إلى:

أن الهدف من التكرار التأكيد وبث اليأس فى قلوب المشركين، وفصل المسيره الإسلاميه بشكل كامل من مسيرتهم، وتثبيت فكره عدم إمكان المهادنه بين التوحيد و الشرك. (٧)

فالتلقين و التكرار هذا هو لنفوذ المضمون إلى أعماق الروح....فمن اللازم التكرار فى إبلاغ كلام الله وأوامره على شكل متواصل إلى عباده، ولهذا كثر المرسلون من قبل الله سبحانه توحياً لهذا الغرض. (٨)

ص: ٢٤٧

١- (١) .البقره: ٧٤.

٢- (٢) .الحديد: ٤.

٣- (٣) .المجادله: ١١.

٤- (٤) .الفجر: ١٤.

٥- (٥) .طه: ١١٠.

٦- (٦) .التغابن: ٤.

٧- (٧) .تفسير الأمثل: ٥١٠/٢٠.

٨- (٨) .القرآن و التبليغ: ٢٣٢.

قال تعالى: (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا) . (١) وقال تعالى: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) . (٢)

هذه أهم أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام علماً أن هناك بعض الأساليب الأخرى التي ممكن أن نعتبرها ضمن ما ذكر من أساليب، كأسلوب ذكر العله و السبب و الحكمه، سواء كان ذكر العلل فى التكوين، أو فى التشريع، أو فى الحوادث و الوقائع، وكأسلوب التفصيل بعد الإجمال، غيرهما مما يمكن للقارئ أن يتلمسه بين ثنايا ما ذكر.

ص: ٢٤٨

١- (١). المؤمنون: ٤٤.

٢- (٢). يس: ١٤.

الفصل الثالث: يففه الاستفاده من أساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام فى إعلامنا المعاصر وفيه مباحث

أشاره

ص: ٢٤٩

فى هذا المستوى من البحث، وبعد أن درسنا أهم أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام حصلنا على فائده عظيمه، وهى: أننا نستطيع أن نحدد الطريقه والأسلوب الذى يمكن بواسطته تبليغ المجتمعات المعاصره، خاصه ونحن على اطلاع واسع بأساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام فىكون هذا الجهد- إن استطعنا أن نقله إلى الواقع العملى- قد وفر لنا كثيراً من الجهد والزمن و المال؛ لأننا استطعنا بهذا العمل أن نوظف الطرق والأساليب التى أستخدمها الأنبياء عليهم السلام لتبليغ رساله السماء إلى مجتمعاتهم فى تبليغ مجتمعاتنا المعاصره.

فقد، قدم لنا الأنبياء عليهم السلام خير قدوه وأسوه فى تنفيذ واستخدام هذه الأساليب والالتزام بها مما يعتبر سبباً مهماً وعاملاً مؤثراً لتساع الدين وانتشاره، فعلىنا أن نقتدى بالأنبياء عليهم السلام ونكون مصداقاً واضحاً لقوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) ، (١) وقوله تعالى: (فَبِهْدَاهُمُ اقْتَدِهْ) ؛ (٢) لأن أعمال الأنبياء عليهم السلام وأحاديثهم وخطبهم وأساليبهم هى أكبر مصدر للعلم والثقافه، فهى النموذج المثالى وقد بلغتنا- عن طريق القرآن الكريم- فى أرقى وأوثق صورته، فهى أوسع ثروه تحوى المواد المهمه التى

ص: ٢٥١

١- (١). الأحزاب: ٢١.

٢- (٢). الأنعام: ٩٠.

تُغطى احتياجات العالم الإسلامي، في جميع المجالات لنشر وتبليغ الدعوة، وشرح تعاليم الدين.

فعلينا الاعتماد على أساليب الأنبياء عليهم السلام في تبليغنا، وذلك لما يتركه من أثر عميق في النفوس، حيث لا يوجد في أى وسيلة وأسلوب إعلامي آخر. فعندما نُفهم الإسلام لجيلنا الحاضر، فالحاجة ماسة إلى الاقتداء بأساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام وإرشادهم وليس إلى الأسلوب الفلسفي لبرجسون وباسكال، وأفلاطون وديكارت، بل نحن بحاجة إلى إعلام يقوم على أساليب الإعلام التي جاءت في القرآن الكريم، لخدمه القضايا والمصالح الإسلامية.

إنّ الإعلام في الإسلام يحمل أمانة الدعوة إلى الحق وحُسن تبليغه وامتلاك الحجة والتحلّى بالحكمه، والأخلاق و الصواب في العمل، فتبرز أهميته في المحافظه على حاضر الأُمه ومستقبلها، وتحقيق رسالتها الخالده في الحياه، ورد الغزو الفكري والثقافي عنها، ودحض تيارات الهدم والأفك والعصيان، وحلقات التآمر والبغى، وأساليب الإغواء من التلبيس والتدليس، للنيل من هذه الأُمه وتاريخها وعقيدتها ورموز حضارتها، لتحقيق أغراض ومطامع خسيسه للمبشرين والمستشرقين والشعوبيه والغلاه، تعبر عن الحقد والجفاء والغدر، وإخفاء الحق، وعباده النفس، وحب الجاه والرذّه، والتحريف؛ إذ أن النفوس الضعيفه من هنا وهناك تنساق لهذه التيارات بلا رويه وتبصّر، بل في عمى وإصرار كأنها أدوات صماء جامده.

فكان الإعلام الوسيله المهمه في تزويد الناس بالأخبار الصادقه، والآراء السديده، والحقائق الواضحه، بشكل فني جميل في ضوء الإسلام وآدابه وأخلاقه وعقيدته ومنهجه وفكره، وذلك عن طريق وسائل الإعلام المقروءه أو المسموعه أو المرئيه، وقد أرسى القرآن الكريم معالم الإعلام الصالح في الدعوة والبيان والبلاغ والإرشاد، وركز على العقل والفطره الإنسانيه، واستخدم الأسلوب البياني والبرهاني والعرفاني، ووثق ذلك بشهاده الواقع وتاريخ الأمم السابقيه، ووظف لذلك القصّه والحوار والمناظره والمناقشه والمثل، ثم العواقب التي أفضت إليها المقدمات كشواهد على صدق المعالجه والدعوه. قال تعالى: (قُلْ هُوَ نَبَأٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ)، (1) فجاء الخطاب القرآني ثمره للإحاطه بحال

ص: ٢٥٢

المخاطب من كل جانب، فاهتم بفن صياغه الكلمه، وفن اختيار الكلمه المناسبه، وفن اختيار الوقت المناسب، وأخذ بمبدأ التدرج فى التريه وبناء اللبناث الفكرية و التشريعيه، وبذلك خاطب القرآن الإنسان كله، بعقله وعواطفه وفطرته ومصالحته ومقاصده وتاريخه ومصيره، بما يوقظ وعيه بشكل عام.

وجاءت السنه النبويه للتأكيد على البيان الإعلامى الشامل للسلوك الأمثل و العباده الخالصه، والمعالجه السديده للأحداث و الظروف و المواقف الحرجه، والأعم للحق " بصدق كامل وإخلاص تام، فيه العبر و التناجح و العظات، قال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) ، (١) وقد استعمل الرسول جميع وسائل الإعلام المتاحة له، كالوفود، والخطب، والرسائل، والقصيده الشعريه، والغزوات، والاتصال الشخصى، و هو يخاطب كل فئه بحسب دينها وفكرها ومكانتها فى المجتمع بأسلوب اللين [والحكمه و المواعظه الحسنه و التدرج و التذكير و باقى الأساليب، حسب ما تقتضيه الحكمه]. ووضوح المقصد، وسلاسه العبارة وقوه المنطق وتأثير المعنى.

فالقول و اللفظ إذاً: هو الوسيله الأصلية فى الإعلام الإسلامى، فلا بد أن يكون القول واضحاً بيناً، مفهوماً واضحاً غايه الوضوح، مع التأكيد على استعمال الألفاظ الشرعيه، وهى محدده المعنى واضحه المفهوم، بعيداً عن التكلف و التنطع و الشرثره و التفيهق، ويتصف بروح النصح الشفيق المخلص المتواضع، بقصد التشويق و الحمل على الطاعه، لا المداهنه و النفاق وإخفاء الحق أو تحسين الباطل أو الرضى به، بل يطهرهم من نوازع الجهل و الهوى و النفور و التقليد المذموم، قال تعالى: (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) . (٢)

وأن لا- يتجاهل الإعلام قضايا الأّمه المصيريّه ورسالتها الخالده، ويركز على سفاسف الأمور و تفاهه الماده، بل يتجرد عن الماده التى تفسد الفرد و الأسره و المجتمع، والذوق الجميل و الفن الرفيع و الخصائص الإنسانيه النبيله، فإن العمل الإعلامى الذى لا تحكمه عقيدته واضحه وغايات نبيله وأهداف ساميه، ولا يلتزم

ص: ٢٥٣

١- (١). يوسف: ١٠٨.

٢- (٢). النور: ٥٤.

بالأصول والآداب، ولا- يحافظ على الثوابت، لن يكتب له النجاح، فهو يتحول إلى معاول للهدم بدلاً من أن يكون أدوات للبناء، ومن ثم لن تفلح الأمة أبداً. (١)

وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

<< نظر الله امرءاً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمع، فرب مبلغ أوعى من سامع >>. (٢)

وقال أيضاً صلى الله عليه وآله: << خيار أمتي من دعا إلى الله تعالى، وحب عباده إليه >>. (٣)

ومجمل القول: إنه يمكن أن نستفيد من أساليب التبليغ المتوفّر عند الأنبياء عليهم السلام وأن نطبّقهما على إعلامنا المعاصر.

ص: ٢٥٤

١- (١) د. صباح عبد الوهاب، أخلاقيه الإعلام الإسلامى: ٢٧.

٢- (٢) سنن الترمذى: ١٤٢/٤.

٣- (٣) الجامع الصغير: ١/٦١٥.

قال الراغب:

أعلمه وعلمته فى الأصل واحد إلا أن الإعلام اختص بما كان بإخبار سريع، والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر فى نفس المتعلم. (١)

والفرق بين الإعلام و الإخبار، كما قال الشيخ الطبرسى: الفرق بينهما أن الإعلام قد يكون بخلق العلم الضرورى فى القلب، كما خلق الله سبحانه من كمال العقل و العلم بالمشاهدات، وقد يكون بنص الأدله على الشىء.

والإخبار: هو إظهار الخبر، علم به أو لم يعلم، ولا يكون مخبراً بما يحدثه من العلم فى القلب كما يكون معلماً بذلك. (٢)

والإعلام الإسلامى: هو عمليه الاتصال التى تمثل جميع أنشطه الإعلام فى المجتمع الإسلامى، وتؤدى جميع وظائفه المثلى: الإخباريه و الإرشاديه... على المستوى الوطنى و العالمى...، على أن تلتزم بالإسلام فى كل أهدافها ووسائلها، وفيما يصدر عنها من رسائل و مواد إعلاميه.

فالإعلام الإسلامى: هو أسلوب الحديث لتبليغ رساله الإسلام، ويدخل فى

ص: ٢٥٥

١- (١). مفردات غريب القرآن: ٣٤٣.

٢- (٢). الفروق اللغويه: ٥٩.

مضمونه البشاره و النذاره،والأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فالتبشير إعلام بالخير،والإنذار إعلام بالخطر.

وبعبارة أخرى: أن الإعلام الإسلامى بيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق و الأساليب و الوسائل العلميه المشروعه،والإعلام الإسلامى قبل كل شىء أداءه الدعوه لبلوغ هدفها،فهو إعلام ذو مبادئ أخلاقيه مستمده من دين الإسلام،و هو إعلام واضح صريح عفيف الأسلوب،نظيف الوسيله،شريف القصد عنوانه الصدق وغايته الحق.

ص: ٢٥٦

إذا كان الإعلام في عصرنا الحاضر، يعدّ من أقوى محاور الصراع بين المجتمعات الإسلامية، فإن ذلك نتيجة لما له من تأثير بالغ في الغزو الفكري، وتوريد المعتقدات سواء كانت سياسية أم دينية أم اجتماعية، و صار لذلك علماً له قواعده الراسخة، واتجاهاته الواضحة، ووسائله المتعدده.

ومن هنا تظهر أهمية الإعلام وتتضح مكانته في حياة الناس، لا سيما في ظاهره الاتصال بين الفرد و الشعوب، وهي ظاهره قديمه، قال تعالى: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) ، (١) وأعتبر الإعلام في عصرنا هذا لتغيير الشعوب وصبغتها بالصبغه التي تريد حتّى أطلق عليه عصر الإعلام؛ لا لأنّ الإعلام ظاهره جديده في تاريخ البشرية، لا بل لأنّ التكتيك الحديث في الإعلام المعاصر قد بلغ غايات بعيدة جداً في سعه الأفق وعمق الأثر وقوّه التوجيه.

وكلّما كان السلاح الإعلامى أكثر تأثيراً وفاعليه كانت المسؤوليه المترتبه على حمله أخطر وأشد، ولأهميته ومكانته جعل من أهم وظائف الأنبياء عليهم السلام. ونحن اليوم

ص: ٢٥٧

مسؤولون عن إحياء أساليبه التي استخدمها الأنبياء عليهم السلام في حياتهم الإعلامية و التبليغيه، فينبغي توجيه الإعلام في الدول الإسلاميه نحو الأصاله و الذاتيه النابعه من قيم الإسلام ومبادئه، وتنقيه الإعلام إلى جانب التعليم من المؤثرات الغربيه العلمانيه الإلحاديه.

حيث إن الإعلام الناجح يعدّ شاهداً على العصر الذي يعيش فيه، وهو مرآة تعكس ما يدور في مجتمع من المجتمعات بما ينقله من وسائل واقعيه وأخرى خياليه تقدم للجماهير فلسفه الحياه وأنماطها بما تزخر به من قيم ومبادئ ومعايير واتجاهات.

فعلى المسلمين، وبالذات العلماء و المبلغين و الدعاة أن يدركوا أهميه الجانب الإعلامى، وأن يتداركوا أحوالهم؛ لأن عالميه الرساله تقتضى عالميه الخطاب، وعالميه الخطاب لا تبلغ مرادها المطلوب: ما لم تكن عندنا قدره على فهم العالم بعقائده وثقافته وتاريخه، ومشكلاته وتطلعاته... ومعرفة الأساليب و الوسائل الإعلاميه الحديثه واستخدامها إلى خدمه قضايا أمتنا، ونشر عقيدتنا وفكرنا فنحولها إلى الوجهه الصحيحه لتخدم الأهداف النبيله.

وأساس كلّ هذا، الفهم و التعرّف على أسس ومنطلقات وقواعد الإعلام فى الإسلام، وتبيين أهميته وأهدافه... وهذا ما سنسلط عليه الضوء....، فأأن الحاجه ماسه وملحه إلى إعلام يقوم على أساليب الإعلام التى جاءت فى القرآن الكريم وسيره الأنبياء عليهم السلام و الحاجه متزايده إلى استنبات وإحياء الطاقات المبدعه و الموهوبه فى عالمنا، فإن إعلامنا الإسلامى بحاجه إلى إحياء لا إلى إنشاء، فيمكننا إحياءه وإنعاشه فى كلّ مجالات الحياه، ويمكن أن يتدخل فى كل قضيه من القضايا بالدور الملائم و المناسب، ومن المجالات التى يمكن أن يتدخل ويحيا بها الإعلام:

١. إحياءه فى المجالات العقائديه: وذلك بإبلاغها للناس صافيه نقيه، وترسيخها فى نفوس المدعويين، ورد الشبهات التى تثار من قبل المناوئين لصد الآخرين عن الوصول إليها، والاعتقاد بها.

٢. إحياءه فى المجالات الثقافيه: وذلك من أجل تعميم الوعى و الفهم، والمجالات التعليميه للتفقه و المعرفه، والمجالات التربويه من أجل إيجاد الفرد الصالح السوى.

٣. إحياءه فى المجالات الاجتماعيه: الراميه إلى تماسك المجتمع و ترابطه، وترسيخ معانى الأخوه و المحبه و الإيثار فيه، وغرس روح التعاون على البر و التقوى فيما بينه، وتبدأ أهدافه الإصلاحيه بالفرد، ثم الأسره، ثم المجتمع، ثم الحكم فى آن واحد.

٤. إحياءه فى المجالات الاقتصاديه: الراميه إلى تحسين أوضاع الأمه فى الكسب و الإنفاق و ترشيدها فى الأخذ و العطاء، والحمايه من الغش و الاحتكار، والتحذير من النهب و الاستغلال، والمحاربه للربا و أكل الحرام، وعرض أفضل الطرق و أيسرها للتجاره و إداره الأموال دون أن توجد فى الأمه ضيقاً و عنتاً، أو تسبب للدوله أزمه و خنقاً.

٥. إحياءه فى المجالات السياسيه: للتوجيه و الإرشاد، والنصح و المشوره، والتسديد و الإصلاح، و توثيق العلاقات و تنسيقها بين الحاكم و الأمه على أساس من العدل و الطاعه و الالتزام، والرعايه لمصالح الأمه، والمحافظة على أمنها و حريتها، هذا فى الداخل، و تنظيم العلاقات الدوليه و تنظيم مسارها سلماً و حرباً، و صداقه و معاهده و....

٦. إحياءه فى المجالات العسكريه الجهاديه: للتوعية و الاستنفار و رفع الروح المعنويه فى صفوف المجاهدين، وللحرب النفسيه فى الأعداء المحاربين، ثم لكشف المخططات و فضح المؤامرات، وللإسهام فى التعبئه العامه و الإعداد الشامل من الناحيه الفكرية و المعنويه و الروح القتاليه...

٧. إحياءه فى المجالات الترفيهيه: للتسلية و الترويح، ولتجديد النشاط و أداء الواجبات و القيام بالمسؤوليات، كما أنها أيضاً للتدريب على معانى القوه و وسائل الجهاد فى سبيل الله، و هذه من مميزات و خصائص اللهو و الترفيه الإسلامى؛ لأنه لهو يريح القلب و يدخل السرور و المرح على النفس، و فى نفس الوقت يتعلم منه الجد و النشاط فى العبادات، ولذلك كان الترفيه فى الإعلام الإسلامى منضبطاً بكونه لا

يتنافى مع الآداب وحسن الأخلاق، ولا- يتحول إلى عادة في كل صباح ومساءً، ولكن كما في الحديث الشريف: <<ساعه وساعه>>، (١) روى عن أمير المؤمنين عليه السلام: <<أنّ القلوب تملّ كما تملّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة>>، (٢) وعنه أيضاً عليه السلام: <<روحوا القلوب، فإنها إذا أكرهت عميت>>. (٣)

هذه جملة من المجالات التي يمكن أن يحيى فيها الإعلام الإسلامى ويحقق غاياته النهائية في نشر وتعميم الخير والإيمان في شتى بقاع الأرض للدنيا والآخرة.

إذاً: فشرط وأساليب التبليغ و الإعلام الصحيح موجوده فى تراثنا، لا كما يتصوّر البعض بأن هذه الشروط و الأساليب و الفنون فى الإعلام و التربيه هى من المبتكرات الحديثه التى ابتكرها الغرب وأخذناها منهم، بل هو موجوده فى تراثنا و كتبنا وسيره أنبيائنا عليهم السلام، و تدخل فى جميع المجالات و تنظم جميع شؤون الحياه، لكنّها تحتاج إلى إحياء و إنعاش و لذا لا بدّ أن يبذل جهد كبير فى سبيل إحياء كل ما أميت أو يسعى لأماتته ممّا جاء فى تراثنا، فإذا أحيى و أصل و بين المنهج و الأسلوب و الفنّ الصحيح فى التبليغ و الإعلام، و أثبتت قواعده و اتضحت أمنا عليه من التحريف و التأويل البعيد الشاذ، و أمنا عليه من أن تتلاعب به الأهواء و شهوات الافتتان أو شهوات الاغتراب، و بهذا يكون كل شىء واضح بيناً محصناً تجاه كلّ دخيل و غريب، سائغاً للعاملين.

ص: ٢٦٠

١- (١). المعجم الكبير: ١١/٤.

٢- (٢). نهج البلاغه: ٢٠/٤. انساب الأشراف: ١٣٥.

٣- (٣). المهذب البارع: ١٧٣/٣.

المبحث الثالث: قواعد الاستفادة من أساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام

ما يزال الاهتمام بتأصيل قواعد الإعلام وأصوله وممارساته من وجهة النظر الإسلامية محدوداً متناثراً، والمطلوب: أن يتصاعد الاهتمام العلمي بالإعلام الإسلامي تأصيلاً لقواعده وحثاً على الالتزام بضوابطه. فيجب علينا اتخاذ الطريق الصحيح، وذلك عبر التوصل إلى منهج علمي وقواعد صحيحة وواضحة يتم على أساسها التخطيط لإعلامنا الإسلامي....

والحقيقة أنّ الحاجة إلى مثل هذا المنهج وهذه القواعد أضحّت اليوم أكثر أهميه و الحاحاً من أى وقت مضى، ومن هنا فنحن اليوم بأمس الحاجة إلى الاستفادة من القرآن الكريم و الأنبياء عليهم السلام ومنهجهم فى العمليه التبليغيه الإعلاميه التغييريه الإصلاحيه، من أجل تغيير وإصلاح أحوال المسلمين وسوقهم باتجاه الإسلام و الخير، وتعميق الجذور و العلاقات و النظم الإسلاميه فى المجتمع الإسلامى، وإشاعه النور و الهدى فيه بدلاً من الظلام و الضلال.

ولا شكّ أننا يمكننا أن نستفيد من أساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام فى تبليغنا وإعلامنا المعاصر، وذلك ليس بالشى الغريب بعد أن كانت هناك كثير من الروابط و المشتركات بين مجتمعاتنا المعاصره وبين تلك المجتمعات الغابره، فأن الإله واحد، والدين واحد- هو الإسلام-والأنبياء عليهم السلام يعيشون-أيضاً-وحده الأهداف و الغايات و الوسائل و الأساليب....والإنسان هو الإنسان فى كل زمان فى نوازه و ميوله.... فى مشاعره وأحاسيسه، فلن

يختلف الخط العام للأسلوب الحكيم الذي ينفذ إلى تلك المشاعر و الأحاسيس، ويطمأن من تلك النزعات و الميول، بل تختلف كفياته وأشكاله ووسائله تبعاً للتطور الفكرى و العقلى والاجتماعى و الثقافى، حسب التطور الزمنى.

ويمكن أن نعرض هنا بعض القواعد المهمّة التى توضح كيفية الاستفادة من أساليب الأنبياء عليهم السلام فى إعلامنا و تبليغنا المعاصر وهى كالتى:

القاعده الأولى:المعرفة التامه بأساليب الأنبياء عليهم السلام التى اعتمدها فى مسيراتهم التبليغيه، وبيانها وتوضيحها وبلورتها بصوره مرتبه وجليه ومنظمه وشامله ومستوعبه لكل أسلوب من الأساليب، و قد تعرضنا لها فى بحوث سابقه.

القاعده الثانيه:المعرفة التامه بكيفية استخدام الأنبياء عليهم السلام لكل أسلوب من الأساليب وبشرائطه الزمانيه و المكانيه، والإحاطه الشامله بكل الشرائط و الظروف الأخرى التى ينبغى أن تتوفر حين استخدام أى أسلوب ما.

فمثلاً:نكون على علم بأن الأنبياء عليهم السلام فى أى ظرف وبأى شرائط استخدموا أسلوب اللين؟ وبأىها استخدموا أسلوب الموعظه أو التذكير؟ وهكذا، ينبغى معرفه خصوصيات و ظروف استخدام كل أسلوب من الأساليب.

القاعده الثالثه:وهى عبارته عن المعرفة التامه و الإدراك الواسع و الكبير-من المبلغ أو الإعلامى-للعصر الذى يعيش فيه، وفهم معانيه، وتفسيراته، ووارداته، وأن ينجح فى ذلك ويتواء معها، فإذا انحسرنا داخل قشورنا، واستغرقنا فى الانزواء و العالم يسير سابل الزمام، فلا يكون لنا أى دور فى هذه الحياه وحبسنا فى عداد الموتى.

إذاً:فلا بدّ من الإحاطه بالعصر وبمستوى المخاطب الاجتماعى، وبناء الثقافى، فمبلغينا و المنشغلين بالإعلام فى عصرنا الحاضر بحاجه ماسه إلى متابعه ما وصل إليه العصر من علوم وفنون وتطور، وبخلافه يضلّ تبليغهم وإعلامهم تبليغاً واعلاماً خاصاً لا

يشمل، ولا يسع الناس عامه؛ إذ لا يمكن من يجهل ثقافته عصره ومدى فهمه وأسلوب خطابه أن يفهم إنسان عصره شيئاً.

القاعده الرابعه:المحاوله و السعى و التأكيد على الربط و المقارنه بين كل ظرف و شرط زمانى أو مكانى أو أى شرط آخر نعيشه فى حياتنا المعاصره بشيئه ومثيله فى زمان الأنبياء عليهم السلام ومعرفه ودراسه الطريقه و الأسلوب الذى استخدمه الأنبياء عليهم السلام فى معالجه تلك الظواهر و الحالات الاجتماعيه وغيرها فى تلك المرحله وفى زمانهم, وتطبيق تلك الحاله المشخصه وطريقه وأسلوب معالجتها على الواقع المعاش فى هذا العصر،فأن الأيام و الأحداث تتكرر على مرّ العصور،والتاريخ يعيد نفسه؛لأنّ حركه التاريخ محكومه بسنن تاريخيه ثابتة جعلها الله تعالى مسيطره على حركه الإنسان وحاكمه عليها،وعلى طور خطّ حركه البشرى لهذه الحالات وأستهدف معالجتها وتغييرها وإصلاحها.

القاعده الخامسه:توعيه وتعريف الناس بمدرسه الأنبياء عليهم السلام ومناهجهم وأساليبهم،والتركيز على إيقاظ ضمائر المخاطبين وفطرتهم،ثمّ العمل بما ينبغى وما من شأنه أن يدفعهم نحو التفكير و التأمل.

فينبغى أن تكون أول رساله تنقل إلى الجماهير،هى أنّ منهج التكامل الإنسانى هو المنهج الذى بعثه الله تعالى مع الأنبياء عليهم السلام،و هو لا يقتصر على المصالح المعنويه والأخرويه،بل يضمن أيضاً مصالحه الماديه و الدنيويه،وفى حاله تحقق المجتمع الإنسانى الذى كان ينشده الأنبياء عليهم السلام،يعيش المرء أطيب حياه فى الدنيا والآخره.

القاعده السادسه:السعى الحثيث،وبذل الجهد الكبير،والإصرار على تطبيق،واستخدام،وتجسيد شروط وأساليب تبليغ الأنبياء عليهم السلام فى التبليغ و الإعلام،وتهيئه الأجواء الملائمه لتحقيق أركانہ-التبليغ-الأخلاقية و العلميه و العمليه،فى هذه المهمه العظيمة- مهمه الأنبياء عليهم السلام و التى يسميها القرآن الكريم(تبليغ رسالات الله)فعلى المبلّغ أن يتعمّد ويصر على امتثال واعتماد أساليب الأنبياء عليهم السلام فى تبليغه،وعرض

بحوثه وموضوعاته التبليغيه و الإعلاميه، ويسلسلها حسب أهميتها، وعليه أن يعلم ماذا يجب عليه أن يطرحه، وبأى أسلوب يبينه للناس، ومن أين يتدئ بالكلام، وما هي الجبهه التي يسوق فيها مسار البحث.

القاعده السابعه: تشخيص أسس الواقع المنحرف وطرح البدائل الصالحه، وأهم نقطه يجب التأكيد عليها هي ما أكد عليها جميع الأنبياء عليهم السلام، وتصدرت دعواتهم وتبليغهم، ألا وهي: التوحيد وعباده الله، حيث يعجز النبي أو المبلّغ عن الوصول إلى أى هدف من أهدافه أو أى غايه من غاياته بسواها، فالتوحيد هو الأصل و الأساس و الجذر الأول الذى ينبغى علاجه فإذا عولج أصبح النهج السليم لعلاج جميع الأعراض و الظواهر التي لا تعدو كونها نتائج له، وهذه هي من أهم القواعد و الخصائص فى الحركات الرساليه.

قال تعالى حكاية عن نبيه نوح عليه السلام: (قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُوا أَوْيَاعَهُمْ) (١) فبعد أن شخص المرض والانحراف و هو الشرك أعطى البدائل و الدواء و هو عباده الله و التقوى و الطاعه، ونستطيع القول: أن عباده الله بديل للأصول المنحرفه، والتقوى بديل للفروع الخاطئه، والطاعه للقياده الرساليه من أجل إصلاح الممارسات اليوميه السلبيه. وبهذا يعرف الناس بعد هدم واقعهم أنهم يسيرون إلى الأمام، حيث أن البدائل المطروحه هي كفوءه وواضحه وكافيه لاستبدالها بواقعهم.

وعليه فما نشهده اليوم من البحوث النفسيه المتعدده و الدراسات الكثيره حول وسائل وأساليب التأثير على الآخرين، يعتبر شيئاً تافهاً فى مقابل عظمه المنهج القرآنى، خصوصاً وأن البحوث هذه عادةً ما تتعامل مع ظواهر الإنسان وتستههدف الكسب السريع العاجل ولو من خلال التمويه و الخداع، ولكن البرنامج القرآنى يخوض فى أعماق النفس البشريه، ويؤسس قواعد تأثيره على مضمون الإيمان و التقوى.

ص: ٢٤٤

إذا: فالجدير بنا اليوم أن نلتزم ببرنامج ديننا، ونعمد إلى نشر رسالتنا في عالم متلهف إلى قيم السماء.

ولا- بد لنا هنا من ذكر بعض النماذج التطبيقية لبعض أساليب الأنبياء عليهم السلام في عصرنا الحاضر لنستخلص منها النتيجة النهائية و الحاسمه، التي تطبع أساليبنا بالطابع القرآنى النبوى الواقعى:

١. أسلوب الحكمة: فلا- بد لنا من اعتماد الحكمة فى تبليغنا وإعلامنا الحاضر، وأن نفهمها الفهم الصحيح، ونضع الأمور فى مواضعها، فالحكمة قد تقتضى اللين تاره كما فى دعوه موسى عليه السلام لفرعون، قال تعالى: (أذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) ، (١) و قد تقتضى الشدّه تاره أخرى، كما فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام أيضاً: (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) ، (٢) وكذلك بالنسبه لنبينا صلّى الله عليه وآله، فتاره يقول لقريش: <<اليوم يوم المرحمه، اليوم أعز الله فيه قريشاً>>. (٣)

وتاره يواجه مشركى قريش بما يكرهون حين أشدّ شرهم، وأخذوا يثيرون الفتن و الشبهات، فقال صلّى الله عليه وآله لأبى خلف [حين استفهم بصوره إنكار، عن إمكان إحياء العظام وهى رميم]:

«يحيى الله هذا، ثم يميتك، ثم يبعثك فى الآخرة ويدخلك النار». (٤)

و إذا أردنا أن نمثل لاتخاذ أسلوب الحكمة وتطبيقها فى عصرنا الحاضر فمن مصاديق الحكمة أن نجمع بين البرامج الجذابه و البرامج التى قد يحصل للإنسان منها الملل و الضجر، كالجمع بين الأحكام و الكمبيوتر، والقرآن و الخياطه مثلاً، أو قبل بثّ برنامج سينمائى ممتع أو مسرحيه، يستغل المبلّغ الفرصه المناسبه ويبين رسالته وهدفه

ص: ٢٤٥

١- (١). طه: ٤٣ و ٤٤.

٢- (٢). الإسراء: ١٠٢.

٣- (٣). السيره الحلبيه: ٢٢/٣.

٤- (٤). تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٣٠/٣.

من خلال (١٠-١٥) دقيقه، فيمكننا طرح ما يجرى من الخلافات في ساحتنا الإسلاميه، كما في الخلافات بين السنه و الشيعه.

فقد لا- يكون من الحكمة أن نبادر إلى طرح قضايا الاختلاف و النزاع بينهما في بدايه اللقاء و الحوار، سواء ما يتعلق منهما بتفاصيل العقيدة أو بموضوع الخلافه أو بمفردات الشريعة، بل علينا أن نعمل على طرح موارد الوفاق، أو ما تقتضيه الحكمة؛ لأننا إذا اتبعنا الأسلوب الأول، فأنا نوحى إلى الطرف الآخر بأن الموقف هو موقف صراع يبحث فيه كل طرف عن أدواته التي يحارب بها الطرف الآخر، أو عن الكلمات و المواقف التي يحاول أن يسجل من خلالها نقطه على حساب الفريق الثاني، فتكون الروح التي تحكم الساحة هي روح المعركه الحاده.

أما إذا اتبعنا الأسلوب الآخر بأن آثرنا القضايا المتعلقة بأسس العقيدة و الشريعة، وأكدنا عليها في استعراض شامل يستوعب أكثر هذه الجوانب، فأنا سوف نعيش الجو الروحي الإسلامى الواقعى، والأجواء الحميمه التي تثير المشاعر الإنسانيه بالعاطفه.... ممّا يحقق للموقف مزيداً من المرونه و الشعور بالمسؤوليه، فيساعد على الوصول إلى القناعه الموحده أو المتقاربه؛ لأنّ هذا الأسلوب يجعل القضيه سائره في الاتجاه الفكرى الذى يلاحق أدوات الفكر وروحياته وأساليبه، ولا يجعلها سائره في الاتجاه الانفعالى الذى يعتمد على عناصر الإثارة في المشاعر و الأفكار و الكلمات.... وبذلك نبتعد عن أجواء التعصب الذى يتجمد فيه الإنسان أمام قناعاته الخاصه، ولا يتحرّك خطوه واحده إلى الأمام في مجال التبليغ و الإعلام، ومجالات اللقاء مع الآخرين، فيبقى متوقع على مواقعه الفكرية و العمليه، بروح متمزته حاقده.

إذاً: فيمكننا من خلال اعتمادنا أسلوب الحكمة أن نصل إلى نتائج كبيره، وتحصيل قناعات نهائيه تضمن لنا النجاح في وظيفتنا التبليغيه.

٢. الحوار و المناقشه: إنّ الحوار و النقاش و التفاهم هو سبيل وسيط للوصول إلى نقطه اليقين فيما يسمع أو يقرأ أو كليهما معاً.

إنّ الإعلام اليوم يمر بمرحلة جديدة في عناوينها، وتفصيل مضامينها، وعروض موادها المرئية و المسموعة و المقروءة، وهي مرحلة تدعو المشاهد إجباراً أن يكون طرفاً متحاوراً معها، ولو من خلال حوار الذات الإنسانيه مع الأحداث التي تحتاج إلى امتلاك ملكه البصيره قبل البصر.

ومن هنا يمكننا أن نوظف الحوار في إعلامنا المعاصر، ونوصل من خلاله رسالتنا إلى كل العالم، على شرط أن يكون مقدموا البرامج الحوارية، ما كان منها سياسى أو ثقافى أو اجتماعى على خلفيات ثقافيه وإمام كامل ببرنامجهم الحوارى، لا أن يتحول الحوار إلى سؤال وجواب، وبذلك يفقد البرنامج صفه الحوار الحرّ المفتوح، الذى يشبع رغبه المشاهد، من خلال إشباع الموضوع المطروح للحوار و المناقشه.

٣. الحسم: نحن اليوم بحاجة إلى تطبيق أسلوب الحسم، والتأكيد على عقيدتنا وثوابتنا فى مواقع خاصه، وخصوصاً حينما نسمع بعض الكلمات و الأفكار التي تثار أمام عامه الناس من خلال ما يطرحه الكفر والانحراف من مبادئ، كالشيوعيه، والاشتراكيه، والديمقراطيه، وغيرها من المبادئ الفلسفيه، والاقتصاديه، والسياسيه، فيحاولون الإيحاء للمسلمين البسطاء بالتقاء الإسلام بها وانتماءه إليها فى مفاهيمه وتشريعاته من أجل أن يضلّلوهم ويسدّوا عليهم طريق الاعتراض و المناقشه، أو يحزّضوهم -بصوره غير مباشره- على تغيير مضمون دينهم وإسلامهم بما يتناسب مع هذه المبادئ.

من بعض مظاهر ذلك، أنّ بعض المبلّغين أو الإعلاميين قال: إنّ الإسلام ديمقراطى، حين قال قائل الكفر: أنّه استبدادى.

وقال: إنّ الإسلام لا- يهاجم أحداً ولا- يفتح بلداً، حين قال قائل الكفر: أنّه انتشر بالسيف، وقال: إنّ التعدّد رخصه لا- تباح إلّا لضروره، حين قال قائل الكفر: أنّه ظلّم المرأه.

وقال الزائغ: إنّ اليهود و النصارى مؤمنون ولهم فى الجنه نصيب، حين قال الزنديق: إنّ الإسلام يلغى الآخر ولا يعترف به.

إذا فحن بحاجه إلى تطبيق أسلوب الحسم و الإصرار على عقيدتنا ومبادئنا فى كثير من الحالات، فنقف بوضوح ودون مدهانه ونقول كما فى قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ). (١)

٤.المقارنه:يمكننا استعمال أسلوب المقارنه حالياً حينما نقارن بين الشعوب الكافره و الشعوب المؤمنه وحالاتها وأخلاقها وانسجامها، وأن نقارن مثلاً بين الشعوب التى تسعى للحرب و القتال، وبين الشعوب الآمنه و التى تطلب السلام، وهكذا يمكننا أن نوصل كثير ممّا عندنا وممّا نحمله من رسائل بهذه الطريقه و هذا الأسلوب، و هو أسلوب المقارنه.

٥.بيان المشتركات:فيمكننا دعوه المشركين أو أهل الكتاب إلى ما نحن متفقون عليه قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ...)، (٢)فتركز على المشتركات بيننا ومن أهمها عباده الله، فالمولى سبحانه وتعالى لا يرضى عمّن يتعامل بسوء مع من يذكره، ولا ممّن يقطع الصله ممّن ارتبطوا به، ولو بكلمه التوحيد وحدها.

وفى الحقيقه إنّ مدى ارتباط المبلّغ بالله سبحانه يتبين ممّا يمده من عرى العلاقه مع كلّ من له ارتباط بالله، فمقياس علاقتنا مع مخاطبينا هو نسبه علاقتهم بالله سبحانه، والمبلّغون و الإعلاميون و المرشدون ينبغى أن يراعوا هذا الأمر أكثر من غيرهم، فيدعون الناس لا إلى مشربهم الخاص بل إلى الله إذا كان المدعو كتابى أو إلى الإسلام-إذا كان المدعويين من مذاهب مختلفه-ولعل انبساط هذا الشعور، وتأكيده و الإصرار على هذا الأسلوب هو أهمّ عامل فى دفع الجماعات و المشارب المختلفه إلى الاتحاد وجعلهم كالجسد الواحد.

٦.التدرّج:فبإمكاننا اليوم اعتماد أسلوب التدرّج فى فرض قانون أو أمر معين، أو

ص:٢٤٨

١- (١). الكافرون: ١ و ٢.

٢- (٢). آل عمران: ٦٤.

علاج ومنع أمر مستشري في المجتمع كمنع التدخين أو غيره من الأمور التي تصعب معالجتها ومنعها مباشرة، فعلينا الاستفادة من أساليب الأنبياء عليهم السلام في كيفية معالجه أمثالها في عصورهم، كمعالجه الإسلام لشرب الخمر وانتشار الربا باعتماد أسلوب التدرج في ذلك.

هذه نماذج مميّا يمكننا استفادته من أساليب الأنبياء عليهم السلام في تبليغنا وإعلامنا المعاصر، علماً أن بإمكاننا الاستفادة من جميع الأساليب الأخرى، كالتذكير، والتمثيل و التشبيه، والاحتجاج، والجدل، والاستفهام، والترغيب و الترهيب، والتلقين، وتطبيق كل أساليب الأنبياء عليهم السلام.

ص: ٢٦٩

إنّ ميدان الإصلاح و التغيير الواقعي يتمّ عبر الإسهام الإيجابي في إصلاح أوضاع المؤسسات الإعلامية القائمة في العالم الإسلامي، بأن يبدأ الإصلاح الواقعي من محاوله إيجاد قنوات التواصل و التعاون بين المهتمين بشؤون التبليغ و الإعلام و الإرشاد الإسلامي.

قد مضى زمان كان التبليغ و الإعلام فيه قائم على جهود فرديه، واجتهادات شخصيه، أثمرت خيراً أحياناً، وخلفت شرور في أحيان أخرى، أمّا في زماننا هذا فلا بدّ أن يتوفّر التخطيط للتبليغ و الإعلام على هيئات ورجال، وبحوث ودراسات؛ حتى ندرّك من سبقنا و نصلح ما أفسد غيرنا، أمّا التخبّط و الارتجال و الفوضى، فلا تصلح لزمان قد صارت فيه لغه الأرقام و الإحصائيات هي المعوّل عليها في كلّ شيء، فالإعلام اليوم يعدّ علماً له قواعده و أصوله، و الممارسه العمليه لم تُعدّ كافيه للتقدّم في المسيره الإعلامية من صحافه مكتوبه و مرثيه و مسموعه، و سينما و إعلان و دعايه... إنّ معظم دول العالم قد أنشأت معاهداً و مراكزاً جامعيه للتخصّص في دراسه علوم الإعلام و فنونه.

و إذا قرأنا في تاريخ الإعلام و تطوّر وسائله و أساليبه سنفهم لم وصف هذا العصر بعصر المعلومات و المعلوماتيه، و يمكننا القول أنّ الأقوياء هم الذين يمتلكون الإعلام، و يسيطرون على قنوات الاتصال التي ينتقل الإعلام من خلالها إلى الجماهير الواسعه فتتأثر به و يؤثر بها.

وقد أدرك أعداؤنا من اليهود الصهاينة، وقوى الاستكبار و الضلال، قوّه وتأثير سلاح الإعلام على الرأى العام و الدعايه السياسيه، ممّا دفع بالمنظّمات الصهيونيه إلى امتلاك أهمّ وأكبر المؤسسات الإعلاميه فى العالم، لتحقيق استراتيجيها فى العالم، وتشويه صورته المسلمین أمام الرأى العام العالمى، فحصرت ملكيه هذه الوسائل، سواء فى داخل إسرائيل أو خارجها بمؤسّسات و تنظيّمات تلتزم تنفيذ سياستها على تحقيق مآربها، ولكسب المزيد من الرأى العام العالمى لتأييد إسرائيل من جهه، وتشويه صورته المسلمین من جهه أخرى.

وهكذا الأمريكيون و الغرب بصوره عامه، فقد سخّروا مؤسّساتهم ووسائلهم الإعلاميه المتعدده، وأساليبهم الإخباريه المختلفه لخدمه أهدافهم، وتعزيز سيطرتهم، وفرض نفوذهم وسلطتهم على شعوبنا الإسلاميه، الغنيه بالثروات و الخيرات، وكسب الرأى العام لذلك من خلال التضليل الإعلامى، فأتخذ الأمريكيون -مثلاً- محطات بعينها، وضيقتها تبرّر حروبها على العالم بسلاسه المنطق، وتنوّع الأساليب، خاصه وأنها تقدّم تحت شعارات جذابه مثل الديمقراطيه، وإحلال السلام، وتمكين الإنسان من نيل حقوقه التى افترستها الأنظمه الشموليه القمعيه، هكذا يسعون ويعملون لتضليل الناس، ومن هنا تعظم مسؤوليتنا فى تحمل مهام المواجهه التبليغيه و الإعلاميه، ونشر ما نحمله من رساله إلى العالم، ولا نبخس المصلحين الغيارى جهودهم فى المحافظه على سّم وارتقاء أمّتهم وحفظ مستقبلها من الضياع، ولكن نجدها بدايات متواضعه، واجتهادات بسيطه لا تمكنهم من الاضطلاع بمهامّ تبليغيه إعلاميه أكثر تأثيراً، وأوسع انتشاراً، وعليه فلا بد من التوجه إلى الجهد الجماعى، والعمل المؤسّساتى الذى يعد اليوم ركناً بالغ الأهميه فى أكثر مرافق الحياه العامه، فمن الصعب العثور على جهود فرديه ناجحه ومثمره ومؤثره إلّما فى حالات قليله ونادره، فالعلوم لم تعد بذلك الحجم الذى يمكن لفرد واحد استيعابها وحل معضلاتها، والحياه السياسيه والاجتماعيه بلغت من التعقيد و التداخل حدّاً، يجعل الفرد نقطه أمام بحر عظيم من الأحداث و الوقائع المتلاحقه و المتلاطمه.

ويقوم هذا الجهد الجماعى على مبدأ الاستشاره، وعلى مبدأ تبادل الأفكار و الآراء، وقلع

جذور الاحتكار والاستبداد العلميين و العملين، و هو ما من شأنه عادة ترشيد الأفكار وتحسين الأداء وديمومه التكييف و التفاعل، و تجويد الإنتاج و رفع مستوى الوعي العام و العقل الجمعى.

و يؤيد هذا ويشهد له كثير من النصوص القرآنيه و الروائيه، و كذلك الوقائع التاريخيه، سيما ما جرى فى تجربته النبويه الرائدته فى المدينه المنوره.

وعليه فحينئذٍ يمكننا أن نوجه خطاب موحد نخاطب به الغرب و الشرق و نوضح فيه عظمه الإسلام و سماحته، و نظرحه بأقوى ما يمكن عن طريق المحاضرات، و الندوات، و اللقاءات، و المنشورات و الدعايات، فى الصحف و الكراسات، و الإذاعات، و على شبكه الإنترنت و الفضائيات لما تتمتع به من سعه فى الانتشار و التأثير خاصه لدى الجماهير فى المجتمعات الناميه، و تسخير الجهود من مال و رجال، و خبرات و وقت، و قبل ذلك التخطيط المناسب لتنفيذ ذلك فى كل أنحاء العالم، و على كافه المستويات.

ولابد من أن نشير هنا إلى ضروره بقاء المؤسّسات و القائمين عليها على الأهداف و الغايات الإسلاميه الحقه، و أن لا تتحوّل إلى دكاكين، و أن لا يكون المال غايه بعد أن كان وسيله؛ كما نشاهده فى كثير من المؤسّسات الدينيه التى انطلق أصحابها من موقع الفكره الرساليه فى البدايه، حتى إذا اندمجوا فيها و عاشوا فى الأ-جواء الماديه التى تفرضها العلاقات و الالتزامات، تحولوا إلى أشخاص جامدين لا يملكون أيه حيويه، و روحيه فى هذا المجال، بل ربّما تبدأ العقليه الفرديه الضيقه فى التحكم بطبيعته المؤسّسات و خطواتها العمليه، فتتحوّل إلى شىء يخص الشخص أو الجبهه، فيما يفرضه المزاج أو تدعو إليه المصلحه الخاصه، و قد يحدث فى هذا الجو أن يبدأ الصراع بين مؤسّسه و أخرى من خلال تعارض المصالح الفرديه للقائمين عليها، أو لتصادم الخطوط التى يسير عليها هذا أو ذاك، و بذلك تصبح المؤسّسات الدينيه خطراً على العمل الدينى بما تثيره من أجواء الحقد و البغضاء و التنافس الفردي على الأطماع و الامتيازات، و بما تتحرك فيه من أساليب و شعارات تستخدم القيم الدينيه للمحافظه على أطماع الدنيا و شهواتها، و ربما كان السرّ فى ذلك هو الابتعاد عن الله و الأنبياء عليهم السلام و الاستغراق فى ظلمات الذات.

وأظن أن هذه المحاولة قد استطاعت أن ترسم وتبين -إلى حد ما- أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام، كما ربما تكون قد نجحت في أن تلقى بعض الضوء على بعض النماذج التطبيقية لهذه الأساليب التبليغية.

وهكذا استطعنا أن نتعرف على ما ينبغي أن يتحلّى به المبلّغ، وعلى الشروط اللازمه للتبليغ الناجح؛ وتعرّفنا على أنّ الأسلوب هو جزء من العمل و هو خاضع للحكم الشرعي، ومن هنا فنحن المسلمين، لا نستطيع أن نسير مع سياسته اللّف و الدوران التي يتبعها الكثيرون، أو الأ-كثريه من مبلّغى المبادئ الكافره الضالّه؛ لأنها لا- تنسجم مع رساله السماء، ومبادئ الإسلام ونظافه وسائله، وأهدافه، وأساليبه، وإّما هي الصراحه فى الفكره، والصدق فى القول و العمل، والإخلاص لله... والاستقامه فى الطريق... طريق السير و العمل فى سبيل الله... الذى حدّده الله فى كتابه... وجسده الأنبياء عليهم السلام فى مسيراتهم، فلا لبس عليه ولا غموض ولا التواء ولا انحراف.

نتائج البحث

يمكننا تحديد ما توصلنا إليه فى هذا الكتاب ضمن نقاط:

١. توصلنا إلى أنّ عرض ونشر الصورة الإسلامية و الرسالة الإلهية واجب العلماء و المفكرين و المبلّغين و الإعلاميين المسلمين، و أنّ التبليغ الإسلامي يقوم على أساس من القرآن الكريم و الأخلاق و الشروط الصحيحة، و أساليب الأنبياء عليهم السلام التي تشكّل محوراً مشتركاً لكلّ المبلّغين و الإعلاميين الساعين نحو قيام معرفه و ثقافه سليمة.

٢. التأكيد على العناصر الثقافيه الغنيه للحضاره الإسلاميه القرآنيه، و تقويه عناصر الهويه الواحده للأمم الإسلاميه، و السعى لوحدها، و تقويه قدره الجيل الشاب المتطلّع إلى التعرف إلى هويته المستقله.

٣. تعرّفنا على الصوره المغرضه و المشوّهه التظليليه المعروضه عن الإسلام و المنهج الإلهي، و استبدلناها بالصوره الواقعيه و الإنسانيه للتعليمات الإلهيه، التي تتطلّب التعاون بين وكالات الأبناء، و وسائل التبليغ و الإعلام المسموعه و المرئيه و المقروءه و العمل الجادّ لإيجاد شبكات إسلاميه مستقله لتحقيق هذا الغرض.

٤. العمل على الاستفاده الصحيحه و الأخلاقيه من تقنيه المعلومات و الاتصالات الحديثه، و التخطيط للاستفاده منها في مجال التربيه و التعليم العام و الجامعي للأقطار الإسلاميه، و توفير الأرضيه الصالحه للاستفاده العلميه و الإعلاميه السليمه من الإنترنت.

٥. يستطيع الكتاب و المحقّقون، و الفنانون و الشعراء، أن يساهموا في رفع مستوى الوعي و المعرفه لدى جيل الشباب المسلم عبر عرض النماذج الإسلاميه الدينيه الثقافيه الرائعه، و إنتاج الآثار الغنيه بشتى أنواعها، و ينبغي أن يزامن تطور التخطيط التأكيد على الأصالة.

٦. أنّ من واجب العلماء و المفكرين و المبلّغين و الإعلاميين المسلمين اليوم بذل أقصى الجهود للتوعيه بالتحديات الفكرية في العالم من قبيل: العولمه، و التخلف الاقتصادي، و العلمانيه، و حقوق الإنسان و الموقف من الإرهاب، و السيادة الشعبيه في إطار القيم الدينيه، و التعريف بأساليب العمل و التبليغ الإسلامي تجاهها، و إن اتساع التعاون الفكرى و إقامه المؤتمرات، و الاجتماعات الدوليه يمكنها تسريع و تعميق الحركه التبليغيه للفكر

الإسلامى، وترك الأثر الكبير فى التفهّم الأوسع لرسالة الإسلام العالميه.

٧. إن الحوار بين الثقافات و التواصل الفكرى بين الأديان، والتقريب بين المذاهب الإسلاميه يعدّ تحركاً واعدأ يسهم فى تحقيق العالميه الدينيه الإنسانيه) ويفضح التحزّك المتمحور حول ادعاء صراع الحضارات، وإحياء الحروب باسم الدين و النزاعات الطائفية فيرفع الستار، ويضع النقاط على الحروف.

هذا مجمل ما توصلنا إليه، ولا أحسب أنه كل شىء فى سبيل التغيير الواقعى العملى، فإن القضية أخطر من أن تعالج من الجانب النظرى و الفكرى فحسب... وإنما هى فى حاجه إلى المعالجه العمليه الواقعيه الدائمه التى تعيش الحذر و الحكمه و الترقّب بكل جوانبها ووسائلها وأساليبها... فهى دائماً تلاحق خطى العاملين وتراقبها، فتحسّ بالعثرات، وتدرّك الأخطاء التى تقع والانحرافات التى تحدث، لتتبه وتشير وتوجه، فتقى العثره، وتصلح الأخطاء، وتصحح الانحراف.

وما أقترحه وأودّ أن نتوصّل إليه، هو دراسه موسّعه لحياه المبلّغين بعد نبينا صلّى الله عليه و آله أعلام الهدى وأهل بيته عليهم السلام فإنهم عاشوا مختلف الظروف وفى مختلف الأزمنه و الأمكنه، فيمكن للباحث أن يجد فى حياتهم العمليه و العلميه التبليغيه مختلف الأساليب المهمّه، التى استخدموها فى مختلف الظروف و الشرائط، فحياتهم عليهم السلام غنيه فى كلّ ما نحتاجه وفيها كلّ معالم الخير و الصلاح.

وفى النهايه لابد للعاملين فى سبيل الله، إزاء هذه المجالات التى تحددها طبيعه الزمان و المكان و الأشخاص و الظروف و الشرائط من ملاحظه ما تقتضيه الحكمه فى كلّ مجال... ومراقبه الله فى كلّ أسلوب يتبعونه، وكلّ حركه يتحركونها؛ فإنّه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يكون الأسلوب العملى للإسلام منحرفاً عن مبادئ الإسلام التى تفرض نظافه الوسيله إلى جانب نظافه الغايه، وإلّا فإنّ الله لا يمكن أن يطاع من حيث يعصى.

قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) ، (١) وقال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) ، (٢) وقال تعالى: (فَلِذَلِكَ فَادِّعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ) ، (٣) وقال عز وجل: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) . (٤)

وبعد، فهذه أساليب التبليغ عند الأنبياء عليهم السلام مستلهمه من القرآن الكريم، وتلك هي الشروط و الظروف التي ينبغي أن تتوفر في سبيل نجاح التبليغ....

وقد حاولنا -جهد الإمكان- إيضاح الفكره وجلائها، فإنَّ قُدْرَ لنا النجاح فيما حاولناه، فهو غايه ما نتمناه وإلَّا فحسبنا من عملنا هذا أن ينال رضا الله تعالى، وأن يرسم بعض الخطوط ويشقَّ الدرب للآخرين...والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وله الحمد أولاً وآخراً إنَّه ولى التوفيق.

ص: ٢٧٨

١- (١). النحل: ١٢٥.

٢- (٢). يوسف: ١٠٨.

٣- (٣). الشورى: ١٥.

٤- (٤). فصلت: ٣٣.

القرآن الكرم.

١. أجوبه مسائل جار الله، شرف الدّين، السّيد عبد الحسين، مطبعه العرفان، صيدا، الطبعه الثّانيه، ١٣٧٣هـ.
٢. أخلاقيه الإعلام الإسلامى، عبد الوهاب، د. صباح، دار الإيمان، دمشق، ١٤٢١هـ.
٣. إرشاد الأذهان فى تفسير القرآن، السبزوارى، محمد بن حبيب الله، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤١٩هـ.
٤. أعلام الدّين فى صفات المؤمنین، الديلمى، الحسن بن أبى الحسن، تحقيق ونشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ.
٥. أعيان الشيعه، الأمين، السيد محسن، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعه الأولى.
٦. آلاء الرحمن فى تفسير القرآن، البلاغى، محمد جواد، مكتبه الوجدانى، قم، الطبعه الثّانيه.
٧. الاحتجاج، الطبرسى، احمد بن على، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعه و النشر، النجف الاشرف، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م.
٨. الاختصاص، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين فى الحوزه العلميه، قم، الطبعه السادسه، ١٤١٨هـ.

٩. الأسلوب، الشائب، أحمد، دراسه بلاغيه تحليليه لأصول الأساليب الأدبيه دار الفكر للطباعه و النشر و التوزيع، بيروت، ١٤٢٢هـ.
١٠. الأصفى فى تفسير القرآن، الفيض الكاشانى، محمد محسن، تحقيق: محمد حسين درايتى، محمد رضا نعمتى، مكتب الإعلام الإسلامى، مركز النشر، قم، ١٤١٨هـ.
١١. الأغانى، الأصفهاني، على بن الحسين أبى الفرج، تحقيق: لجنه من الأدباء بإشراف عبد الستار احمد الفراج، دار الثقافه، بيروت، ١٤١٠/١٩٩٠م.
١٢. الاقتصاد الهادى إلى طريق الرشاد، الطوسى، محمد بن الحسن، تحقيق: حسن سعيد، مكتب جامع جهلستون، ١٤٠٠هـ.
١٣. الأمالى، الصدوق، محمد بن على بن الحسين بن بابويه، تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميه، مؤسسه البعثه، قم، مركز الطباعه و النشر فى مؤسسه البعثه، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١٤. الأمالى، المرتضى، على ابن الطاهر، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعمانى الحلبي، منشورات مكتبه آيه الله العظمى المرعى النجفى، الطبعة الأولى، ١٣٢٥هـ.
١٥. الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، مكارم الشيرازى، ناصر، مدرسه الإمام على بن أبى طالب، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
١٦. الأنبياء عليهم السلام حياتهم - قصصهم، الحسنى العاملى، عبد الصاحب، مؤسسه الاعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٣/٢٠٠٢م.
١٧. البرهان فى علوم القرآن، الزركشى، بدر الدين محمد بن عبد الله، تحقيق: ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦/١٩٥٧م.
١٨. البيان و فن الخطابه، فلسفى، محمد تقى، مؤسسه البعثه للطباعه و النشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢/١٩٩٢م.
١٩. التبيان فى تفسير القرآن، الطوسى، محمد بن الحسن، تحقيق: احمد حبيب فيصر العاملى، مكتبه الإعلام الإسلامى، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٢٠. التفسير الصافى، الفيض الكاشانى، محسن، مكتبه الصدر، طهران، ١٤١٦هـ.
٢١. التفسير الكبير، الرازى، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٥/٢٠٠٤م.
٢٢. التفسير الوسيط، الزحلى، وهبه بن مصطفى، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٣. الجامع الصغير، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٢٤. الجديد في تفسير القرآن، السبزواري، محمد بن حبيب الله، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٢٥. الحدائق الناظرة، البحراني، يوسف، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين، قم، ١٣٦٣هـ.
٢٦. الخصال، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، تحقيق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعه المدرسين في الحوزه العلميه، قم، ١٤٠٣هـ.
٢٧. الدر المنثور، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، دار المعرفه للطباعة و النشر، بيروت.
٢٨. الدعوه إلى الله تعالى، آل نواب، د. عبد الرب، دار القلم، دمشق، الدار الشاميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
٢٩. الدعوه و الدعاه بين الواقع و الهدف، الصباغ، د. بسام، دار الإيمان، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٣٠. الرواشح السماويه، الاسترآبادي، محمد باقر، تحقيق: غلام حسين قيصيره ها، نعمه الله الجليلي، دار الحديث للطباعة و النشر، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
٣١. السيره الحلبيه، الحلبي، علي ابن إبراهيم، دار المعرفه، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٣٢. السيره النبويه، ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/١٩٧١م.
٣٣. الصحاح، الجوهري، إسماعيل بن حماد، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعه، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٣٤. العقيده الإسلاميه على ضوء مدرسه أهل البيت، السبحاني، جعفر، تحقيق و ترجمه: جعفر الهادي، مؤسسه الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٣٥. الغدير، الاميني، عبد الحسين، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعه، ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.
٣٦. الفايق في غريب الحديث، الزمخشري، جار الله، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٣٧. الفرقان في تفسير القرآن، الصادقي الطهراني، محمد، انتشارات الثقافه الإسلاميه، الطبعة الثانيه، ١٣٦٥هـ.ش.

٣٨. الفروق اللغويه، العسكري، أبو الهلال، تحقيق ونشر: مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٩. القاديانيه، الظاهر العاملى، سليمان، الغدير للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤٠. القاموس الفقهي، أبو حبيب، د. سعدى، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٤١. القاموس المحيط، الفيروز آبادى، نصر الهورينى، دار عالم الكتاب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٤٢. القرآن و التبليغ، قراءتى، محسن، مؤسسه النشر الإسلامى، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٤٣. القصص القرآنى فى منطوقه و مفهومه، الخطيب، عبد الكريم، دار المعرفه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.

٤٤. الكافى، الكلينى، محمد بن يعقوب، تحقيق: على اكبر غفارى، دار الكتب الإسلاميه، آخوندى، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.

٤٥. الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، عز الدين على بن أبى الكرم، دار صادر للطباعه و النشر، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٤٦. الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل، الزمخشري، جار الله، شركه مكتبه و مطبعه مصطفى البابى الحلبي و أولاده، مصر، الطبعة الأخيره، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

٤٧. المزار، ابن المشهدى، محمد، تحقيق: جواد القيومى الأصفهانى، نشر القيومى، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٤٨. المستفاد من قصص القرآن، زيدان، د. عبد الكريم، مؤسسه الرساله، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

٤٩. المعجم الكبير، الطبرانى، سليمان بن أحمد، تحقيق: حمدى عبد المجيد السلفى، دار إحياء التراث العربى، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

٥٠. المعجم الوسيط، أنيس، د. إبراهيم، دار الفكر، ١٤١٠هـ.

٥١. المعجم فى فقه لغه القرآن، الخراسانى، محمد واعظ زاده، مؤسسه الطبع و النشر التابعه للآستانه الرضويه المقدسه، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ. [تم إعداد المعجم فى قسم القرآن فى مجمع البحوث الإسلاميه، بإشراف الخراسانى].

٥٢. المقنعه، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تحقيق ونشر: مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجامعه المدرسين، قم، الطبعه الثانيه، ١٤١٠هـ.

٥٣. الملحمه الحسينيه، المطهرى، مرتضى، المركز العالمى للدراسات الإسلاميه، قم، الطبعه الثالثه، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٥٤. المذهب البارع، الحلى، جمال الدين احمد ابن محمد، تحقيق: مجتبى العراقى، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجامعه المدرسين، قم، ١٤٠٧هـ.

٥٥. الميزان فى تفسير القرآن، الطباطبائى، محمد حسين، مؤسسه الاعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعه الأولى المحققه، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٥٦. النكت الاعتقاديه، المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، تحقيق: رضا المختارى، دار المفيد للطباعه و النشر و التوزيع، بيروت، الطبعه الثانيه، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٥٧. النهايه فى غريب الحديث، ابن الأثير، المبارك بن محمد، تحقيق: طاهر احمد الزاوى، محمود محمد، مؤسسه اسماعيليان للطباعه و النشر و التوزيع، قم، الطبعه الرابعه، ١٣٦٤هـ.

٥٨. انساب الإشراف، البلاذرى، احمد ابن يحيى، تحقيق: محمد باقر المحمودى، مؤسسه الاعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعه الأولى، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٥٩. إيمان أبى طالب وسيرته، الامينى، عبد الحسين، دار الفكر للطباعه و النشر و التوزيع، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٠. بحار الأنوار، المجلسى، محمد باقر، مؤسسه الوفاء، بيروت، الطبعه الثانيه المصححه، ١٤٠٣هـ.

٦١. تاج العروس، الزبيدى، محب الدين، تحقيق: على شيرى، دار الفكر للطباعه و النشر و التوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٦٢. تاريخ الإسلام، الذهبى، محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى، دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعه الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦٣. تاريخ الدعوه، الجويشى، د. محمد إبراهيم، دار العلم و للثقافه، القايره، الطبعه الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦٤. تاريخ الطبرى، الطبرى، محمد بن جرير، تحقيق: نخبه من العلماء، مؤسسه الاعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعه الرابعه، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٦٥. تاريخ مدينه دمشق، ابن عساكر، على ابن الحسن، تحقيق: على شيرى، دار الفكر للطباعه و النشر و التوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦٦. تحف العقول، الحرائي، الحسين بن علي بن الحسين، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين، قم، الطبعة الثانيه، ١٤٠٤هـ.
٦٧. تخريج الأحاديث و الآثار، الزيعلى، عثمان ابن علي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
٦٨. تصحيح اعتقادات الإماميه، المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، تحقيق: حسين دركاهى، دار المفيد للطباعه و النشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الثانيه، ١٤١٤/١٩٩٣م.
٦٩. تفسير البحر المحيط، أبى حيان الأندلسى، محمد بن يوسف، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢/٢٠٠١م.
٧٠. تفسير السلمى، السلمى، يوسف ابن يحيى، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١/٢٠٠١م.
٧١. تفسير القاسمى المسمى محاسن التأويل، القاسمى، محمد جمال الدين، تصحيح و تخريج و تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربى، القاهره، ١٣٧٦/١٩٥٧م.
٧٢. تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، مطبعه المنار، القاهره، ١٣٤٦/١٣٥٣ش.
٧٣. تفسير القرآن الكريم، الخمينى، مصطفى، تحقيق و نشر: مؤسسه تنظيم و نشر آثار الإمام الخمينى، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٧٤. تفسير المنير، الزحيلي، وهبه بن مصطفى، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٧٥. تفسير جوامع الجامع، الطبرسى، الفضل ابن الحسن، تحقيق و نشر: مؤسسه النشر الاسلامى لجماعه المدرسين، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
٧٦. تفسير على ابن ابراهيم القمى، القمى، على ابن ابراهيم، تحقيق: طيب الموسوى الجزائرى، دار الكتاب، قم، الطبعة الرابعه، ١٣٦٧هـ.ش.
٧٧. تفسير مجمع البيان، الطبرسى، الفضل بن الحسن، تحقيق: لجنه من العلماء، دار المعرفه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.
٧٨. تفسير مقاتل بن سليمان، ابن سليمان، مقاتل، تحقيق: احمد فريد، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٧٩. تفسير ملا صدرا، صدر المتألهين، محمد بن ابراهيم، بيدار، قم، الطبعة الثانيه، ١٣٦٦هـ.ش.

٨٠. تفسير نور الثقلين، الحويزي، عبد علي بن جمعه، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسه اسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.
٨١. تقريب القرآن إلى الأذهان، الشيرازي، محمد، دار العلوم للطباعة و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
٨٢. تهذيب الأحكام، الطوسي، محمد بن الحسن، تحقيق: حسن الخرسان، محمد الآخوندي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥هـ ش.
٨٣. تهذيب اللغة، الأنزهرى، محمد بن احمد، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٢م.
٨٤. جامع البيان، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: صدقى جميل العطار، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٨٥. جامع السعادات، النراقى، محمد مهدي، تعليق و تصحيح السيد محمد كلانتر، جامعه النجف الدينيه، الطبعة الثالثة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
٨٦. جواهر الكلام، الجواهرى، محمد حسن، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٦٥هـ ش.
٨٧. خصائص القرآن، الرومى، د. فهد، الطبعة الرابعة، ١٤٠٩هـ.
٨٨. دعوه النبى للأعراب الموضوع الوسيله الاسلوب، الحارثى، حمود بن جابر، دار المسلم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٨٩. روائع البيان فى تفسير آيات الأحكام، الصابونى، محمد على، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
٩٠. زاد المسير، ابن الجوزى، جمال الدين، تحقيق: محمد عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٩١. زبده التفاسير، الكاشانى، ملا فتح الله، مؤسسه المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٩٢. سبل الهدى و الرشاد، الصالحى الشامى، محمد بن يوسف، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود-على محمد معوض، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٩٣. سنن الترمذى، الترمذى، محمد ابن عيسى، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٩٤. سنن النبى صلى الله عليه و آله، الطباطبائى، محمد حسين، تحقيق: محمد هادى الفقهى، مؤسسه النشر الإسلامى، قم، ١٤١٩هـ.

٩٥. سيره ابن هشام، المطلبي، محمد بن إسحاق بن يسار، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبه محمد علي صبيح وأولاده، ١٣٨٣هـ.
٩٦. شرح أصول الكافي، المازندراني، مولى محمد صالح، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، دار إحياء التراث العربي للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٩٧. شرح الرضى على الكافية، الاسترآبادى، رضى الدين، تحقيق: يوسف حسن، مؤسسه الصادق، طهران، الطبعة الجديده المصححه، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.
٩٨. شرح نهج البلاغه، المعتزلى، ابن أبى الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ.
٩٩. صحيح البخارى، البخارى، محمد بن إسماعيل، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٠٠. صحيح مسلم، النيسابورى، مسلم ابن الحجاج، دار الفكر، بيروت.
١٠١. عدّه الداعى ونجاح الساعى، الحلّى، أحمد بن فهد، تحقيق: أحمد الموحدى القمى، مكتبه الوجدانى، قم.
١٠٢. علل الشرائع، الصدوق، محمد بن على بن الحسين بن بابويه، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبه الحيدريه، النجف الاشرف، ١٣٨٥هـ/١٩٦١م.
١٠٣. عمدہ القارئ، العيني، بدر الدين ابن محمود، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
١٠٤. عيون الحكم و المواعظ، الليثى، على بن محمد، تحقيق: حسين الحسينى البيرجندى، دار الحديث، الطبعة الأولى.
١٠٥. غرر الحكم و درر الكلم، الآمدى التميمى، عبد الواحد، تصحيح وإشراف حسين الاعلمى، مؤسسه الاعلمى للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٠٦. غرر الفوائد المجموعه، القرشى، يحيى بن على، تحقيق: محمد خرشافى، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
١٠٧. فتح القدير، الشوكانى، محمد بن على بن محمد، عالم الكتب، الطبعة الاولى، ١٣٤٧هـ.
١٠٨. فى ظلال القرآن، سيد قطب، دار احياء التراث العربى، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
١٠٩. قصص الأنبياء عليهم السلام، ابن كثير، أبى الفداء إسماعيل، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دارالكتب الحديثه، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

١١٠. كتاب العين، الفراهيدي، الخليل بن أحمد، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسه دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
١١١. كشف الغطاء، كاشف الغطاء، جعفر، تحقيق: مكتب الإعلام الإسلامي، خراسان، دفتر التبليغات الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
١١٢. كنز الدقائق و بحر الغرائب، القمي المشهدي، محمد بن محمد رضا، مؤسسه الطبع و النشر، وزراه الإرشاد، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ. ش.
١١٣. كنز العمال، المتقي الهندي، علاء الدين، تحقيق: بكرى حيانى صفوه السقا، مؤسسه الرساله، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
١١٤. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد، أدب الحوزه، قم، ١٤٠٥هـ.
١١٥. مجمع البحرين، الطريحي، فخر الدين، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبه نشر الثقافه الإسلاميه، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
١١٦. مسار الشيعه، المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، تحقيق: الشيخ مهدي نجف، دار المفيد، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
١١٧. مصباح الشريعه، الإمام الصادق عليه السلام، جعفر بن محمد، مؤسسه الاعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١١٨. معانى الأخبار، الصدوق، محمد بن على بن الحسين بن بابويه، تحقيق: على أكبر الغفارى، مؤسسه النشر الإسلامى التابعه لجماعه المدرسين، قم، ١٣٧٩هـ.
١١٩. معانى القرآن، النحاس، أبى جعفر، تحقيق: محمد على الصابونى، جامعه أم القرى، المملكه العربيه السعوديه، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
١٢٠. معجم مقاييس اللغه، ابو الحسين زكريا، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبه الإعلام الإسلامى، ١٤٠٤هـ.
١٢١. معدن الجواهر، أبو الفتح الكراجكى، محمد بن على، تحقيق: أحمد الحسينى، مهر استوار، قم، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.
١٢٢. مفاتيح الجنان، القمي، عباس، مؤسسه الاعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
١٢٣. مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٢٤. مكاتب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، الأحمدي الميانجي، علي، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

١٢٥. مكارم الأخلاق، الطبرسي، رضي الدين الحسن ابن الفضل، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١٢٦. من لا يحضره الفقيه، الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، تحقيق: علي أكبر غفاري، جامعه المدرسين، قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.

١٢٧. مناهج الدّعوة وأساليبها، جريشه، د. علي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٢٨. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السبزواري، عبد الأعلى، الآداب، النجف الاشرف، ١٤٠٤هـ.

١٢٩. ميزان الحكمه، الريشهري، محمد، تحقيق: دار الحديث، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٣٠. ناسخ التواريخ، سبهر، محمد تقى، المكتبة الإسلاميه، إيران، الطبعة الثانية، ١٣٦٣ش.

١٣١. نهج البلاغه، أمير المؤمنين عليه السلام، علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد عبده، دار المعرفه، بيروت.

١٣٢. نهج السعاده، المحمودى، محمد باقر، مؤسسه الاعلمى للمطبوعات، بيروت، ١٣٣٧-١٣٧٧.

١٣٣. وسائل الشيعه، الحر العاملى، محمد بن الحسن، تحقيق ونشر: مؤسسه آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، قم، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩